

# كتاب التسهيل

بمهاة سر

## لملوم التزيل

للشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر خادم القرآن العظيم

محمد بن أحمد بن عزمي الكلبى

نفعنا الله برحمته وأسكنه فسيح جنته آمين

### الجزء الثالث

الناشر

دار الكتاب العربي

بيروت - لبنان

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سورة مريم

مكية إلا آيتي ٥٨ و ٧١ فمدنيتان وآياتها ٩٨ نزلت بعد فاطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* كَهَيْعَتِ \* ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيَّا \* إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا \* قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا \* وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا \* يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا \* يَزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا \* قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ

## سورة مريم

(كهيعص) قد تكلمنا في أول البقرة على حروف الهجاء، وقيل في هذا إن الكاف من كريم أو كبير أو كاف، والهاء من هادي، والياء من علي، والعين من عزيز أو عليم، والصاد من صادق، وكان علي بن أبي طالب يقول في دعائه: يا كهيعص، فيحتمل أن تكون الجملة عنده اسما من أسماء الله تعالى، أو ينادى بالأسماء التي اقتطعت منها هذه الحروف (ذكر) تقديره هذا ذكر (عبده زكريا) وصفه بالعبودية تشریفاً وإعلاماً له بتخصيصه وتقريبه، ونصب عبده على أنه مفعول لرحمة، فإنها مصدر أضيف إلى الفاعل، ونصب المفعول، وقيل هو مفعول بفعل مضمرة، تقديره رحمة عبده وعلى هذا يوقف على ما قبله وهذا ضعيف، وفيه تكلف الإضمار من غير حاجة إليه وقطع العامل عن العمل بعد تهيبته له (إذ نادى ربه) يعني دعاه (نداء خفياً) أخفاه لأنه يسمع الخفي كما يسمع الجهر، ولأن الإخفاء أقرب إلى الإخلاص وأبعد من الرياء، ولئلا يلومه الناس على طلب الولد (وهن العظم) أي ضعف (واشتعل) استعارة للشيب من اشتعال النار (ولم أكن بدعائك رب شقياً) أي قد سعدت بدعائي لك فيما تقدم، فاستجب لي في هذا فوسل إلى الله بإحسانه القديم إليه (وإني خفت الموالى) يعني الأقارب قيل خاف أن يرثوه دون نسله، وقيل خاف أن يضعوا الدين من بعده (من ورأى) أي من بعدى (عاقراً) أي عقيماً (فهب لي من لدنك ولياً) يعني وارثاً يرثني، قيل يعني وراثته المال، وقيل وراثته العلم والنبوة، وهو أرجح لقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: نحن معاشر الأنبياء لانورث وكذلك (يرث من آل يعقوب) العلم والنبوة، وقيل الملك، ويعقوب هنا هو يعقوب بن إسحاق على الأصح (رضياً) أي مرضياً فهو فعيل بمعنى مفعول (سُمياً) يعني من سمي باسمه، وقيل مثلاً ونظيراً، والأول أحسن هنا (أني يكون لي غلام) تعجب واستبعاد أن يكون له ولد مع شيخوخته وعقم امرأته فسأل ذلك أولاً لعلمه بقدرته الله عليه، وتعجب منه

أمرأتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً . قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً . قال رب اجعل لى آية قال آيتك الاتكلم الناس تلك ليال سوياً . فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا . يحيى أخذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً . وحناناً من لدنا وزكوة وكان تقياً . وبراً بوالديه ولم يكن جباراً عصياً . وسلم عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً . واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً . فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً . قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً . قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً . قالت أنى يكون لى غلم ولم يمسنى بشر ولم أك بغياً . قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً . فحملته فانتبذت به

لأنه نادر فى العادة ، وقيل سأله وهو فى سن من يرجوه ، وأجيب بعد ذلك بسنين وهو قد شاخ (عتياً) قيل يبسا فى الأعضاء والمفاصل ، وقيل مبالغة فى الكبر (كذلك) الكاف فى موضع رفع أى الأمر كذلك تصديقاله فيما ذكر من كبره وعقم امرأته ، وعلى هذا يوقف على قوله كذلك ثم يتبدأ قال ربك ، وقيل إن الكاف فى موضع نصب بقال ، وذلك إشارة إلى مبهم يفسره : هو على هين (اجعل لى آية) أى علامة على حمل امرأته (سوياء) أى سليماً غير أخرس واتصابه على الحال من الضمير فى تكلم ، والمعنى أنه لا يكلم الناس مع أنه سليم من الخرس ، وقيل إن سوياء يرجع إلى اللسالى أى مستويات (فأوحى إليهم) أى أشار ، وقيل كتبه فى التراب إذ كان لا يقدر على الكلام (أن سبحوا) قيل معناه صلوا ، والسبحة فى اللغة الصلاة ، وقيل قولوا سبحان الله (يا يحيى) التقدير قال الله ليحيى بعد ولادته (خذ الكتاب) يعنى التوراة (بقوة) أى فى العلم به والعمل به (وآتيناه الحكم صبياً) قيل الحكم معرفة الأحكام ، وقيل الحكمة ، وقيل النبوة (وحناناً) قيل معناه رحمة وقال ابن عباس لأدرى ما الحنان (وزكاة) أى طهارة ، وقيل ثناء كما يركى الشاهد (واذكر فى الكتاب مريم) خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم والكتاب القرآن (إذ انتبذت من أهلها) أى اعتزلت منهم وانفردت عنهم (مكاناً شرقياً) أى إلى جهة الشرق ولذلك يصلى النصارى إلى المشرق (أرسلنا إليها روحنا) يعنى جبريل ، وقيل عيسى ، والأول هو الصحيح لأن جبريل هو الذى تمثل لها باتفاق (قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً) لما رأت الملك الذى تمثل لها فى صورة البشر ، قد دخل عليها خافت أن يكون من بنى آدم ، فقالت له هذا الكلام ، ومعناه إن كنت ممن يتقى الله فابعد عني ، فإني أعوذ بالله منك ، وقيل إن تقياً اسم رجل معروف بالشرف عندهم وهذا ضعيف وبعيد (لأهب لك غلاماً زكياً) الغلام الزكى هو عيسى عليه السلام ، وقرئ ليهب بالياء ، والفاعل فيه هو ضمير الرب سبحانه وتعالى ، وقرئ بهمزة التكلم ، وهو جبريل ، وإنما نسب الهبة إلى نفسه ، لأنه هو الذى أرسله الله بها أو يكون قال ذلك حكاية عن الله تعالى (ولم أك بغياً) البغى هى المرأة المجاهرة بالزنا ووزن بغى فعول (ولنجعل آية) الضمير للولد واللام

مَكَانًا قَصِيًّا \* فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلِّتَنِي مَتَّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا \* فَنَادَاهَا  
 مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا \* وَهَزَى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقُطُ عَلَيْكَ رُطْبًا خَبِيثًا \*  
 فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقرَى عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ  
 إِنْسِيًّا \* فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا \* يَا خُتَّةَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوًّا  
 وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا \* فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا \* قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي

تتعلق بمحذوف تقديره لنجعله آية فعلنا ذلك (خملته) يعني في بطنها وكانت مدة حملها ثمانية أشهر ، وقال ابن عباس حملته وولده في ساعة (مكانا قصيا) أي بعيدا ، وإنما بعدت حياه من قومه أنها يظنوا بها الشر (فأجاءها) معناه ألبأها وهو منقول من جاء بهمة التعدية (المخاض) أي النفاس (إلى جذع النخلة) روى أنها احتضنت الجذع اشددة وجمع النفاس (قالت ياليتني مت) إنما تمت الموت خوفا من إنكار قومه وظنهم بها الشر ووقوعهم في دمهها وتمنى الموت جائز في مثل هذا ، وليس هذا من تمنى الموت لضرب بالبدن فإنه منهي عنه (وكننت نسيا) النسى الشيء الحقيقير الذي لا يؤبه له ، ويقال بفتح النون وكسرها (فناداها من تحتها) قرئ من بفتح الميم وكسرهما ، وقد اختلف على كلتا القراءتين ، هل هو جبريل أو عيسى ، وعلى أنه جبريل قيل لأنه كان تحتها كالقابلة ، وقيل كان في مكان أسفل من مكانها (أن لا تحزني) تفسير للنداء ، فإن مفسرة (سريا) جدولا وهي ساقية من ماء كان قريبا من جذع النخلة ، وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم فسره بذلك ، وقيل يعني عيسى فإن السرى الرجل الكريم (وهزى إليك بجذع النخلة) كان جذعا يابساً خلق الله فيه الرطب كرامة لها وتأنيسا ، وقد استدلت بعض الناس بهذه الآية على أن الإنسان ينبغي له أن يتسبب في طلب الرزق ، لأن الله أمر مريم بهز النخلة ، والباء في مجذع زائدة كقوله : ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة (تساقط عليك رطبا جنيا) الفاعل بتساقط النخلة ، وقرئ بالياء والفاعل على ذلك الجذع ، ورطبا تمييز والجنى معناه الذي طاب وصلاح ، لأن يجتنى (فكلى واشربي) أي كلى من الرطب ، واشربي من ماء الجدول ، وهو السرى (وقرى عينا) أي طيبي نفسا بما جعل الله لك من ولادة نبي كريم أو من تيسير المأكل والمشروب (فإما ترين) هي إن الشرطية دخلت عليها ما الزائدة للتأكيد ، وترين فعل خوطبت به المرأة ودخلت عليه النون الثقيلة للتأكيد (نذرت الرحمن صوما) أي صمتا عن الكلام ، وقيل يعني الصيام لأن من شرطه في شريعتهم الصمت ، وإنما أمرت بالصمت بصيانة لها عن الكلام مع المتهمين لها ، ولأن عيسى تكلم عنها فأخبارها بأنها نذرت الصمت بهذا الكلام ، وقيل بالإشارة ، ولا يجوز في شريعتنا نذر الصمت (فأنت به قومه) لما رأت الآيات : علمت أن الله سيدين عذرها فجاءت به من المكان القصي إلى قومه (شيئا فريا) أي شديعا وهو من القرية (يا أخت هارون) كان هارون عبدا من بنى إسرائيل شهبه به مريم في كثرة العبادة فقيل لها أخته بمعنى أنها شهبه ، وقيل كان أخاها من أبيها ، وكان رجلا صالحا ، وقيل هو هارون النبي أخو موسى وكانت من ذريته ، فأخت على هذا كقولك أخو بني فلان أي واحد منهم ، ولا يتصور على هذا القول أن تكون أخته من النسب حقيقة ، فإن

الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ وَبَرًّا  
 بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۖ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۖ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ  
 مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ۖ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ  
 فَيَكُونُ ۖ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۖ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ  
 كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۖ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۖ  
 وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحُسْرَىٰ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ إِنَّا نَحْنُ نُرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا  
 يُرْجَعُونَ ۖ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۖ إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ يَأْتِبُ لَمْ تَعْبُدُوا مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا

بين زمانها دهرًا طويلا ( فأشارت إليه ) أى إلى ولدها ليتكلم وصمتت هى كما أمرت ( كان فى المهد  
 صبيا ) كان بمعنى يكون والمهد هو المعروف ، وقيل المهد هنا حجرها ( آتاني الكتاب ) يعنى  
 الإنجيل ، أو التوراة والإنجيل ( مباركاً ) من البركة وقيل نفاعاً ، وقيل معلم للخير واللفظ أعم من ذلك  
 ( وأوصاني بالصلاة والزكاة ) هما المشروعتان ، وقيل الصلاة هنا الدعاء ، والزكاة : التطهير من العيوب  
 ( وبراً ) معطوف على مباركا ، روى أن عيسى تكلم بهذا الكلام وهو فى المهد ، ثم عاد إلى حالة الأطفال على  
 عادة البشر ، وفى كلامه هذا رد على النصارى ، لأنه اعترف أنه عبد الله ورد على اليهود لقوله : وجعلنى  
 نبيا (والسلام علىّ) أدخل لام التعريف هنا لتقدم السلام المنكر فى قصة يحيى ، فهو كقولك : رأيت رجلا  
 فأكرمت الرجل ، وقال الزمخشري : الصحيح أن هذا التعريف تعريض بلمعة من اتهم مريم كأنه قال  
 السلام كله على لا عليكم ، بل عليكم ضده ( قول الحق ) بالرفع خبر مبتدأ تقديره هذا قول الحق أو بدل  
 أو خبر بعد خبر ، وبالنصب على المدح بفعل مضمرة أو على المصدرية من معنى الكلام المتقدم ( فيه  
 يمترون ) أى يختلفون فهو من المراء ، أو يشكون فهو من المرية ، والضمير لليهود والنصارى ( وأن الله  
 ربى ) من كلام عيسى وقرئ بفتح الهمزة تقديره ولأن الله ربى وربكم فاعبدوه ، وبكسرها لابتداء الكلام ،  
 وقيل هو من كلام النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، والمعنى يا محمد قل لهم ذلك عيسى ابن  
 مريم وأن الله ربى وربكم والأول أظهر ( فاختلف الأحزاب ) هذا ابتداء إخبار ، والأحزاب اليهود  
 والنصارى ، لأنهم اختلفوا فى أمر عيسى اختلافا شديدا فكذبته اليهود وعبدته النصارى ، والحق خلاف  
 أقوالهم كلها ( من بينهم ) معناه من تلقائهم ومن أنفسهم وأن الاختلاف لم يخرج عنهم ( من مشهد  
 يوم عظيم ) يعنى يوم القيامة ( أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا ) أى ما أسمعهم وما أبصرهم يوم القيامة على أنهم فى  
 الدنيا فى ضلال مبين ( يوم الحسرة ) هو يوم يوتى بالموت فى صورة كبش فيذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود  
 لاموت ويا أهل النار خلود لاموت ، وقيل هو يوم القيامة وانتصاب يوم على المفعولية ، لاعلى الظرفية  
 ( وهم فى غفلة ) يعنى فى الدنيا فهو متعاق بقوله فى ضلال مبين أو بأنذرم ( صديقا ) بناء مبالغة من الصدق أو من

يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا . يَبَابُ إِلَى قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبَعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا . يَبَابُ  
لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا . يَبَابُ إِلَى أَخَافُ أَنْ يَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَكُونَ  
لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا . قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ هَيْبَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَنْ لَمْ تَنْتَه لَارْجَمَكَ وَأَهْجَرَنِي مَلِيًّا . قَالَ سَلَّمَ عَلَيْكَ  
سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا . وَأَعْتَزَلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ  
بِدْعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا . فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا . وَوَهَبْنَا  
لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا . وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا .  
وَنُنَادِيهِ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا . وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا . وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ  
إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا . وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا .  
وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا . وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا . أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ

التصديق ، ووصفه بأنه صدق قبل الوحي نبي بعده ، ويحتمل أنه جمع الوصفين ( ما لا يسمع ولا يبصر ) يعنى  
الأصنام ( صراطا سويا ) أى قويمًا ( لارجمك ) قيل يعنى الرجم بالحجارة وقيل الشتم ( واهجرني مليا ) أى  
حينما طويلا ، وعطف اهجرني على محذوف تقديره احذر رجمي لك ( قال سلام عليك ) وداع مفارقة ،  
وقيل مسالمة لالتحية لأن ابتداء الكافر بالسلام لا يجوز ( سأستغفر لك ) وعد وهو الذى أشير إليه بقوله عن  
مودة وعدها إياه قال ابن عطية ، معناه سأدعو الله أن يهديك فيغفر لك بإيمانك ، وذلك لأن الاستغفار للكافر  
لا يجوز ، وقيل وده أن يستغفر له مع كفره ، ولعله كان لم يعلم أن الله لا يغفر للكفار حتى أعلمه بذلك ، ويقوى  
هذا القول قوله واغفر لاني إنه كان من الضالين ، ومثل هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يبي طالب لا يستغفرن  
لك ما لم أنه عنك ( حفيا ) أى بإزاء متلظفا ( واعتزلكم وما تدعون ) أى ما تعبدون ( إسحاق ويعقوب ) هما ابنة وابن  
ابنه وهبما الله له عوضا من أبيه وقومه الذين اعتزلهم ( من رحمتنا ) النبوة ، وقيل المال والولد ، واللفظ أعم من ذلك  
لسان صدق يعنى الثناء الباقى عليهم إلى آخر الدهر ( مخلصا ) بكسر اللام أى أخاص نفسه وأعماله لله وبفتحها أى  
أخلصه الله للذوق والتقريب ( وكان رسولا نبيا ) النبي أعم من الرسول لأن النبي كل من أوحى الله إليه ولا يكون  
رسولا حتى يرسله الله إلى الناس مع النبوة فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا ( ونادينا ) هو تكليم الله له ( الطور )  
وهو الجبل المشهور بالشام ( الأيمن ) صفة للجانب وكان على يمين موسى حين وقف عليه ويحتمل أن يكون من اليمز ( نجيا )  
النجى فعيل وهو المنفرد بالمناجاة وقيل هو من المناجاة ، والأول أصح ( من رحمتنا ) من سببية أو للتبويض وأخاه على  
الأول مفعول وعلى الثانى بدل ( إنه كان صادق الوعد ) روى أنه وعد رجلا إلى مكان فانتظره فيه ستة ، وقيل الإشارة  
إلى صدق وعده فى قصة الذبح فى قوله ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ، وهذا يدل على قول من قال إن الذبيح  
هو إسماعيل ( إدريس ) هو أول نبي بعث إلى أهل الأرض بعد آدم ، وهو أول من خط بالقلم ، ونظر فى علم النجوم

النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمَنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۝ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ۝ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ۝ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ۝ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ۝ وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا أَمْرًا رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ۝ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أُخْرَجَ حَيًّا ۝ أَوْلَا يَذُكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ

وخطا الثياب ، وهو من أجداد نوح عليه السلام (ورفعناه مكانا عليا) قال ابن عباس رفعه الله إلى السماء وهناك مات ، وفي حديث الإسراء وإنه في السماء الرابعة ، وقيل يعني رفعة النبوة وتشريف منزلته ، والأول أشهر ورجحه الحديث (أولئك) إشارة إلى كل من ذكر في هذه السورة من زكريا إلى إدريس (من النبيين) من هنا لليان ، والتي بعدها للتبعيض (من ذرية آدم) يعني نوحا وإدريس (ومن حملنا) يعني إبراهيم (ومن ذرية إبراهيم) يعني إسماعيل وإسحاق ويعقوب (وإسرائيل) يعني أن من ذريته موسى وهارون ومريم وعيسى وزكريا ويحيى (ومن هدينا) يحتمل العطف على من الأولى أو الثانية (بكيًا) جمع بك ووزنه فعول (خلف من بعدهم خلف) يقال في عتب الخير خلف بفتح اللام وفي عقب الشر خلف بالسكون وهو المعنى هنا واختلف فيمن المراد بذلك ، فقيل النصارى لأنهم خلفوا اليهود ، وقيل كل من كفر وعصى من بعد بني إسرائيل (أضاعوا الصلوة) قيل تركوها ، وقيل أخرجوها عن أوقاتها (يلقون غيا) الغي الخسران ، وقد يكون بمعنى الضلال فيكون على حذف مضاف تقديره يلقون جزاء غي (إلا من تاب) استثناء يحتمل الاتصال والانقطاع (بالغيب) أي أخبرهم من ذلك بما غاب عنهم (مأتيا) وزنه مفعول ، فقيل إنه بمعنى فاعل ، لأن الوعد هو الذي يأتي وقيل إنه على بابه لأن الوعد هو الجنة وهم يأتونها (لغوا) يعني ساقط الكلام (الإسلاما) استثناء منقطع (بكرة وعشيا) قيل المعنى أن زمانهم يقدر بالأيام والليالي ، إذ ليس في الجنة نهار ولا ليل ، وقيل المعنى أن الرزق يأتيهم في كل حين يحتاجون إليه ، وعبر عن ذلك بالنكرة والعشى على عادة الناس في أكلامهم (وما ننزل إلا بأمر ربك) حكاية قول جبريل حين غاب عن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فقال له أبطأت عني واشتقت إليك فقال إنى كنت أشوق ولكنى عبد مأمور إذا بعثت نزلت وإذا حبست احتبست ونزلت هذه الآية (له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك) أي له ما قدمنا وما خلفنا وما نحن فيه من الجهات والأماكن ، فليس لنا الانتقال من مكان إلى مكان إلا بأمر الله ، وقيل ما بين أيدينا : الدنيا إلى النفخة الأولى في الصور ، وما خلفنا : الآخرة ، وما بين ذلك : ما بين النفختين وقيل ماضى من أعمارنا وما بقي منها ، والحال التي نحن فيها ، والأول أكثر مناسبة لسياق الآية (وما كان ربك نسيا) هو فعيل من النسيان بمعنى الذهول وقيل بمعنى الترك ، والأول أظهر (هل تعلم له سميا) أي مثيلا ونظيرا

يَكُ شَيْئًا فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُم وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۗ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ۗ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۗ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ۗ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۗ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٌ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ۗ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِعِيًّا ۗ قُلْ

فهو من المسامى والمضاهى ، وقيل من تسمى باسمه ، لأنه لم يتسم باسم الله غير الله تعالى (ويقول الإنسان أئذامات لسوف أخرج حيا) هذه حكاية قول من أنكر البعث من القبور ، والإنسان هنا جنس يراد به الكفار ، وقيل إن القائل لذلك أبى بن خلف ، وقيل أمية بن خلف والهزمة التي دخلت على أئذامات للإنكار والاستبعاد ، واللام في قوله لسوف : سيقى على الحكاية لقول من قال بهذا المعنى ، والإخراج يراد به البعث (أولا يذكرون الإنسان أنا خلقناه من قبل) احتجاج على صحة البعث ، ورد على من أنكره ، لأن النشأة الأولى دليل على الثانية (لنحشرنهم والسياطين) يعنى قرناءهم من الشياطين الذين أضلهم ، والواو للعطف أو بمعنى مع فيكون الشياطين مفعول معه (جثيا) جمع جث ، ووزنه مفعول من قولك جثا الرجل إذا جلس جلسة الذليل الخائف (ثم لنزعن من كل شيعه) الشيعة : الطائفة من الناس التي تفق على مذهب أو اتباع إنسان ، ومعنى الآية أن الله ينزع من كل طائفة أعتاها فيقدمه إلى النار ، وقال بعضهم المعنى يبدأ بالأكثر جرما فالأكثر جرما (أيهم) اختلف في إعرابه ، فقال سيويوه هو مبنى على الضم لأنه حذف العائد عليه من الصلة ، وكان التقدير أيهم أشد فوجب البناء ، وقال الخليل هو مرفوع على الحكاية تقديره الذى يقال له أشد ، وقال يونس علق عنها الفعل وارتفعت بالابتداء (أولى بها صليا) الصلى : مصدر صلى النار ، ومعنى الآية : أن الله يعلم من هو أولى بأن يصلى العذاب (وإن منكم إلا واردة) خطاب لجميع الناس عند الجمهور ، فأما المؤمنون فيدخلونها ، ولكنها تخمد فلا تضرهم ، فالورود على هذا بمعنى الدخول كقوله حصب جهنم أنتم لها واردة ، وأوردتهم النار ، وقيل الورد بمعنى القدوم عليها كقوله ورد ما مدين ، والمراد بذلك جواز الصراط وقيل الخطاب للكفار فلا إشكال (حتما) أى أمرا لا بد منه (ثم ننجي الذين اتقوا) إن كان الورد بمعنى الدخول فنجاة الذين اتقوا يكون النار عليهم بردا وسلاما ، ثم بالخروج منها وإن كان بمعنى المرور على الصراط فنجاتهم بالجواز والسلامة من الوقوع فيها (أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا) الفريقان هم المؤمنون والكفار ، والمقام اسم مكان من قام ، وقرئ بالضم من أقام ، والنسدى المجلس ، ومعنى الآية : أن الكفار قالوا المؤمنيين : نحن خير منكم مقاما : أى أحسن حالا في الدنيا ، وأجل مجلسا فنحن أكرم على الله منكم (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) كم مفعول بأهلكنا ، ومعنى الآية : رد على الكفار في قولهم المذكور : أى ليس حسن الحال في الدنيا دليلا على الكرامة عند الله ، لأن الله قد أهلك من كان أحسن حالا منكم في الدنيا (هم أحسن) قال الزمخشري هذه الجملة في موضع نصب صفة لكم (أثنا) أى متاع البيت ، وقال ابن عطية هو اسم عام في المال العين والعروض والحيوان ، وهو اسم جمع ، وقيل هو جمع ، واحده أثنائة (ورثيا) بهمزة ساكنة قبل الياء : معناه منظر حسن ، وهو من الرؤية ، والرثى اسم المرتضى ، وقرئ بتشديد

مَنْ كَانَ فِي الضَّلَلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَآبِئَهُمْ وَعَدُوًّا لَهَا وَإِنَّمَا السَّاعَةُ فَيَسْعَلُونَ مَنْ  
هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا \* وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا  
وَخَيْرٌ مَرَدًّا \* أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا \* أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ أُخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ  
عَهْدًا \* كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا \* وَنَرَاهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا \* وَأَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ  
إِلَهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا \* كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا \* أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى  
الْكَافِرِينَ تَؤْزِمُهُمْ أَزًّا \* فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا \* يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا \* وَنَسُوقُ  
الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدًّا \* لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا \* وَقَالُوا أَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا \*

الياء من غير همز ، وهو تخفيف من الهمز ، فالمعنى متفق ، وقيل هو من رى الشارب أى التمتع بالمشارب  
والمآكل ، وقرأ ابن عباس زيا بالزاي ( فليمدده الرحمن مدا ) أى يمهله ويملى له ، واختلف هل هذا الفعل دعاء  
أو خبر سيق بلفظ الامر تأكيذا ( حتى ) هنا غاية البدء فى الإضلال ( إما العذاب ) يعنى عذاب الدنيا ( شر مكانا  
وأضعف جندا ) فى مقابلة قولهم خير مقاما وأحسن ندبا ( والباقيات الصالحات ) ذكر فى الكهف ( خير مردا  
أى مرجعا وعاقبة ) ( أفرأيت الذى كفر ) هو العاصى بن وائل ( وقال لأوتين مالا وولدا ) كان قد قال لئن  
بعثت كما يزعم محمد لىكون لى هناك مالا وولدا ( أطلع الغيب ) الهمزة للإنكار ، والرد على العاصى فى قوله  
( كلا ) رذله عن كلامه ( سنكتب ما يقول ) إنما جعله مستقبلا لأنه إنما يظهر الجزاء والعقاب فى المستقبل ( ونمدده  
من العذاب مدا ) أى نزيدله فيه ( ونرته ما يقول ) أى نرث الأشياء التى قال إنه يؤتاها فى الآخرة ، وهى المال  
والولد ووراثتها هى بأن يهلك العاصى ويتركها ، وقد أسلم ولده هشام وعمرو رضى الله عنهما ( ويأتينا  
فردا ) أى بلا مال ولا ولد ولاولى ولا نصير ( سيكفرون بعبادتهم ) قيل إن الضمير فى يكفرون للكفار وفى  
عبادتهم للمعبودين ، فالمعنى كقولهم ما كنا مشركين ، وقيل إن الضمير فى يكفرون للمعبودين ، وفى عبادتهم  
للكفار ، فالمعنى كقولهم ما كنتم إيانا تعبدون ( ويكفرون عليهم ضدا ) معناه يكون لهم خلاف ما أمروه منهم  
فيصير العز الذى أمروه ذلة ، وقيل معناه أعداء ( أرسلنا الشياطين على الكافرين ) تضمن معنى سلطانا ، ولذلك  
تعذى بعلى ( تؤزيم أزّا ) أى تزجهم إلى الكفر والمعاصى ( فلا تعجل عليهم ) أى لا تستبطئ عذابهم وتطلب  
تعجيله ( إنما نعد لهم عذابا ) أى نعد مدة بقائهم فى الدنيا . وقيل نعد أنفسهم ( وفدا ) قيل معناه ركبانا ، ومعنى  
الوفد لغة القادمون وعادتهم الركوب فلذلك قيل ذلك ، وقيل مكرمون ، لأن العادة لإكرام الوفود ( وردا )  
معناه عطاشا لأن من يرد الماء لا يرد إلا للعطش ( لا يملكون الشفاعة ) الضمير يحتمل أن يكون للكفار ،  
والمعنى لا يملكون أن يشفعوا لهم ، ويكون من اتخذ : استثناء منقطعاً بمعنى لكن ، أو يكون الضمير للمتقين  
فلا استثناء متصل ، والمعنى لا يملكون أن يشفعوا إلا لمن اتخذ عهدا أو لا يملكون أن يشفع منهم إلا من اتخذ  
عهدا ، أو يكون الضمير للفريقين إذ قد ذكروا قبل ذلك ؛ فالاستثناء أيضا متصل ، ومن اتخذ : يحتمل أن يراد به

لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ه تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَطَفَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشِقُ الْأَرْضُ وَتَخْرُ الْجِبَالُ هَدًا ه أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ  
وَلَدًا ه وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ه إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا \* لَقَدْ  
أَخْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ه وَكُلَّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ه إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ  
الرَّحْمَنُ وُدًّا ه فَأَيُّمَا يَسِّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ه وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ  
هَلْ يُحْسِبُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا \*

## سورة طه

مكية إلا آتيتي ١٣ و ١٣١ فدينيتان وآياتها ١٣٥ نزلت بعد مريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* طه \* مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ه إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَنْ يَخْشَى \* تَنْزِيلًا مِّنْ

الشافع أو المشفوع له (عهدا) يريد به الإيمان والأعمال الصالحة ، ويحتمل أن يريد به الإذن في الشفاعة . وهذا  
أرجح لقوله لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ، والظاهر أن ذلك إشارة إلى شفاعة سيدنا محمد صلى الله  
عليه وسلم في الموقف حين يفرد بها ويقول غيره من الأنبياء نفسى نفسى (شيتنا إذا) أى شيتنا صعبا (يتفطرن  
منه) أى يتشققن من قول الكفار : اتخذ الله ولدا (هدا) أى انهداما (أن دعوا) أى من أجل أن دعوا (للرحمن  
ولدا) وقرئ ولدا بضم الواو وإسكان اللام ، وهى لغة (إن كل من فى السموات والأرض) رد على مقالة  
الكفار ، والمعنى أن الكل عبيده ، فكيف يكون أحدهم ولدا له ، وإن نافية ، وكل مبتدأ وخبره آتى الرحمن  
(سيجعل لهم الرحمن ودا) هى المحبة والقبول الذى يجعله الله فى القلوب لمن شاء من عباده ، وقيل إنها نزلت فى  
على بن أبى طالب رضى الله عنه (يسرناه بلسانك) الضمير للقرآن وبلسانك أى بلغتك (قوما لدا) جمع لدا ، وهو الشديد  
الخصومة والمجادلة ، والمراد بذلك قريش ، وقيل معناه فجارا (أو تسمع لهم ركزا) هو الصوت الخفى ، والمعنى  
أنهم لم يبق منهم أثر ، وفى ذلك تهديد لقريش

## سورة طه

قيل فى طه إنه من أسماء النبى صلى الله عليه وسلم وقيل معناه يارجل ، وانظر الكلام على حروف الهجاء فى  
أول سورة البقرة (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) قيل إن النبى صلى الله عليه وسلم قام فى الصلاة حتى تورمت  
قدماه ، فنزلت الآية تخفيفا عنه ، فالشقاه على هذا إفراط التعب فى العبادة ، وقيل المراد به التأسف على كفر  
الكفار ، واللفظ عام فى ذلك كله ، والمعنى أنه نفى عنه جميع أنواع الشقاء فى الدنيا والآخرة لأنه أنزل عليه  
القرآن الذى هو سبب السعادة (إلا تذكرة) نصب على الاستثناء المنقطع ، وأجاز ابن عطية أن يكون بدلا من  
موضع لتشقى إذ هو فى موضع مفعول من أجله ، ومنع ذلك الزمخشري لاختلاف الجنسين ، ويصح أن ينتصب  
بفعل مضمير تقديره أنزلناه تذكرة (تنزيلا) نصب على المصدرية والعامل فيه مضمير وما أنزلنا وبدأ السورة  
بلفظ المتكلم فى قوله ما أنزلنا ثم رجع إلى الغيبة فى قوله تنزيلا بمن خلق الأرض الآية : وذلك هو الالتفات

خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى . الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أُسْتَوَى . لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا  
 بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى . وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى . اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى .  
 وَهَلْ أَتَيْكَ حَدِيثُ مُوسَى \* إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ  
 أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى . فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمُوسَى \* إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى .  
 وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى . إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي . إِنَّ السَّاعَةَ  
 آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتَجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى \* فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوْلَهُ فَنُزِّلَتْ

(والسموات العلى) جمع عليا (على العرش استوى) تكلمنا عليه في الأعراف (الثرى) هو في اللغة التراب  
 الندى ، والمراد به هنا الأرض (وإن تجهر) مطابقة هذا الشرط لجوابه كأنه يقول إن جهرت أو أخفيت فإنه  
 يعلم ذلك لأنه يعلم السر وأخفى (يعلم السر وأخفى) السر الكلام الخفي ، والأخفى ما في النفس ، وقيل السر ما في  
 نفوس البشر ، والأخفى ما انفرد الله بعلمه (الاسماء الحسنى) تكلمنا عليها في الأعراف (وهل أتاك) لفظ  
 استفهام والمراد به التنبيه (إذ رأى) العامل في إذ حديث لأن فيه معنى الفعل وكان من قصة موسى أنه رحل  
 بأهله من مدين يريد مصر فسار بالليل واحتاج إلى نار ففقد بزناده فلم ينقدح ، فرأى نارا فقصده إليها  
 فداده الله ، وأرسله إلى فرعون (آنست نارا) أى رأيت (بقبس) هو الجدوة من النار تكون على رأس  
 العود والقصبه ونحوها (أو أجد على النار هدى) يعنى هدى إلى الطريق من دليل أو غيره (فاخلع نعليك)  
 قيل إنما أمر بخلع نعليه ، لأنهما كانتا من جلد حمار ميت ، فأمر بخلع النجاسة ، واختار ابن عطية أن يكون  
 أمر بخاهم ليتأدب ويعظم البقعة المباركة ويتواضع في مقام مناجاة الله وهذا أحسن (الوادى المقدس) أى المطهر  
 (طوى) فى معناه قولان : أحدهما أنه اسم الوادى ، وإعرابه على هذا بدل ، ويجوز تنوينه على أنه مكان  
 وترك صرفه على أنه بقعة ، والثانى أن معناه مرتين ، فأعرابه على هذا مصدر : أى قدس الوادى مرة بعد  
 مرة أو نودى موسى مرة بعد مرة (واقم الصلاة لذكرى) قيل المعنى لتذكرك فيها ، وقيل لأذكرك بها ،  
 فالمصدر على الأول مضاف للفعول وعلى الثانى مضاف للفاعل ، وقيل معنى لذكرى : عند ذكرى كقول  
 أقم الصلاة لدلوك الشمس : أى عند دلوك الشمس ، وهذا أرجح ؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم  
 استدل بالآية : على وجوب الصلاة على الناسى إذا ذكرها (أكاد أخفيها) اضطرب الناس فى معناه ،  
 فقيل أخفيها بمعنى أظهرها ، وأخفيت هذا من الأضداد ، وقال ابن عطية : هذا قول مختل ، وذلك أن  
 المعروف فى اللغة أن يقال : أخفى بالالف من الإخفاء وخفى بغير ألف بمعنى أظهر فلو كان بمعنى الظهور  
 لقال أخفيها بفتح همزة المضارع ، وقد قرئ بذلك فى الشاذ ، وقال الزمخشري قد جاء فى بعض اللغات أخفى  
 بمعنى خفى : أى أظهر ، فلا يكون هذا القول مختلا على هذه اللغة ، وقيل أكاد بمعنى أريد ، فالمعنى أريد إخفاءها  
 وقيل إن المعنى إن الساعة آتية أكاد ، وتم هنا الكلام بمعنى أكاد أنفذها لقرئها ، ثم استأنف الإخبار  
 فقال أخفيها ، وقيل المعنى أكاد أخفيها عن نفسى فكيف عنكم ، وهذه الأقوال ضعيفة ، وإنما الصحيح أن

وَمَا تِلْكَ يَمِينِكَ يَمُوسَىٰ ۖ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّوْا عَلَيْهَا وَاهْبَسْتُ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَثَرَبٌ أُخْرَىٰ ۚ  
 قَالَ أَلْقَهَا يَمُوسَىٰ ۚ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۗ \* قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ۚ وَاضْمُمْ  
 يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ۗ آيَةٌ أُخْرَىٰ ۚ لَنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ ۚ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ  
 إِنَّهُ طَغَىٰ ۚ قَالَ رَبِّ أشرح لي صدري ۖ وَيسر لي أمري ۖ واحلل عقدة من لساني ۖ يفقهوا قولي ۖ واجعل  
 لي وزيراً من أهلي ۖ هارون أخى ۖ أشد به أزرى ۖ وأشركه في أمري ۖ كى نسبحك كثيراً ۖ ونذكرك  
 كثيراً ۖ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ۗ \* قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَىٰ ۗ \* وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ۗ \* إِذْ أَوْحَيْنَا  
 إِلَىٰ أَمْكٍ مَا يُوحَىٰ ۗ \* أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ

المعنى أن الله أبهم وقت الساعة فلم يطلع عليه أحد ، حتى أنه كاد أن يخفى وقوعها لإبهام وقتها ، ولكنه لم يخفها إذ أخبر بوقوعها ، فالأخفى على معناه المعروف في اللغة ، وكاد على معناها من مقاربة الشيء دون وقوعه وهذا المعنى هو اختيار المحققين (لتجزى) يتعلق بآية (بما تسعى) أى بما تعمل (فلا يصدك عنها) الضمير للساعة : أى لا يصدك عن الإيمان بها والاستعداد لها ، وقيل الضمير للصلاة وهو بعيد ، والخطاب لموسى عليه السلام ، وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك بعيد (فتردى) معناها تمك ، والردى هو الهلاك وهذا الفعل منصوب فى جواب لا يصدك (وما تلك يمينك يا موسى) إنما سأله ليريه عظيم ما يفعله فى العصا من قلبها حتى غنى السؤال تقرير أنها عصى فيتين له الفرق بين حالها قبل أن يقلبها ، وبعد أن قلبها ، وقيل إنما سأله ليؤنسها ويبسطه بالكلام (واهش بها على غنمي) معناها أضرب بها الشجر لينشر الورق للغنم (مأرب) أى حواش (حية تسعى) أى تمشى (سيرتها الأولى) يعنى أنه لما أخذها عادت كما كانت أول مرة ، وانتصب سيرتها على أنه ظرف أو مفعول بإسقاط حرف الجر (واضمم يدك إلى جناحك) الجناح هنا الجنب أى تحت الإبط ، وهو استعارة من جناح الطائر (تخرج بيضاء) روى أن يده خرجت وهى بيضاء كالشمس (من غير سوء) يريد من غير برص ولا عاهة (لنريك من آياتنا الكبرى) يحتمل أن تكون الكبرى مفعول لنريك ، وأن تكون صفة الآيات ويختلف المعنى على ذلك (أشرح لي صدري) إن قيل لم قال أشرح لي ويسر لي ، مع أن المعنى يصح دون قوله لى ؟ فالجواب أن ذلك تأكيد وتحقيق للرغبة (واحلل عقدة من لساني) العقدة هى التى اعترته بالجمرة حين جعلها فى فيه وهو صغير حين أراد فرعون أن يجر به ، وإنما قال عقدة بالتنكير لأنه طلب حل بعضها ليفقهوا قوله ولم يطلب الفصاحة الكاملة (وزيراً) أى معينا ، وإعراب هارون بدل أو مفعول أول (أزرى) أى ظهري والمراد القوة ومنه فأزره أى قواه (قال قد أوتيت سؤالك) أى قد أعطيتك كل ما طلبت من الأشياء المذكورة (إذ أوحينا إلى أمك) يحتمل أن يكون وحي كلام بواسطة ملك ، أو وحي لإلهام كقوله : وأوحى ربك إلى النحل (ما يوحى) إبهام يراد به تعظيم الأمر (أن أقذفيه فى التابوت فأقذفيه فى اليم) الضمير الأول لموسى والثانى للتابوت أو لموسى واليم البحر ، والمراد به هنا النيل ، وكان فرعون قد ذكره أن هلاكه وخراب ملكه على يد غلام من بنى إسرائيل ، فأمر

وَأَلْقَيْتَ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلَتُصْنَعَ عَلَيَّ عَيْنِي ۚ إِذْ تَمْشِي أَخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَيَّ قَدَرًا يَمْؤِسُكَ ۚ وَأُصْطَنِعْتُكَ لِنَفْسِي ۚ أَذْهَبَ أَنتَ وَأَخُوكَ بِأَيْتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ۚ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۚ فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۚ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ۚ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمِعُ وَأَرَىٰ ۚ فَأَتَيْنَاهُ فِقُولًا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ ۚ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَيَّ ۚ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۚ قَالَ فَنَزَّلْنَا مُوسَىٰ ۚ قَالَ رَبَّنَا الَّذِي آعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ۚ

بذبح كل ولد ذكروا لهم ، فأوحى الله إلى أم موسى أن تلقيه في التابوت وتلقى التابوت في البحر ففعلت ذلك ، وكان فرعون في موضع يشرف على النيل ، فرأى التابوت فأمر به فسبق إليه وامرأته معه ففتحه فأشفقت عليه امرأته وطلبت أن تتخذ ولدًا فأباح لها ذلك ( يأخذه عدو لي وعدو له ) هو فرعون (حبة مني) أي أحببتك ، وقيل أراد حبة الناس فيه إذ كان لا يراه أحد إلا أحبه ، وقيل أراد حبة امرأة فرعون ورحمتها له ، وقوله مني : يحتمل أن يتعلق بقوله ألقى عليك ، أو يكون صفة لمحبة فيتعلق بمحذوف ( ولتصنع علي عيني ) أي تربي ويحسن إليك بمراي مني وحفظ ، والعامل في تصنع محذوف ( إذ تمشي أختك ) العامل في إذ تصنع أو ألقى ، أو فعل مضمرة تقديره ومنا عليك ( فتقول هل أدلكم على من يكفله ) كان لا يقبل ثدي امرأة فطلبوا له مرضعة ، فقالت أخته ذلك ليرد إلى أمه ( وقتلت نفسا ) يعني القبطي الذي وكره قفضي عليه ( فنجيناك من الغم ) يعني الخوف من أن يطلب بثأر المقتول ( وفتناك فتونا ) أي اختبرناك اختبارا حتى ظهر منك أنك تصلح للنبوة والرسالة ، وقيل خلصناك من محنة بعد محنة ، لأنه خلصه من الذبح ثم من البحر ، ثم من القصاص بالقتل ، والفتون : يحتمل أن يكون مصدرا أو جمع فتنة ( فلبثت سنين ) يعني الأعوام العشرة التي استأجره فيها شعيب ( جئت على قدر ) أي بميزات محدود قدره الله لنبوتك ( واصطنعتك لنفسى ) عبارة عن الكرامة والتقريب أي استخلصتك وجعلتك موضع صنيعتي وإحسانى ( ولاتنيا ) أي لا تضعنا ولا تقصرا ، والوني هو الضعف عن الأمور والتقصير فيها ( أن يفرط ) أي يعمل بالشر ( فأرسل معنا بني إسرائيل ) أي سرحهم ، وكانوا تحت يد فرعون وقومه ، فكانت رسالة موسى إلى فرعون بالإيمان بالله وتسريح بني إسرائيل ( ولا تعذبهم ) كان يعذبهم بذبح أبنائهم وتسخيرهم في خدمته وإذلالهم ( قد جئناك بآية ) يعني قلب العصا حية وإخراج البدر بيضاء ، وإنما وحدهما وهما آيتان ، لأنه أراد إقامة البرهان وهو معنى واحد ( والسلام على من أتبع الهدى ) يحتمل أن يريد التحية أو السلامة ( قال فنزّلنا موسى ) أفرد موسى بالنداء بعد جمعه مع أخيه ، لأنه الأصل في النبوة وأخوه تابع له ( الذي أعطى كل شيء خلقه ) المعنى أن الله أعطى خلقه كل شيء يحتاجون إليه فخلق على هذا بمعنى المخلوقين ، وإعراجه مفعول أول ، وكل شيء

قَالَ فَمَا بِالْقُرُونِ الْأُولَى ۖ قَالَ عَلَيْهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يُضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ۗ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى ۗ كُلُّوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ ۗ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ۗ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ۗ قَالَ أَجْتِنَا لِنُخْرِجَنَّا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكِ يَمُوسَى ۗ فَلَنَاتِينَكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلَفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ۗ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ

مفعول ثان ، وقيل المعنى أعطى كل شيء خلقته وصورته : أى أكمل ذلك وأتقنه فالخلق على هذا بمعنى الخلقه وإعرابه مفعول ثان ، وكل شيء مفعول أول ، والمعنى الأول أحسن (ثم هدى) أى هدى خلقه إلى التوصل لما أعطاهم وعليهم كيف ينتفعون به (قال فما بال القرون الأولى) يحتمل أن يكون سؤاله عن القرون الأولى محاجة ومناقضة لموسى : أى ما بالها لم تبعث كما يزعم موسى أو ما بالها لم تكن على دين موسى أو ما بالها كذبت ولم يصبها عذاب كما زعم موسى في قوله : أن العذاب على من كذب وتولى ، ويحتمل أن يكون قال ذلك قطعاً للكلام الأول وروغانا عنه وحيرة لما رأى أنه مغلوب بالحجة ولذلك أضرب موسى عن الكلام في شأنها ، فقال عليها عند ربى ، ثم عاد إلى وصف الله رجوعاً إلى الكلام الأول (في كتاب) يعنى اللوح المحفوظ (الذى جعل لكم الأرض مهدياً) أى فراشا ، وانظر كيف وصف موسى ربه تعالى بأوصاف لا يمكن فرعون أن يتصف بها لاعلى وجه الحقيقة ولاعلى وجه المجاز ، ولو قال له هو القادر أو الرازق وشبه ذلك لأمكن فرعون أن يغالطه ويدعى ذلك لنفسه (وسلك لكم فيها سبلا) أى نهج لكم فيها طرقاً تمشون فيها (فأخرجنا) يحتمل أن يكون من كلام موسى على تقدير يقول الله عز وجل فأخرجنا ، ويحتمل أن يكون كلام موسى تم عند قوله وأنزل من السماء ماء ثم ابتداء كلام الله (فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى) أى أصنافاً مختلفة (كلوا وارعوا أنعامكم) المعنى أنها تصالح لأن تؤكل وترعاها الأنعام ، وعبر عن ذلك بصيغة الأمر لأنه أذن في ذلك فكان أمر به (لأولى النهى) أى العقول واحداً هنية (منها خلقناكم) الضمير للأرض يريد خلقه آدم من تراب (وفيها نعيدكم) يعنى بالدفن عند الموت (ومننا نخرجكم) يعنى عند البعث (أريناه آياتنا) يعنى الآيات التى رآها فرعون وهى تسع آيات ، وليس يريد جميع آيات الله على العموم ، فالإضافة فى قوله آياتنا تجرى مجرى التعريف بالعهد : أى آياتنا التى أعطينا موسى كلها ، وإنما أضافها الله إلى نفسه تشريفاً (فاجعل بيننا وبينك موعداً) يحتمل أن يكون الموعد اسم مصدر أو اسم زمان أو اسم مكان ويدل على أنه اسم مكان قوله مكاناً سوى ، ولكن يضعف بقوله موعدكم يوم الزينة ، لأنه أجاز بظرف الزمان ، ويدل على أن الموعد اسم زمان قوله يوم الزينة ولكن يضعف بقوله مكاناً سوى . ويدل على أنه اسم مصدر بمعنى الموعد قوله لا نخلفه ، لأن الإخلاف إنما يوصف به الوعد لا الزمان ولا المكان ، ولكن يضعف ذلك بقوله مكاناً وبقوله يوم الزينة ، فلا بد على كل وجه من تأويل أو إضمار ويختلف إعراب قوله مكاناً باختلاف تلك الوجوه فأما إن كان الموعد اسم مكان فيكون قوله هو وعداً ومكاناً مفعولين لقوله اجعل ، ويطابقه قوله يوم الزينة

النَّاسُ ضَحِيٍّ ۖ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ جَمْعَ كَيْدِهِ ثُمَّ أْتَىٰ ۖ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَيَّ اللَّهُ كَذَّابًا فَيسْحِتْكُمْ  
بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَىٰ ۖ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ ۖ قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرَانِ  
يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّىٰ ۖ فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتُّوْا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ  
الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَىٰ ۖ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَىٰ ۖ قَالَ بَلْ أَلْقَوْنَا إِذَا جَاءَهُمُ  
وَعَصِيْبُهُمْ يَخِيزُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنهَآ تَسْعَىٰ ۖ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةٌ مُوسَىٰ ۖ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ۖ \*  
وَأَلْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِمَّا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۖ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ  
فَجَاءَ قَالُوا أَمْنَا رَبِّ هَرُونَ وَمُوسَىٰ ۖ قَالَ ءَأَمِنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرٌ كُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ

من طريق المعنى ، لا من طريق اللفظ ، وذلك أن الاجتماع في المكان يقتضى الزمان ضرورة ، وإن كان الموعد اسم زمان فينتصب قوله مكانا على أنه ظرف زمان ، والتقدير موعدا كائنا في مكان وإن كان الموعد اسم مصدر فينتصب مكانا على أنه مفعول بالمصدر وهو الموعد ، أو بفعل من معناه ؛ ويطابقه قوله يوم الزينة على حذف مضاف تقديره موعدكم وعد يوم الزينة ، وقرأ الحسن يوم الزينة بالنصب وذلك يطابق أن يكون الموعد اسم مصدر من غير تقدير محذوف (مكانا سوى) معناه مستوى في القرب منا ومنكم ، وقيل معناه مستوى الأرض ليس فيه انخفاض ولا ارتفاع ، وقرئ بكسر السين وضما ، والمعنى متفق (يوم الزينة) يوم عيد لهم وقيل يوم عاشوراء (وأن يحشر) عطف على الزينة ، فهو في موضع خفض أو على اليوم فهو في موضع رفع وقصد موسى أن يكون موعدهم عند اجتماع الناس على رؤس الأشهاد لتظهر معجزته ويستبين الحق للناس (فيسحيتكم) معناه يهلككم ، يقال سحت وأسحت ، وقد قرئ بفتح الياء وضما ، والمعنى متفق (قالوا إن هذان لساحران) قرئ إن هذين بالياء ولا إشكال في ذلك ، وقرئ بتخفيف إن وهى مخففة من الثقيلة ، وارتفع بعدها هذان بالابتداء ، وأما قراءة نافع وغيره بتشديد إن ورفع هذان ، فقيل إن هنا بمعنى نعم فلا تنصب ، ومنه ما روى في الحديث أن الحمد لله بالرفع ، وقيل اسم إن ضمير الأمر والشأن تقديره إن الأمر ، وهذان لساحران مبتدأ وخبر في موضع خبر إن ، وقيل جاء القرآن في هذه الآية بلفظ بنى الحرث بن كعب وهو إبقاء التثنية بالآلاف حال النصب والخفض ، وقالت عائشة رضى الله عنها هذا مما لحن فيه كتاب المصحف (ويذهبا بطريقتكم المثلى) أى يذهب بسيرتكم الحسنة (فأجمعوا كيدكم) أى اعزموا وأنفذوه (يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) استدل بعضهم بهذه الآية على أن السحر تخييل لاحقيقة ، وقال بعضهم إن حيلة السحرة فى سعى الحبال والعصى هى أنهم حشوها بالزئبق ، وأوقدوا تحتها نارا وغطوا النار للئلا يراها الناس ، ثم وضعوا عليها حبالهم وعصيهم ، وقيل جعلوها للشمس ، فلما أحس الزئبق ببحر النار أو الشمس سال ، وهو فى حشو الحبال والعصى فحملها فتخييل للناس أنها تمشى فآلقى موسى عصاه فصارت ثيابا فابتلعها (إمما صنعوا كيد

فَلَا قَطْعَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبِنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلِتَعْلَمُنَّ أَيْنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ۗ قَالُوا  
لَنْ نُؤْتِيَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِمَّا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۗ  
إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَاتِنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۗ إِنَّهُ مِنْ بَيِّنَاتِ رَبِّهِ بِمَجْرَمٍ  
فَإِنْ لَهُ جَهَنَّمُ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۗ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ۗ  
جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۗ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ ۗ وَلَقَدْ آوَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ  
أَسْرَ بَعَادَىٰ فَأَضْرَبَ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ۗ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ  
مِنَ اللَّيْلِ مَا عَاشَيْهِمْ ۗ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ۗ يٰبَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ  
جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ ۗ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ  
عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ۗ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ۗ  
وَمَا أَجْعَلُكَ عَنْ قَوْمِكَ يٰمُوسَىٰ ۗ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَىٰ آثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ۗ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا

ساحر) ما هنا وصوله وهي اسم إن وكيد خبرها (آمن برب هارون وهوسى) قدم هارون لتعادل رؤس  
الآى (من خلاف) أى قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى (والذى فطرنا) معطوف على ما جاءنا من البيئات ،  
وقيل هي واو القسم (هذه الحياة) نصب على الظرفية أى إنما قضاؤك في هذه الدنيا (إنه من يأت ربه  
بجرما) قيل إن هنا وما بعده من كلام السحرة لفرعون تلى وجه الموعدة ، وقيل هو من كلام الله (أن أسر  
بعبادى) يعنى بنى إسرائيل ، وأضافهم إلى نفسه تشريفا لهم ، وكانوا فيما قيل ستمائة ألف (يبسا) أى يابساً ،  
وهو مصدر وصف به (لاتخاف دركا ولا تخشى) أى لاتخاف أن يدركك فرعون وقومه ، ولا تخشى  
الغرق فى البحر (ماغشيمهم) إبهام لقصد التهويل (وما هدى) إن قيل إن قوله وأضل فرعون قومه يعنى عن  
قوله وما هدى ، فالجواب أنه ، بالغة وتأكيد ، وقال الزمخشري هوتهكم بفرعون فى قوله . وما أهدىكم لإسبيل  
الرشاد (يا بنى إسرائيل) خطاب لهم بعد خروجهم من البحر ، وإغراق فرعون ، وقيل هو خطاب لمن كان  
منهم فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأول أظهر (وواعدناكم جانب الطور الايمن) لما أهلك  
الله فرعون وجنوده أمر موسى وبنى إسرائيل أن يسيروا إلى جانب طور سيناء ليكلم فيه ربه ، والطور هو  
الجبل ، واختلف هل هذا الطور هو الذى رأى فيه موسى النار فى أول نبوته ، أو هو غيره (ونزلنا عليكم المن  
والسلوى) ذكر فى البقرة (فقد هوى) أى هلك ، وهو استعارة من السقوط من علو إلى سفلى (وإنى لغفار لمن  
تاب) المغفرة لمن تاب حاصلة ولا بد والمغفرة للمؤمن الذى لم يتب فى مشيئة الله عند أهل السنة ، وقالت  
المعتزلة لا يغفر إلا لمن تاب (ثم اهتدى) أى استقام ودام على الإيمان والتوبة والعمل الصالح ، ويحتمل  
أن يكون الهدى هنا عبارة عن نور وعلم يجعله الله فى قلب من تاب وآمن وعمل صالحاً ، (وما أجعلك عن

قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ۖ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَّ  
حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوعِدِي \* قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا  
مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ۖ فَأَخْرَجَ لَهُمْ  
عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ \* أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُرْجَعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ

قومك يا موسى) قصص هذه الآية أن موسى عليه السلام لما أمره الله أن يسير هو وبنو إسرائيل إلى الطور تقدم هو وحده مبادرة إلى أمر الله ، وطابا لرضاه ، وأمر بنو إسرائيل أن يسيروا بعده ، واستخلف عليهم أخاه هارون ، فأمرهم السامري حينئذ بعبادة العجل ، فلما وصل موسى إلى الطور دون قومه قال له الله تعالى : ما أعجلك عن قومك ، وإنما سأل الله موسى عن سبب استعجاله دون قومه ليخبره موسى بأنهم باتون على أثره فيخبره الله بما صنعوا بعده من عبادة العجل ، وقيل سأله على وجه الإنكار لتقدمه وحده دون قومه فاعتذر موسى بعذرين : أحدهما أن قومه على أثره : أى قريب منه ، فلم يتقدم عليهم بكثير فيوجب العتاب ، والثاني أنه إنما تقدم طلبا لرضا الله (وأضلهم السامري) كان السامري رجلا من بنو إسرائيل يقال إنه ابن خال موسى ، وقيل لم يكن منهم وهو منسوب إلى قرية بمصر يقال لها سامرة ، وكان ساحرا منافقا (فرجع موسى إلى قومه) يعنى رجوع من الطور بعد إكمال الأربعين يوما التي كلبه الله فيها (أسفا) ذكر في الأعراف (ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) يعنى ما وعدهم من الوصول إلى الطور (أفطال عليكم العهد) يعنى المدة وهذا الكلام توييح لهم (بملكنا) قرئ بالفتح والضم والكسر ، ومعناه ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا ، ولكن غلبنا بكيد السامري فيحتمل أنهم اعتذروا بقلة قدرتهم وطاقتهم ويناسب هذا المعنى القراءة بضم الميم ، واعتذروا بقلة ملكهم لأنفسهم في النظر وعدم توفيقهم للرأى السديد ، ويناسب هذا المعنى القراءة بالفتح والكسر (حملنا أوزارا من زينة القوم) الأوزار هنا الأحمال سميت أوزارا لثقلها ، أو لأنهم اكتسبوا بسببها الأوزار أى الذنوب وزينة القوم هى حلى القبط قوم فرعون كان بنو إسرائيل قد استعاروه منهم قبل هلاكهم ، وقيل أخذوه بعد هلاكهم فقال لهم السامري : اجمعوا هذا الحلى فى حفرة حتى يحكم الله فيه ، ففعلوا ذلك وأوقد السامري نار اعلى الحلى وصاغ منه عجلا وقيل بل خلق الله منه العجل من غير أن يصنعه السامري ، ولذلك قال لموسى قد قتنا قومك من بعدك (فقدفناها) أى قذفنا أحمال الحلى فى الحفرة (فكذلك ألقى السامري) كان السامري قد رأى جبريل عليه السلام ، فأخذ من وطء فرسه قبضة من تراب وألقى الله فى نفسه أنه إذا جعلها على شئ موانا صار حيوانا فألقاها على العجل فخار العجل أى صاح صياح العجول . فالمنى أنهم قالوا كما ألقينا الحلى فى الحفرة ألقى السامري قبضة التراب (جسدا) أى جسما بلا روح ، والخوار صوت البقر (فقالوا هذا إلهمكم) أى قال ذلك بنو إسرائيل بعضهم لبعض (فنى) يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون من كلام بنو إسرائيل والفاعل موسى : أى نسى موسى إلهه هنا ، وذهب يطلبه فى الطور ، والنسيان على هذا بمعنى الذهول ، والوجه الثانى : أن يكون من كلام الله تعالى ، والفاعل على هذا السامري : أى نسى دينه وطريق الحق ، والنسيان على هذا المعنى : الترك (أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا) معناه لا يرد عليهم كلاما إذا

لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۖ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ۖ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ۖ قَالَ يَاهِرُونَ مَانَعَكُمُ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوْا ۖ أَتَتَّبِعُونَ أَفْعَصَيْتُمْ أَمْرِي ۖ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ۖ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسَامِرِي ۖ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ۖ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ يُخَلِّفَهُ وَأَنْظِرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لِنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا

كلوه وذلك رد عليهم في دعوى الربوبية له ، وقرئ يرجع بالرفع ، وأن مخففة من الثقيلة ، وبالنصب وهي مصدرية (قال يهارون مامنعك إذ رأيتم ضلوا إلا تتبعن) لازائدة للتأكيد ، والمعنى مامنعك أن تتبعني في المشي إلى الطور ، أو تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر لمن عبد العجل وقتلهم بمن لم يعبد (قال يا ابن أم) ذكر في الأعراف (لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي) كان موسى قد أخذ بشعر هارون ولحيته من شدة غضبه لما وجد بني إسرائيل قد عبدوا العجل (إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل) أي لو قاتلت من عبد العجل منهم بمن لم يعبده لقلت فرقت جماعتهم وأدخلت العداوة بينهم ، وهذا على أن يكون معنى قوله تتبعني في الزجر والقتال ولو اتبعتك في المشي إلى الطور لا تبعني بعضهم دون بعض ففرقت جماعتهم وهذا على أن يكون معنى تتبعني في المشي إلى الطور (ولم ترقب قولي) يعني قوله له : اخلفني في قومي وأصلح (قال فما خطبك يا سامري) أي قال موسى ماشأبك ولفظ الخطب يقتضى الاتهار ، لأنه يستعمل في المكاره (قال بصرت بما لم يبصروا به) أي رأيت ما لم يروه يعني جبريل عليه السلام وفرسه (فقبضت قبضة من أثر الرسول) أي قبضت قبضة من تراب من أثر فرس الرسول وهو جبريل ، وقرأ ابن مسعود «من أثر فرس الرسول، وإنما سمي جبريل بالرسول ، لأن الله أرسله إلى موسى ، والقبضة مصدر قبض ، وإطلاقها على المفعول من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الأجير ، ويقال قبض بالضاد المعجمة إذا أخذ بأصابعه وكفه ، وبالصاد المهملة: إذا أخذ بأطراف الأصابع وقد قرئ كذلك في الشاذ (فنبذتها) أي ألقيتها على الحلى ، فصار عجلا أو على العجل فصار له خوار (فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس) عاقب موسى عليه السلام السامري بأن منع الناس من مخالطته ومجالسته ومؤاكلته ، ومكاملته وجعل له مع ذلك أن يقول طول حياته لا مساس : أي لا ماسة ولا إذابة ، وروى أنه كان إذا مسه أحد أصابت الحلى له والذي مسه فصار هو يبعد عن الناس وصار الناس يبعدون عنه (وإن لك موعدا) يعني العذاب في الآخرة وهذا تهديد ووعيد (ظلت) أصله ظلمت ، حذف إحدى اللامين والأصل في معنى ظل : أقام بالنهار ، ثم استعمل في الدأب على الشيء ليلا ونهاراً (لنحرقنه) من الإحراق بالنار ، وقرئ بفتح النون وضم الراء بمعنى تبرده بالمبرد ، وقد حمل بعضهم قراءة الجماعة على أنها من هذا المعنى ، لأن الذهب لا يفتى بالإحراق بالنار ، والصحيح أن المقصود بإحراقه بالنار إذابته وإفساد صورته ، فيصح حمل قراءة الجماعة على ذلك (ثم لننسفه في اليم نسفا) أي نلقيه في البحر ، والنسف تفريق الغبار ونحوه

نَسْفًا . إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا \* كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ  
سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا . مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا . خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا \* يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا . يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا  
بِمَنْ أَحْمَلُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا . وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي  
نَسْفًا \* فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا . لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا . يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَأَعْوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ  
الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا . يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا \*  
يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا . وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ

(إنما إلهكم الله) الآية : من كلام موسى لبنى إسرائيل ( كذلك نقص عليك ) مخاطبة من الله تعالى لسيدنا محمد  
صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، وأنباء ما قد سبق : أخبار المتقدمين ( ذكرا ) ( من أعرض عنه )  
بمعنى إعراض تكذيب به ( وزرا ) الوزر في اللغة الثقل ، ويعنى هنا العذاب لقوله « خالدين فيه » ، والذنوب  
لأنها سبب العذاب ( وساء لهم يوم القيامة حملا ) شبه الوزر بالحمل لثقله ، قال الزمخشري ساء تجرى مجرى  
بئس ، ففاعلها مضمير يفسره حملا ، وقال غيره فاعلها مضمير يعود على الوزر ( يوم ينفخ في الصور ) أى ينفخ  
الملك في القرن ، وقرئ تنفخ بالنون أى بأمرنا ( زرقا ) أى زرق الألوان كالسواد ، وقيل زرق العيون من  
العمى ( يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشر ليال ) أى يقول بعضهم لبعض فى السر إن لبثتم فى الدنيا إلا عشر ليال  
وذلك لاستقلالهم مدة الدنيا ، وقيل يعنون لبثهم فى القبور ( يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما ) أى يقول  
أعلمهم بالأمور ، فالإضافة إليهم إن لبثتم إلا يوما واحدا فاستقل المدة أشد مما استقلها غيره ( ينسفها ربى )  
أى يجعلها كالغبار ثم يفرقها ( فيذرها قاعا صفصفا ) الضمير فى يذرها للجبال ، والمراد موضعها من الأرض ،  
والقاع الصفصف : المستوى من الأرض الذى لا ارتفاع فيه ( لا ترى فيها عوجا ) المعروف فى اللغة أن العوج  
بالكسر فى المعانى ، وبالفتح فى الأشخاص والأرض شخص ، فكان الأصل أن يقال فيها بالفتح ، وإنما  
قاله بالكسر مبالغة فى نفيه ، فإن الذى فى المعانى أدق من الذى فى الأشخاص ، فنفاه ليكون غاية فى نفي  
العوج من كل وجه ( ولا أمتا ) الأمت : هو الارتفاع اليسير ( يتبعون الداعى ) يعنى الذى يدعو الخلق إلى الحشر  
( لا عوج له ) أى لا يعوج أحد عن اتباعه والمشى نحو صوته ، أو لا عوج لدعوته لأنها حق ( همسا ) هو الصوت  
الخفى ( لا تنفع الشفاعة إلا من ) ( أذن له الرحمن ) يحتمل أن يكون الاستثناء متصلا ، ومن فى موضع  
نصب يتنفع ، وهى واقعة على المشفوع له ، فالمعنى لا تنفع الشفاعة أحد إلا من أذن له الرحمن فى أن يشفع له ،  
وأن يكون الاستثناء منقطعا ومن واقعة على الشافع ، والمعنى لكن من أذن له الرحمن يشفع ( ورضى له  
قولا ) إن أريد بمن أذن له الرحمن المشفوع فيه ، فاللام فى له بمعنى لأجله ، أى رضى قول الشافع لأجل  
المشفوع فيه ، وإن أريد الشافع فالمعنى رضى له قوله فى الشفاعة ( يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ) الضميران

ظُلُمًا ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا \* وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا  
وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا ۖ فَتَعَلَّى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ  
مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۖ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ  
عِزْمًا ۖ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ۖ وَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ  
فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ \* إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۖ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ ۖ  
فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدَّبَكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكًا لَيَالِيًا ۖ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لهُمَا  
سَوَاءٌ تَهُمَا وَطَفَقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ۖ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ  
وَهَدَىٰ ۖ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ  
وَلَا يَشْقَىٰ ۖ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ۖ قَالَ رَبِّ لِمَ

لجميع الخلق ، والمعنى ذكر في آية الكرسي (ولا يحيطون به علمًا) قيل المعنى لا يحيطون بمعلوماته كقوله  
ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ، والصحيح عندي أن المعنى لا يحيطون بمعرفة ذاته إذ لا يعرف الله  
على الحقيقة إلا الله ، ولو أراد المعنى الأول لقال ولا يحيطون بعلمه ، ولذلك استثنى إلا بما شاء هناك ولم يستثن  
هنا (وغنت الوجوه) أي ذلت يوم القيامة (ولا هضمًا) أي بخسًا ونقصًا لحسناته (أو يحدث لهم ذكرا) أي  
تذكرًا ، وقيل شرفًا وهو هنا بعيد (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه) أي إذا أقرأك جبريل  
القرآن فاستمع إليه واصبر حتى يفرغ وحينئذ تقرأه أنت فالآية : كقوله لا تحرك به لسانك لتعجل به ،  
وقيل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا أوحى إليه القرآن يأمر بكتبه في الحين ، فأمر بأن يتأني حتى  
تفسر له المعاني ، والأول أشهر (عهدهنا إلى آدم) أي وصيناه أن لا يأكل من الشجرة (فنسى) يحتمل أن يكون  
النسيان الذي هو ضد الذكر ، فيكون ذلك عذراً لآدم أو يريد الترك ، وقال ابن عطية : ولا يمكن غيره ،  
لأن الناسي لا عقاب عليه ، وقد تقدم الكلام على قصة آدم وإبليس في البقرة (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) أي  
لا تطيعاه فيخرجكما من الجنة فجعل المسبب موضع السبب وخص آدم بقوله فتشقى لأنه كان المخاطب أولاً ، والمقصود  
بالكلام ، وقيل لأن الشقاء في معيشة الدنيا يختص بالرجال (لا تظمأ فيها ولا تضحى) الظمأ هو العطش ، والضحى  
هو البروز للشمس (يخصفان) ذكر في الأعراف وكذلك الشجرة وأكل آدم منها ذكر ذلك في البقرة (اهبطا  
خطاب لآدم وحواء) (فإما يأتينكم) هي إن الشرطية دخلت عليهما ما الزائدة وجوابها فمن اتبع (فلا يضل  
ولا يشقى) أي لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة (معيشة ضنكا) أي ضيقة ، فقيل إن ذلك في الدنيا ، فإن  
الكافر ضيق المعيشة لشدة حرصه وإن كان واسع الحال ، وقد قال بعض الصوفية لا يعرض أحد عن ذكر  
الله إلا ظلم عليه وقته وتكدر عليه عيشه ، وقيل إن ذلك في البرزخ ، وقيل في جهنم بأكل الزقوم ، وهذا

حَشْرَتْنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۖ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا ۖ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ۖ وَكَذَلِكَ  
 نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ۖ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ  
 مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ۖ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ  
 لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى ۖ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ  
 اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ۖ وَلَا تُمَدِّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ  
 الدُّنْيَا لِنَفِثْنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۖ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَانَسَأَلَكَ رِزْقًا مَحْنُ

ضعيف لأنه ذكر بعد هذا يوم القيامة وعذاب الآخرة (ونحشره يوم القيامة أعمى) أى يعنى أعمى البصر  
 (فنسيها وكذلك اليوم تنسى) من البرك لان الذهول (ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) أى عذاب جهنم أشد  
 وأبقى من العيشة الضنك ومن الحشر أعمى (أفلم يهد لهم) معناه أفلم يدين لهم ، والضمير لقريش والفاعل يهد  
 مقدر تقديره أولم يهد لهم الهدى أو الأمر ، وقال الزمخشري الفاعل الجملة التى بدمه ، وقيل الفاعل ضمير الله  
 عز وجل ، ويدل عليه قراءة أفلم نهد بالنون ، وقال الكوفيون الفاعل كم (يمشون فى مساكنهم) يريد أن قريشا  
 يمشون فى مساكن عاد وثمود ، ويعاينون آثارها لكهم (لأولى النهى) أى ذوى العقول (ولولا كلمة سبقت  
 من ربك لكان لزاما) الكلمة هنا القضاء السابق ، والمعنى لولا قضاء الله بتأخير العذاب عنهم لكان العذاب  
 لزاما : أى واقعا بهم (وأجل مسمى) معطوف على كلمة : أى لولا الكلمة والأجل المسمى لكان العذاب  
 لزاما وإنما آخره لتعتدل رؤس الآى ، والمراد بالأجل المسمى يوم بدر ، وبذلك ورد تفسيره فى البخارى ،  
 وقيل المراد به أجل الموت ، وقيل القيامة (وسبح) يحتمل أن يريد بالتسبيح الصلاة ، أو قول سبحان الله وهو  
 ظاهر اللفظ (بحمد ربك) فى موضع الحال أى وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح ، ويحتمل أن يكون  
 المعنى سبح تسبيحا مقرونا بحمد ربك فيكون أمرا بالجمع بين قوله سبحان الله وقوله الحمد لله ، وقد قال  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : وسبحان الله والحمد لله تملأن ما بين السماء والأرض (قبل طلوع الشمس وقبل  
 غروبها) إشارة إلى الصلوات الخمس عند من قال إن معنى فسبح : الصلاة ، فالتى قبل طلوع الشمس الصبح ،  
 والتى قبل غروبها الظهر والعصر ، ومن آناه الليل المغرب والعشاء الآخرة وأطراف النهار المغرب والصبح ، وكرر  
 الصبح فى ذلك تأكيداً للأمر بها ، وسمى الطرفين أطرافاً لحدو جهين : إما على نحو فقد صغت قلبك ، وإما أن  
 يجعل النهار للجنس ، فلكل يوم طرف ، وآناه الليل لساعاته ، واحداً لى (ولا تمدن عينيك) ذكر فى الحجر  
 ومد العينين هو تطويل النظر فى ذلك دليل على أن النظر غير الطويل معفو عنه (زهرة الحياة الدنيا) شبه  
 نعم الدنيا بالزهر وهو النوار ، لأن الزهر له منظر حسن ، ثم يذبل ويضمحل ، وفى نصب زهرة خمسة أوجه  
 أن ينصب بفعل مضممر على الذم ، أو يضمن متعنا معنى أعطينا ، ويكون زهرة مفعولاً ثانياً له ، أو يكون بدلا  
 من موضع الجار والمجرور أو يكون بدلا من أزواجاً على تقدير ذوى زهرة أو ينصب على الحال (لنفتنهم  
 فيه) أى لنختبرهم (لانسألك رزقا) أى لانسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك فتفرغ أنت وأهلك للصلاة فنحن

نَزَرُوكَ وَالْعَقَبَةُ لِلتَّقْوَى \* وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّهِ أَوْ لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى \*  
وَلَوْ أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذَلَّ  
وَيَخْزَى \* قُلْ كُلٌّ مَتْرَبٌ فَتَرْبِصُوا فَسْتَعْلَمُونَ مِنْ أَحْضَبِ الصَّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنْ أَهْتَدَى \*

## سورة الأنبياء

مكية وآياتها ١١٢ نزلت بعد سورة إبراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ \* مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ  
مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ \* لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ  
أَفَتَأْتُونَ السَّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ \* قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ \* بَلْ قَالُوا

نزرناك ، وكان بعض السلف إذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا أكرم الله ، ويتلو هذه الآية  
(أولم تأتوهم بيينة مافي الصحف الأولى) البيينة هنا البرهان ، والصحف الأولى هي التوراة والإنجيل وغيرهما  
من كتب الله ، والضمير في قالوا وفي أولم تأتوهم لقريش لما اقترحوا آية على وجه العناد والتعنت : أجاهم  
الله بهذا الجواب ، والمعنى قد جاءكم برهان مافي التوراة والإنجيل من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم ، فلأى  
شيء تطالبون آية أخرى ، ويحتمل أن يكون المعنى قد جاءكم القرآن وفيه من العلوم والقصص مافي الصحف  
الأولى ، فذلك بيينة وبرهان على أنه من عند الله (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله) الآية : معناها لو أهلكناهم  
هؤلاء الكفار قبل بعث محمد صلى الله عليه وسلم لاحتجوا على الله بأن يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولا ،  
ولولا هنا عرض فقامت عليهم الحجة ببعثه صلى الله عليه وسلم (قل كل متربص) أي قل كل واحد منا ومنكم  
منتظر لما يكون من هذا الأمر (فتربصوا) تهديد (الصراط السوي) المستقيم

## سورة الأنبياء عليهم السلام

(اقتراب للناس حسابهم) الناس لفظ عام ، وقال ابن عباس : المراد به هنا المشركون من قريش بدليل ما بعد ذلك ، لأنه  
من صفاتهم ، وإنما أخبر عن الساعة بالقرب ، لأن الذي مضى من الزمان قبلها أكثر مما بقي لها ولأن كل آت قريب  
(ما يأتوهم من ذكر من ربهم محدث) يعني بالذكر القرآن ، ومحدث : أي محدث النزول (وأسرأ النجوى الذين ظلموا)  
الواو في أسرأ ضمير فاعل يعود على ما قبله ، والذين ظلموا : بدل من الضمير ، وقيل إن الفاعل هو الذين ظلموا ، وجاء  
ذلك على لغة من قال أكلوني البراغيث ، وهي لغة نبي الحارث بن كعب ، وقال سيديويه لم تأت هذه اللغة في القرآن  
ويحتمل أن يكون الذين ظلموا منصوباً بفعل مضمر على الهم أو خبر ابتداء مضمر ، والأول أحسن (هل  
هذا إلا بشر مثلكم) هذا الكلام في موضع نصب بدل من النجوى ، لأنه هو الكلام الذي تناجوا به ،  
والبشر المذكور في الآية هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (قال ربني يعلم القول) إخبار بأنه ما تناجوا به على أنهم  
أسروه ، فإن قيل هلا قال يعلم السر مناسبة لقوله أسرأ النجوى ؟ فالجواب : أن القول يشمل السر والجمهور

أَضَعْتُ أَحْلَمَ بَلِّ أَقْرَبِهِ بَلِّ هُوَ شَاعِرٌ فُلْيَاتِنَا بَيَّةٌ كَمَا أَرْسَلَ الْأَوْلُونَ . مَا آمَنْتُ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا  
 أَفْهَمُ يُؤْمِنُونَ . وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ \*  
 وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُورَنَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَلْدِينَ . ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ  
 وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ . لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ \* وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً  
 وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ . فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَانَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ . لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ  
 فِيهِ وَمَسْكَنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ . قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ . فَزَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ  
 حَصِيدًا خَمِدِينَ \* وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْعَبِينِ . لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ لَاتَّخِذْنَاهُ مِنْ

فصل به ذكر السز وزيادة (بل قالوا أضغاث أحلام) أى أخلاط منامات ، وحكى عنهم هذه الأقوال الكثيرة  
 ليظهر اضطراب أمرهم وبطلان أقوالهم ( كما أرسل الأولون) أى كما جاء الرسل المتقدمون بالآيات فليأتنا  
 محمد بآية فالتشبيه في الإتيان بالمعجزة ( ما آمنت قبلهم من قرية أهلكتناها) لما قالوا فليأتنا بآية أخبرهم الله أن  
 الذين من قبلهم طلبوا الآيات فلما رأوها ولم يؤمنوا أهلكتها ، ثم قال ( أفهم يؤمنون) أى أن حالهم في عدم  
 الإيمان وفي الهلاك كحال من قبلهم ، ويحتمل أن يكون المعنى : أن كل قرية هلكت لم تؤمن فهؤلاء كذلك  
 ولا يكون على هذا جواباً لقولهم فليأتنا بآية بل يكون إخباراً مستأنفاً على وجه التهديد ؛ وأهلكتناها في  
 موضع الصفة لقرية ، والمراد أهل القرية ( وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً) رد على قولهم هل هذا إلا بشر مثلكم  
 والمعنى أن الرسل المتقدمين رجالاً من البشر فكيف تنكرون أن يكون هذا الرجل رسولا ( أهل الذكر)  
 يعنى أحبار أهل الكتاب ( وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام) أى ما جعلنا الرسل أجساداً غير طاعمين ، ووجد  
 الجسد لإرادة الجنس ، ولا يأكلون الطعام صفة لجسد ، وفي الآية رد على قولهم مال هذا الرسول يأكل  
 الطعام ( ومن نشاء) يعنى المؤمنين ( فيه ذكركم) أى شرفكم وقيل تذكيركم ( قصمنا) أى أهلكتنا ، وأصله من  
 قصم الظهر أى كسره ( من قرية) يريد أهل القرية ؛ قال ابن عباس : هى قرية باليمن يقال لها حضور  
 بعث الله إليهم نبياً فقتلوه فسلط الله عليهم بختصر ملك بابل فأهلكهم بالقتل ، وظاهر اللفظ أنه على العموم  
 لأن كم للكثير ، فلا يريد قرية معينة ( يركضون) عبارة عن فرارهم ، فيحتمل أن يكونوا ركبوا الدواب  
 وركضوها لتسرع الجرى أو شهبوا في سرعة جريهم على أرجلهم بمن يركض الدابة ( لا تركضوا) أى  
 قيل لهم لا تركضوا والقائل لذلك هم الملائكة قالوه تمكأ بهم ، أو رجال بختصر إن كانت القرية المعينة قالوا  
 ذلك لهم خداعاً ليرجعوا فيقتلوه ( أنرفتم) أى نعمتم ( لعلكم تسألون) تمكأ بهم وتويسخ أى ارجعوا إلى نعيمكم  
 ومساكنكم لعلكم تسألون عما جرى عليكم ، ويحتمل أن يكون تسألون بمعنى يطلب لكم الناس معروفكم  
 وهذا أيضاً تمكأ ( قالوا يا ويلنا) الآية اعتراف وندم حين لم ينفعهم ( حصيداً خامدين) شهبوا في هلاكهم  
 بالزرع المحصود ، ومعنى خامدين : موتى وهو تشبيه بخمود النار ( لاعبين) حال منفية أى ما خلقنا السموات

لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ \* بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ \* وَلَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ \* يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ \* أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ \* لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ \* لَا يَسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ \* أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ

والأرض لأجل اللعب بل للاعتبار بها، والاستدلال على صانعها (لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا) الله في لغة اليمين: الولد، وقيل المرأة، ومن لدنا: أى من الملائكة، فالمعنى على هذا لو أردنا أن نتخذ ولدأ لاتخذناه من الملائكة، لا من بنى آدم، فهو رد على من قال إن المسيح ابن الله وعزير ابن الله، والظاهر أن الله بمعنى اللعب لاتصاله بقوله لاعمين، وقال الزمخشري المعنى على هذا لو أردنا أن نتخذ لهواً لكان ذلك فى قدرتنا ولكن ذلك لا يليق بنا لأنه مناض للحكمة، وفى كلا القولين نظر (إن كنا فاعلين) يحتمل أن تكون إن شرطية وجوابها فيما قبلها، أو نافية، والأول أظهر (بل نقذف بالحق على الباطل) الحق عام فى القرآن والرسالة والشرع وكل ما هو حق، والباطل عام فى أضداد ذلك (فيدمغه) أى يقمعه ويبطله، وأصله من إصابة الدماغ (ومن عنده) يعنى الملائكة (ولا يستحسرون) أى لا يعيون ولا يملون (أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون) أم هنا للإضراب عما قبلها، والاستفهام على وجه الإنكار لما بعدها من الأرض يتعلق بينشرون والمعنى أن الآلهة التى اتخذها المشركون لا يقدرُونَ أن ينشروا الموتى من الأرض فليست بألهة فى الحقيقة لأن من صفة الإله القدرة على الإحياء والإماتة (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) هذا برهان على وحدانية الله تعالى، والضمير فى قوله فيهما للسموات والأرض، وإلا الله صفة لآلهة، وإلا بمعنى غير، فاقضى الكلام أمرين أحدهما نفي كثرة الآلهة، ووجوب أن يكون الإله واحداً، والأمر الثانى: أن يكون ذلك الواحد هو الله دون غيره، ودل على ذلك قوله إلا الله، وأما الأول فكانت الآية تدل عليه لولم تذكر هذه الكلمة، وقال كثير من الناس فى معنى الآية: إنها دليل على التمانع الذى أورده الأصوليون، وذلك أنا لو فرضنا إلهين فأراد أحدهما شيئاً وأراد الآخر نقيضه، فإما أن تنفذ إرادة كل واحد منهما وذلك محال لأن النقيضين لا يجتمعان، وإما أن لا تنفذ إرادة واحد منهما، وذلك أيضاً محال، لأن النقيضين لا يرتفعان معاً، ولأن ذلك يؤدى إلى عجزهما وقصورهما، فلا يكونان إلهين، وإما أن ينفذ إرادة واحد منهما دون الآخر، فالذى تنفذ إرادته هو الإله، والذى لا تنفذ إرادته ليس بإله، فالإله واحد. وهذا الدليل إن سلمنا صحته فلفظ الآية لا يطابقه، بل الظاهر من اللفظ استدلال آخر أصح من دليل التمانع، وهو أنه لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا، لما يحدث بينهما من الاختلاف والتنازع فى التدبير وقصد المغالبة، ألا ترى أنه لا يوجد ملكان اثنان لمدينة واحدة، ولا وليان لحظة واحدة (لا يستل عما يفعل) لأنه مالك كل شيء والمالك يفعل فى ملكه ما يشاء، ولأنه حكيم، فأفعاله كلها جارية على الحكمة (وهم يستلون) لفقد العلتين (أم اتخذوا من دونه آلهة) كره هذا الإنكار استعظاما للشرك ومبالغة فى تقييحه لأن قلبه من صفات الله ما يوجب توحيده وليناط به ما ذكر بعده من تعجيز المشركين وأنهم ليس لهم على الشرك برهان لا من جهة العقل ولا من جهة الشرع

هَذَا ذَكَرُ مَنْ مَعِيَ وَذَكَرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ۝ وَقَالُوا أَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ۝ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُرْسِلَ ۝ وَخَشِيَتِهِ مُشْفِقُونَ ۝ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذٰلِكَ نَجْزِي الظَّٰلِمِينَ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ الْأَرْضَ كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝

(هاتوا برهانكم) تعجز لهم وقد تكلمنا على هاتوا في البقرة (هذا ذكر من معي وذكر من قبلي) رد على المشركين والمعنى هذا الكتاب الذي معي والكتب التي من قبلي ليس فيهما ما يقتضي الإشراك بالله ، بل كلها متفقة على التوحيد (وما أرسلنا) الآية : رد على المشركين ، والمعنى أن كل رسول إنما أتى بلا إله إلا الله (عباد مكرمون) يعني الملائكة وهم الذين قال فيهم بعض الكفار أنهم بنات الله ، فوصفهم بالعبودية لأنها تناقض البتة ، ووصفهم بالكرامة ، لأن ذلك هو الذي غير الكفار حتى قالوا فيهم ما قالوا (لا يسبقونه بالقول) أي لا يتكلمون حتى يتكلم هو تأدبا معه (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) أي لمن ارتضى أن يشفع له ، ويحتمل أن تكون هذه الشفاعة في الآخرة أو في الدنيا وهي استغفارهم لمن في الأرض (مشفقون) أي خائفون (ومن يقل منهم) الآية على فرض أن لو قالوا ذلك ، ولكنهم لا يقولونه ، وإنما مقصد الآية الرد على المشركين وقيل إن الذي قال إنى إله هو إبليس لعنه الله (كانت ارتقا ففتقناهما) الرق مصدر وصف به ، ومعناه الملتصق بعضه ببعض الذي لا صدع فيه ولا فتح ، والفتح الفتح فقيل كانت السموات ملتصقة بالأرض ففتقها الله بالهواء ، وقيل كانت السموات ملتصقة بعضها ببعض والأرض كذلك ففتقها الله سبعا سبعا والرؤية في قوله أولم ير على هذا رؤية قلب ، وقيل فتح السماء بالمطر وفتح الأرض بالنبات ، فالرؤية على هذا رؤية عين (وجعلنا من الماء كل شيء حي) أي خلقنا من الماء كل حيوان ويعنى بالماء المنى وقيل الماء الذى يشرب لأنه سبب حياة الحيوان ، ويدخل في ذلك النبات باستعارة (رواسي) يعنى الجبال (أن تميد) تقديره كراهية أن تميد (فجاجا) يعنى الطرق الكبار ، وإعرا به عند الرخى من السبل ، لأنه صفة تقدمت على النكرة (لعلهم يهتدون) يعنى فى طرفهم وتصرفاتهم (سقفا محفوظا) أى حفظ من السقوط ومن الشياطين (عن آياتها معرضون) يعنى الكواكب والأمطار والرعد والبرق وغير ذلك (كل فى فلك يسبحون) التنوين فى كل عوض عن الإضافة أى كلهم فى فلك يسبحون يعنى الشمس والقمر دون الليل والنهار ، إذ لا يوصف الليل والنهار بالسبح فى الفلك فالجملة فى موضع حال من الشمس والقمر أو مستأنفا ، فإن قيل : لفظ كل ويسبحون جمع ، فكيف يعنى الشمس والقمر وهما اثنان ؟ فالجواب : أنه أراد جنس مطالعها كل يوم وليلة وهى كثيرة

وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنَّ مَتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ \* كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ  
فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ . وَإِذَا رَأَوْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا هَذَا الَّذِي يَذْكُرُ الْهَتَمُ وَهُمْ  
بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَفَرُوا \* خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ . وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا  
الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونُ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ  
يَنْصُرُونَ \* بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ . وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ  
خَاقَ بِالَّذِينَ سَخَّرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ \* قُلْ مَنْ يَكْلَأُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ

قاله الزمخشري وقال القرظوي: أراد الشمس والقمر وسائر الكواكب السيارة، وعبر عنهما بضمير الجماعة العقلاء في قوله يسبحون، لأنه وصفهم بفعل العقلاء وهو السبح، فإن قيل: كيف قال في فللك، وهي أفلاك كثيرة؟ فالجواب أنه أراد كل واحد يسبح في فللكه، وذلك كقولهم: كسأهم الأمير حلة أي كساكل واحد منهم حلة، ومعنى الفلك جسم مستدير، وقال بعض المفسرين إنه من موج، وذلك بعيد، والحق أنه لا يعلم صفته وكيفيته إلا بإخبار صحيح عن الشارع، وذلك غير موجود، ومعنى يسبحون يجرون، أو يدورون، وهو مستعار من السبح بمعنى العوم في الماء، وقوله كل في فللك من المقلوب الذي يقرأ من الطرفين (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) سديها أن الكفار طعنوا على النبي صلى الله عليه وسلم بأنه بشر يموت، وقيل إنهم تمنوا موته ليشمتوا به، وهذا أنسب لما بعده (أفإن مت فهم الخالدون) موضع دخول الهمزة فهم الخالدون وتقدمت لأن الاستفهام له صدر الكلام (كل نفس ذائقة الموت) أي كل نفس مخلوقة لا بد لها أن تذوق الموت، والذوق هنا استعارة (ونبلوكم بالشَّرِّ والخير) أي نختبركم بالفقر والغنى والصحة والمرض وغير ذلك من أحوال الدنيا ليظهر الصبر على الشر والشكر على الخير، أو خلاف ذلك (فتنة) مصدر من معنى نبلوكم (أهذا الذي يذكر آلهتكم) أي يذكرهم بالذم دلت على ذلك قرينة الحال، فإن الذكر قد يكون بدم أو مدح، والجملة تفسير للهمزة أي يقولون أهذا الذي (وهم بذكر الرحمن هم كافرون) الجملة في موضع الحال أي كيف ينكرون ذمك لآلهتهم وهم يكفرون بالرحمن، فهم أحق بالملامة، وقيل معنى بذكر الرحمن تسميته بهذا الاسم، لأنهم أنكروها، والأول أغرق في ضلالهم (خالق الإنسان من عجل) خالق شديد الاستعجال وجاءت هذه العبارة للبالغة: كقولهم خالق حاتم من جود، والإنسان هنا جنس، وسبب الآية: أن الكفار استعجلوا الآيات التي اقترحوها والعذاب الذي طلبوه، فذكر الله هذا توطئة لقوله فلا تستعجلون، وقيل المراد هنا آدم لأنه لما وصلت الروح إلى صدره أراد أن يقوم. وهذا ضعيف، وقيل من عجل: أي من طين، وهذا أضعف (سأريكم آياتي) وعيد وجواب على ما طلبوه من التعجيل (ويقولون) الآية: تفسير لاستعجالهم (الوعد) القيامة وقيل نزول العذاب بهم (لويعلم) جواب لو محذوف (حين) مفعول به ليعلموا: أي لويعلون الوقت الذي يحيط بهم العذاب لأنوا وما استعجلوا (بل تأتيمهم) الضمير الفاعل للنار، وقيل للساعة (تبهتهم) أي تفجؤهم (ولاهم ينظرون) أي لا يؤخرون عن العذاب (ولقد استهزى) الآية تسلية بالناسي (خفاق) أي أحاط (من يكلؤكم) أي من

رَبِّهِمْ مَعْرُضُونَ \* أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنْنَا يُصْحَبُونَ \* بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا تَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ \* قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ \* وَلَئِنْ مَسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يُوَيْلِنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ \* وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكُنَّا بِهَا حُسْبِينَ \* وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْفُرْقَانَ وَضِيَآءَ وَذَكَرْنَا لِلنَّاسِ الَّذِينَ يُجْشُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ \* وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ \* وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَلِيمِينَ \* إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ

بمخافتكم من أمر الله ، ومن استفهامية ، والمعنى تهديد ، وإقامة حجة ، لأنهم لو أجابوا عن هذا السؤال لا اعترفوا أنهم ليس لهم مانع ولا حافظ ، ثم جاء قوله ( بل هم عن ذكر ربهم معرضون ) بمعنى أنهم إذا سئلوا عن ذلك السؤال لم يجيبوا عنه لأنهم يقوم عليهم الحججة إن أجابوا ، ولكنهم يعرضون عن ذكر الله : أى عن الجواب الذى فيه ذكر الله ، وقال الزمخشري معنى الإضراب هنا أنهم معرضون عن ذكره فضلا عن أن يخافوا بأسه ( أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا ) أى تمنعهم من العذاب ، وأم هنا للاستفهام ، والمعنى الإنكار والنفي ، وذلك أنه لما سألهم عن يكلؤهم : أخبر بعد ذلك أن آلهتهم لا تمنعهم ولا تحفظهم ثم احتج عن ذلك بقوله : لا يستطيعون نصر أنفسهم ، فإن من لا ينصر نفسه أولى أن لا ينصر غيره ( ولا هم منا يصحبون ) الضمير للكفار : أى لا يصحبون منا بنصر ولا حفظ ( بل متعنا هؤلاء وآبائهم ) أى متعناهم بالنعمة والعافية فى الدنيا فاطغوا بذلك ونسوا عقاب الله ، والإضراب يبل عن معنى الكلام المتقدم : أى لم يحملهم على الكفر والاستمراء نصر ولا حفظ ، بل حملهم على ذلك أنا متعناهم وآبائهم ( نثقصا من أطرافها ) ذكر فى الرعد ( ولا يسمع الصم الدعاء ) إشارة إلى الكفار ، والصم استعارة فى إفراط إعراضهم ( نفحة ) أى خطرة وفيها تقليل العذاب ، والمعنى أنهم لورأوا أقل شيء من عذاب الله لاذعنوا واعترفوا بذنوبهم ( ونضع الموازين القسط ) أى العدل ، وإنما أفرد القسط وهو صفة للجمع ، لأنه مصدر وصف به كالعدل والرضا ، وعلى تقدير ذوات القسط ، ومذهب أهل السنة أن الميزان يوم القيامة حقيقة له كفتان ولسان وعمود توزن فيه الأعمال ، والخفة والثقل متعلقة بالأجسام ، إما صحف الأعمال ، أو ماشاء الله ، وقالت المعتزلة : إن الميزان عبارة عن العدل فى الجزاء ( ليوم القيامة ) ، وقال ابن عطية تقديره لحساب يوم القيامة ، أو الحكمة ، فهو على حذف مضاف وقال الزمخشري هو كقولك كتبت الكتاب استخلون من الشهر ( مثقال حبة ) أى وزنها والرفع على أن كان تامة ، والنصب على أنها ناقصة واسمها مضمرة ( الفرقان ) هنا التوراة ، وقيل التفرقة بين الحق والباطل بالنصر وإقامة الحججة ( وهذا ذكر ) يعنى القرآن ( رشده ) أى إرشاده إلى توحيد الله وكسر الأصنام وغير ذلك ( من قبل ) أى قبل موسى وهارون ، وقيل آتينا رشده قبل النبوة ( وكنا به

التَّمَائِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَكْفُونَ \* قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبْدِينَ \* قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ \* قَالُوا أَجْتَنَّا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّعْبِينَ \* قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَالِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ . وَتَاللَّهِ لَا كِيدَ إِلَّا لَكُم مِّنْ بَعْدِ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ . فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ \* قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ . قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ . قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ . قَالُوا آءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ . قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْتَوْهَمُوا . قَالُوا إِن كَانُوا يَنْطِقُونَ . فَارْجِعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِكُمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ . ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ . قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا

عالمين) أى علمناه أنه يستحق ذلك (التماثيل) يعنى الأصنام وكانت على صور بني آدم (وجدنا آباءنا) اعتراف بالتقليد من غير دليل (قالوا أجتنا بالحق) أى هل الذى تقول حق أم مزاح، وانظر كيف عبر عن الحق بالفعل، وعن اللعب بالجملة الإسمية، لأنه أثبت عندهم (فطرهن) أى خلقهن، والضمير للسماوات والأرض، أو التماثيل، وهذا أليق بالرد عليهم (بعد أن تولوا مدبرين) يعنى خروجهم إلى عيدهم (جذاذاً) أى فتاتاً، ويجوز فيه الضم والكسر والفتح، وهو من الجذ بمعنى القطع (إلا كبيراً لهم) ترك الصنم الكبير لم يكسره وعلق القدموم فى يده (لعلهم إليه يرجعون) الضمير للصنم الكبير أى يرجعون إليه فيسألونه فلا يجيبهم، فيظهر لهم أنه لا يقدر على شىء، وقيل الضمير لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، أى يرجعون إليه فيبين لهم الحق (قالوا من فعل هذا) قبله محذوف تقديره فرجعوا من عيدهم فرأوا الأصنام مكسورة، فقالوا من فعل هذا (فتى يذكروهم) أى يذكروهم بالذم وبقوله لا كيدن أصنامكم (يقال له إبراهيم) قيل إن إعراب إبراهيم منادى، وقيل خبر ابتداء مضمرة، وقيل رفع على الإهمال، والصحيح أنه مفعول لم يسم فاعله، لأن المراد الاسم لا المسمى وهذا اختيار ابن عطية والزحخشري (لعلهم يشهدون) أى يشهدون عليه بما فعل أو يحضرون عقوبتنا له (قال بل فعله كبيرهم) قصد إبراهيم عليه السلام بهذا القول تبكيته وإقامة الحجة عليهم، كأنه يقول إن كان إلهاً فهو قادر على أن يفعل، وإن لم يقدر فليس ياله ولم يقصد الإخبار المحض، لأنه كذب، فإن قيل: فقد جاء فى الحديث إن إبراهيم كذب ثلاث كذبات: أحدها قوله فعله كبيرهم، فالجواب أن معنى ذلك أنه قال قولاً ظاهراً الكذب، وإن كان القصد به معنى آخر، وبدل على ذلك قوله (فاسألوهم إن كانوا ينطقون) لأنه أراد به أيضاً تبكيتهم وبيان ضلالهم (فرجعوا إلى أنفسهم) أى رجعوا إليها بالفكرة والنظر، أو رجعوا إليها بالملامة (فقالوا إنكم أنتم الظالمون) أى الظالمون لأنفسكم فى عبادتكم ما لا ينطق ولا يقدر على شىء أو الظالمون لإبراهيم فى قولكم عنه إنه لمن الظالمين، وفى تعنيفه على أعين الناس (ثم نكسوا على رؤوسهم) استعارة لانتقادهم برجوعهم عن الاعتراف بالحق إلى الباطل والمعاندة (فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) أى فكيف تأمرنا بسؤالهم فهم قد اعترفوا بأنهم لا ينطقون،

وَلَا يَضُرُّكُمْ أَفْ لَكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ۝ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۝ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ۝ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ۝ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ۝ وَلُوطًا آتَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمٌ سَوَاءً فَاسْقِينَ ۝ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۝ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمٌ سَوَاءً فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَمُّ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ۝ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُ حُكْمًا

وهم مع ذلك يعبدونهم فهذه غاية الضلال في فعلهم ، وغاية المكابرة والمعاندة في جدالهم ، ويحتمل أن يكون نكسوا على رءسهم بمعنى رجوعهم من المجادلة إلى الانقطاع فإن قولهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون : إقرارهم بالزم منه أنهم مغلوبون بالحجة ، ويحتمل على هذا أن يكون نكسوا على رءسهم حقيقة : أى أطرفوا من الخجل لما قامت عليهم الحجة ( أف لكم ) تقدم الكلام على أف في الإسراء ( قالوا حرِّقوه ) لما غلبهم بالحجة رجعوا إلى التغاب عليه بالظلم ( قلنا يانار كوني برداً وسلاماً ) أى ذات برد وسلام ، وجاءت العبارة هكذا للمبالغة ، واختلاف كيف بردت النار فقيل أزال الله عنها ما فيها من الحر ، والإحراق ، وقيل دفع عن جسم إبراهيم حرها وإحراقها مع ترك ذلك فيها ، وقيل خلق بينه وبينها حائلاً ، ومعنى السلام هنا السلامة ، وقد روى أنه لولم يقل سلاماً لهلك إبراهيم من البرد وقد أضربنا عما ذكره الناس في قصة إبراهيم لعدم صحته ، ولأن ألفاظ القرآن لا تقتضيه ( إلى الأرض التي باركنا فيها ) هى الشام خرج إليها من العراق ، وبركتها بخصبها وكثرة الأنبياء فيها ( نافلة ) أى عطية ، والتنفيل العطاء ، وقيل سماه نافلة : لأنه عطاءه بغير سؤال ، فكانه تبرع ، وقيل الهبة إسحاق ، والنافلة يعقوب ، لأنه سأل إسحاق بقوله هب لى من الصالحين فأعطى يعقوب زيادة على ما سأل ، واختار بعضهم على هذا الوقف على إسحاق لبيان المعنى ، وهذا ضعيف لأنه معطوف على كل قول ( يهدون بأمرنا أى يرشدون الناس بإذننا ( ولوطاً ) قيل إنه انتصب بفعل مضمر يفسره آتيناها والأظهر أنه انتصب بالعطف على موسى وهارون أو إبراهيم وانتصب ونوحاً وداود وسليمان وما بعدهم بالعطف أيضاً ، وقيل بفعل مضمر تقديره اذكر ( آتيناها حكماً ) أى حكماً بين الناس : أو حكمة ( من القرية ) هى سدوم من أرض الشام ( وأدخلناه في رحمتنا ) أى في الجنة أو في أهل رحمتنا ( نادى من قبل ) أى دعا قبل إبراهيم ولوط ( من الكرب ) يعنى من الفرق ( ونصرناه من القوم ) تعدى نصرناه بمن لأنه مطاوع انتصر المنتدى بمن ، أو تضمن معنى نجيناه أو أجرناه ( وداود وسليمان ) كان داود نبياً ملكاً ، وكان ابنه سليمان ابن أحد عشر عاماً ( فى الحرث ) قيل زرع ، وقيل كرم ، والحرث يقال فيها ( إذ نفشت ) رعت فيه بالليل

وَعَلِمَا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ۗ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لْتَحْصِنَ مِنْكُمْ مِّنْ بَاسِكُمْ  
فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ۗ وَلِسَلِيمَانَ الرَّيْحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ

(لحكمهم) الضمير لداود وسليمان والمتخاصمين ، وقيل لداود وسليمان خاصة ، على أن يكون أقل الجمع  
اثنان (فقهناها سليمان) تخاصم إلى دوا درجلان دخلت غنم أحدهما على الآخر بالليل فأفسدته  
فقضى داود بأن يأخذ صاحب الزرع الغنم ، ووجه هذا الحكم أن قيمة الزرع كانت مثل قيمة  
الغنم فخرج الرجلان على سليمان وهو باليساب ، فأخبراهما بحكم به أبوه ، فدخل عليه فقال يابني الله لو حكمت  
بغير هذا كان أرفق للجميع ، قال وما هو؟ قال يأخذ صاحب الغنم الأرض ليصالحها حتى يعود زرعها كما كان ، ويأخذ  
صاحب الزرع الغنم وينتفع بألبانها وصوفها ونسلها ، وإذا أكمل الزرع ردت الغنم إلى صاحبها ، والأرض  
بزرعها إلى ربها ، فقال له داود : وقتت يابني ، وقضى بينهما بذلك ، ووجه حكم سليمان أنه جعل الانتفاع بالغنم  
بإزاء مافات من الزرع ، وواجب على صاحب الغنم أن يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان ، ويحتمل أن يكون  
ذلك إصلاحا لاحكما ، واختلف الناس هل كان حكمهما بوحى أو اجتهاد فن قال كان باجتهاد أجاز الاجتهاد  
للأنبياء ، وروى أن داود رجع عن حكمه لما تبين له أن الصواب خلافه ، وقد اختلف في جواز الاجتهاد  
في حق الأنبياء ، وعلى القول بالجواز اختلف ، هل وقع أم لا ؟ وظاهر قوله فقهناها سليمان : أنه كان  
باجتهاد نخص الله به سليمان ففهم القضية ، ومن قال كان بوحى جعل حكم سليمان ناسخا لحكم داود ،  
وأما حكم إفساد المواشى الزرع في شرعنا ، فقال مالك والشافعي : يضمن أرباب المواشى ما أفسدت  
بالليل دون النهار للحديث الوارد في ذلك ، وعلى هذا يدل حكم داود وسليمان ، لأن النفس لا يكون  
إلا بالليل ، وقال أبو حنيفة : لا يضمن ما أفسدت بالليل ولا بالنهار ، لقوله صلى الله عليه وسلم : العجاء جرحها  
جبار (وكلا آتيناه حكما وعلما) قيل يعني في هذه النازلة ، وأن داود لم يخطئ فيها ، ولكنه رجع إلى ما هو  
أرجح ، ويدل على هذا القول أن كل مجتهد مصيب ، وقيل بل يعني حكما وعلما في غير هذه النازلة ، وعلى  
هذا القول فإنه أخطأ فيها ، وأن المصيب واحد من المجتهدين (وسخّرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) كان  
هذا التسبيح قول سبحان الله ، وقيل الصلاة معه إذا صلى ، وقدم الجبال على الطير ، لأن تسبيحها أغرب إذ  
هي جماد (وكنا فاعلين) أي قادرين على أن نفعل هذا ، وقال ابن عطية : معناه كان ذلك في حقه لأجل أن داود  
استوجب ذلك مناصفة (صنعة لبوس) يعني دروع الحديد ، وأول من صنعها داود عليه السلام ، وقال ابن عطية  
اللبوس في اللغة السلاح وقال الزمخشري اللبوس اللباس (لتحصنكم من بأسكم) أي لتقيكم في القتال وقرئ بالياء  
والتاء والنون ، فالنون لله تعالى ، والتاء للصنعة ، والياء لداود أو لللبوس (فهل أتم شاكرون) لفظ استفهام ،  
ومعناه استدعاء إلى الشكر (وسليمان الريح عاصفة) عطف الريح على الجبال ، والعاصفة هي الشديدة فإن قيل :  
كيف يقال عاصفة وقال في صرخاء أي لينة ؟ فالجواب : أنها كانت في نفسها لينة عطية ، وكانت تسرع في جريها  
كالعاصف فجمعت الوصفين ، وقيل كانت رخاء في ذهابه ، وعاصفة في رجوعه إلى وطنه ، لأن عادة المسافرين الإسراع  
في الرجوع ؛ وقيل كانت تشتد إذا رفعت البساط وتلين إذا حملته (إلى الأرض التي باركنا فيها) يعني أرض  
الشام وكانت مسكنه وموضع ملكه نخص في الآية الرجوع إليها لأنه يدل على الانتقال منها (بغرضون له) أي

عَلِيْنَ ۚ وَمَنْ الشَّيْطَانِ مَنْ يَعُوضُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ۚ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۖ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَىٰ الْعَبِيدِ ۖ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ۖ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ ۖ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ۖ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ۖ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ لَهُ زَوْجَهُ

يدخلون في الماء ليستخرجوا له الجواهر من البحار ( عملا دون ذلك ) أقل من الغوص كالبنيان والخدمة (وكنالهم حافظين) أي نحفظهم عن أن يزيغوا عن أمره ، أو نحفظهم من إفساد ما صنعوه ، وقيل معناه عالمين بعددهم (وأيوب إذ نادى ربه) كان أيوب عليه السلام نبيا من الروم ، وقيل من بني إسرائيل ، وكان له أولاد و مال كثير فأذهب الله ماله فصبر ، ثم أهلك الأولاد فصبر ، ثم ساط البلاء<sup>(١)</sup> على جسمه فصبر إلى أن مر به قومه فشمته توابه ، فحينئذ دعا الله تعالى ، على أن قوله مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ليس تصريرا بالدعاء ، ولكنه ذكر نفسه بما يوجب الرحمة ووصف ربه بغاية الرحمة ابرحه ، فكان في ذلك من حسن التلطف ما ليس في التصريح بالطلب (فكشفتنا ما به من ضر) لما استجاب الله له أنبع له عينا من ماء فشرب منه واغتسل فبرئ من المرض والبلاء (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) روى أن الله أحيأ أولاده الموتى ورزقهم مثلهم معهم في الدنيا وقيل في الآخرة ، وقيل ولدت امرأته مثل عدد أولاد الموتى ومثلهم معهم ، وأخلف الله عليه أكثر مما ذهب من ماله (رحمة من عندنا) أي رحمة لا أيوب ، وذكرى لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر ، ويحتمل أن تكون الرحمة والذكرى معا للعابدين (وذا الكفل) قيل هو إلياس وقيل زكريا ، وقيل نبي بعث إلى رجل واحد ، وقيل رجل صالح غير نبي ، وسمى ذا الكفل : أي ذا الحظ من الله وقيل لأنه تكفل لليسع بالقيام بالأمر من بعده (وذا النون) هو يونس عليه السلام ، والنون هو الحوت نسب إليه لأنه التقمه ( إذ ذهب مغاضبا) أي مغاضبا لقومه إذ كان يدعوهم إلى الله فيكفرون حتى أدركه ضجر منهم فخرج عنهم ، ولذلك قال الله ولا تكن كصاحب الحوت ، ولا يصح قول من قال مغاضبا لربه (فظن أن لن نقدر عليه) أي ظن أن نضيق عليه ، فهو من معنى قوله قدر عليه رزقه ، وقيل هو من القدر والقضاء : أي ظن أن لن نضيق عليه بعقوبة ، ولا يصح قول من قال إنه من القدرة (فنادى في الظلمات) قيل هذا الكلام محذوف لبيانه في غير هذه الآية ، وهو أنه لما خرج ركب السفينة فرمى في البحر فالتقمه الحوت فنادى في الظلمات ، وهي ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت ويحتمل أنه عبر بالظلمة عن بطن الحوت لشدة ظلمته كقوله وتركهم في ظلمات (أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) أن مفسرة أو مصدرية على تقدير نادى بأن ، والظلم الذي اعترف به كونه لم يصبر على قومه وخرج عنهم (ونجيناه من الغم) يعنى من بطن الحوت وإخراجه إلى البر<sup>(٢)</sup> (وكذلك ننجي المؤمنين) يحتمل أن يكون مطلقا أو لمن دعا بدعاء يونس ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوة أخى يونس ذى النون مادعا بهامكروب إلا استجيب له ( لا تذرني

(١) المراد بالبلاء المرض الذى أصابه وهو مرض باطنى لا تتفر منه الطباع البشرية لعصمة الأنبياء من ذلك

إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ \* وَالَّتِي أَحْصَيْتَ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ . إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون \* وَتَقَطَّعُوا أَعْرَابَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلَّ إِلِيْنَارَاجِعُونَ . فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ . وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ . حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْتُمَا بِأُجُوجٍ وَمَآجُوجٍ وَوَهْمٍ مِنَ كُلِّ قَرْيَةٍ يَنْسُلُونَ . وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُؤْيَلْنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ . إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَتُمْ لَهَا وَارِدُونَ \* لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلَ اللَّهِ

فرداً) أى بلا ولد ولا وارث (وأنت خير الوارثين) إن لم ترزقنى وارثاً فأنت خير الوارثين ، فهو استسلام لله (وأصلحنا له زوجه) يعنى ولدت بعد أن كانت عقيماً ، واسم زوجته أشياح ، قاله السهيلي (يسارعون في الخيرات) والضمير الأنبياء المذكورين (رغباً ورهباً) الرغب الرجاء ، والرهب الخوف ، وقيل الرغب أن ترفع إلى السماء بطون الأيدي ، والرهب أن ترفع ظهورها (والتي أحصت فرجها) هي مريم بنت عمران ومعنى أحصت من العفة أى أعتقه عن الحرام والحلال ، كقولها لم يمسنى بشر (ففخنا فيها من روحنا) أى أجرينا فيها روح عيسى لما نفخ جبريل في جيب درعها ، ونسب الله النفخ إلى نفسه لأنه كان بأمره والروح هنا هو الذى فى الجسد ، وأضاف الله الروح إلى نفسه للتشريف أو لذلك (آية) أى دلالة ، ولذلك لم يثن (إن هذه أمتكم) أى ملتكم . لمة واحدة ، وهو خطاب للناس كافة ، أو للمعاصرين لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم : أى إنما بعث الأنبياء المذكورين بما أمرتم به من الدين ، لأن جميع الأنبياء متفقون فى أصول العقائد (فتقطعوا أعرابهم) أى اختلفوا فيه ، وهو استعارة من جعل الشيء قطعاً ، والضمير للدخاطبيين ، قيل فالأصل تقطعتهم (فلا كفران لسعيه) أى لإبطال ثواب عمله (وإننا له كاتبون) أى نكتب عمله فى صحيفته (وحرام على قرية أهلكتها أنهم لا يرجعون) قرئ حرام بكسر الحاء وهو بمعنى حرام ، واختلف فى معنى الآية ، فقيل حرام بمعنى تمتع على قرية أراد الله إهلاكها أن يرجعوا إلى الله بالتوبة ، أو تمتع على قرية أهلكتها الله أن يرجعوا إلى الدنيا ، ولا زائدة فى الوجهين ، وقيل حرام بمعنى حتم واقع لا محالة ، ويتصور فيه الوجهان ، وتكون لا نافية فىهما أى حتم عدم رجوعهم إلى الله بالتوبة أو حتم عدم رجوعهم إلى الدنيا وقيل المعنى تمتع على قرية أهلكتها الله أنهم لا يرجعون إليه فى الآخرة ، ولا على هذا نافية أيضاً ، فقيه رد على من أنكر البعث (حتى إذا فتحت بأجوج ومأجوج) حتى هنا حرف ابتداء أو غاية متعلقة بـ يرجعون ، وجواب إذا : فإذا هى شاخصة ، وقيل الجواب يؤولنا لأن تقديره يقولون يؤولنا ، وفتحت بأجوج ومأجوج أى فتح سدها فحذف المضاف (وهم من كل حدب ينسلون) الحدب المرتفع من الأرض ، وينسلون : أى يسرعون ، والضمير ليأجوج ومأجوج : أى يخرجون من كل طريق لكثرتهم ، وقيل لجميع الناس (الوعد الحق) يعنى القيامة (فإذا هى شاخصة) إذا هنا للدفاجأة ، والضمير عند سيديويه ضمير القصة ، وعند الفراء ، للأبصار ، و شاخصة من الشخوص وهو إحداد النظر من الخوف (إنكم وما تعبدون من دون الله حسب

مَاوردوها وكل فيها خالِدُونَ . لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ، إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنِ أُولَئِكَ  
عَنْهَا مُبْعَدُونَ . لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ . لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّهِمُ  
الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمَهُمُ الَّذِي كُتِمَ تُوْعَدُونَ . يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ  
نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ . وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ  
الصَّالِحُونَ . إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ . وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ \* قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَمَّا

جهنم) هذا خطاب للشركيين ، والحصب : ما توقد به النار : كالحطب وقرا على بن أبي طالب رضي الله عنه  
« حطب جهنم ، والمراد بما تعبدون الأصنام وغيرها تحرق في النار توييخا لمن عبدها (واردون) الورد  
هنا الدخول (زفير) ذكر في هود (لا يسمعون) قيل يجعلون في ترابيت من نار فلا يسمعون شيئا ، وقيل  
يصمهم الله كما يصمهم (إن الذين سبقت لهم من الحسن) سبقت أي قضيت في الأزل ، والحسن السعادة ، ونزلت  
الآية لما اعترض ابن الزبيري على قوله : إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ، فقال إن  
عيسى وعزير والملائكة قد عبدوا ، فالمعنى إخراج هؤلاء من ذلك الوعيد ، واللفظ مع ذلك على عمومته  
في كل من سبق له السعادة (حسيسها) أي صوتها (الفرع الأكبر) أهوال القيامة على الجملة ، وقيل ذبح الموت  
وقيل النفخة الأولى في الصور لقوله ففرع من السموات ومن في الأرض (كطي السجل للكتب) السجل  
الصحيفة والكتاب مصدر : أي كيطوي السجل ليكتب فيه ، أوليضان الكتاب الذي فيه ، وقيل السجل  
رجل كاتب وهذا ضعيف ، وقيل هو ملك في السماء الثانية ترفع إليه الأعمال ، وهذا أيضا ضعيف (كابدأنا  
أول خلق نعيده) أي كما قدرنا على البداءة نقدر على الإعادة ، فهو كقوله قل يحييها الذي أنشأها أول مرة ،  
وقيل المعنى نعيدهم على الصورة التي بدأناهم كما جاء في الحديث : يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا ،  
ثم قرأ كما بدأنا أول خلق نعيده ، والكاف متعلقة بقوله نعيده (فاعلين) تأكيذا لوقوع البعث ( ولقد كتبنا  
في الزبور من بعد الذكر ) في الزبور هنا قولان : أحدهما أنه كتاب داود ، والذكر هنا على هذا التوراة التي  
أنزل الله على موسى ، وما في الزبور من ذكر الله تعالى ، والقول الثاني أن الزبور جنس الكتب التي أنزلها  
الله على جميع الأنبياء ، والذكر على هذا هو اللوح المحفوظ : أي كتب الله هذا في الكتاب الذي أفرده بعد  
ما كتبه في اللوح المحفوظ حين قضى الأمور كلها ، والأول أرجح ، لأن إطلاق الزبور على كتاب داود  
أظهر وأكثر استعمالا ، ولأن الزبور مفرد فدلالته على الواحد أرجح من دلالته على الجمع ، ولأن النص  
قد ورد في زبور داود بأن الأرض يرثها الصالحون (أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) الأرض هنا على  
الإطلاق في مشارق الأرض ومغاربها ، وقيل الأرض المقدسة ، وقيل أرض الجنة ، والأول أظهر ، والعباد  
الصالحون : أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ففي الآية ثناء عليهم ، وإخبار بظهور غيب مصداقه في الوجود  
إذ فتح الله لهذه الأمة مشارق الأرض ومغاربها ( وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ) هذا خطاب لسيدنا محمد  
صلى الله عليه وآله وسلم ، وفيه تشریف عظيم ، وانتصب رحمة على أنه حال من ضمير المخاطب المفعول ،

إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۝ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبٌ أَمْ بَعِيدٌ ۝  
مَا تَوْعَدُونَ ۝ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ۝ وَإِنْ أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝  
قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝

## سورة الحج

مدينة إلا الآيات ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ فبين مكة والمدينة وآياتها ٧٨ نزلت بعد النور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوُنَّ تَدْهُلُ كُلُّ  
مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ

والمعنى على هذا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الرحمة ، ويحتمل أن يكون مصدرا في موضع الحال من ضمير الفاعل تقديره : أرسلناك راحمين للعالمين ، أو يكون مفعولا من أجله ، والمعنى على كل وجه : أن الله رحم العالمين بإرسال سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنه جاءهم بالسعادة الكبرى ، والنجاة من الشقاوة العظمى ، ونالوا على يديه الخيرات الكثيرة في الآخرة والأولى ، وعليهم بعد الجهالة وهداهم بعد الضلالة ، فإن قيل : رحمة للعالمين عموم والكفار لم يرحموا به فالجواب من وجهين : أحدهما أنهم كانوا معرضين للرحمة به لو آمنوا فهم الذين تركوا الرحمة بعد تعريضها لهم ، والآخر أنهم رحموا به لكونهم لم يعاقبوا بمثل ما عوقب به الكفار المتقدمون من الطوفان والصيحة وشبه ذلك (آذنتكم على سواء) أى أعلمتكم بالحق على استواء في الإعلام وتبليغ إلى جميعكم لم يختص به واحد دون آخر (وإن أدري أقرب أم بعيد ما توعدون) إن هنا وفي الموضع الآخر نافية ، وأدري فعل علق عن معموله لأنه من أفعال القلوب وما بعده في موضع المعمول من طريق المعنى فيجب وصله معه ، والهمزة في قوله أقرب للتسوية لا مجرد الاستفهام ، وقيل يوقف على إن أدري في الموضعين ، ويتبدأ بما بعده ، وهذا خطأ لأنه يطلب ما بعده (لعله فتنة) الضمير لإمهالهم وتأخير عقوبتهم (ومتاع إلى حين) أى الموت أو القيامة (المستعان على ما تصفون) أى أستعين به على الصبر على ما تصفون من الكفر والتكذيب

## سورة الحج

(اتقوا ربكم) تكلمنا على التقوى في أول البقرة (إن زلزلة الساعة) أى شدتها وهولها كقوله وزلزلوا، أو تحريك الأرض حينئذ كقوله إذا زلزلت الأرض زلزالها ، والجملة تعليل للأمر بالتقوى ، واختلف هل الزلزلة والشدائد المذكورة بعد ذلك في الدنيا بين يدي القيامة ، أو بعد أن تقوم القيامة ، والأرجح أن ذلك قبل القيامة ، لأن في ذلك الوقت يكون ذهول المرضة ووضع الحامل لا بعد القيامة (يوم ترونها) العامل في الظرف تذهل ، والضمير للزلزلة ، وقيل الساعة ، وذلك ضعيف لما ذكرنا إلا أن يريد ابتداء أمرها (تذهل) الذهول هو الذهاب عن الشيء مع دهشة (مرضة) إنما لم يقل مرضع ، لأن المرضة هي التي

اللَّهُ شَدِيدٌ \* وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مُرِيدٍ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ تَوَلَاةٍ فَانَّهُ يَضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ آعَذَابِ السَّعِيرِ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لَتَبَلِّغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَىٰ أَوْ مِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ \* ذَلِكَ بَأَنَّ

في حال الإرضاع ملقمة ثديها للصبى ، والمرضع التي شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به ، فقال مرضعة ليكون ذلك أعظم في الذهول إذ تزع ثديها من فم الصبي حينئذ (وترى الناس سكارى) تشبيهه بالسكارى من شدة الغم (وما هم بسكارى) نفي لحقيقة السكر ، وقرئ سكرى والمعنى متفق (ومن الناس من يجادل في الله) نزلت في النضر بن الحارث ، وقيل في أبي جهل ، وهي تتناول كل من اتصف بذلك (شيطان مرید) أى شديد الإغواء ، ويحتمل أن يريد شيطان الجن أو الإنس (كتب) تمثيل لثبوت الأمر كأنه مكتوب ، ويحتمل أن يكون بمعنى قضى كقولك كتب الله أنه في موضع المفعول الذى لم يسم فاعله وفي أنه عطف عليه وقيل تأكيد (من تولاه) أى تبعه أو اتخذها وليا ، والضمير في عليه وفي أنه في الموضوعين وفي تولاه للشيطان ، وفي يضلّه ، ويهديه للمتولى له ، ويحتمل أن تكون تلك الضمائر أولا لمن يجادل (يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث) الآية : معناها إن شككتم في البعث الأخرى فزوال ذلك الشك أن تنظروا في ابتداء خلقكم فتعلموا أن الذى قدر على أن خلقكم أول مرة : قادر على أن يعيدكم ثانى مرة ، وأن الذى قدر على إخراج النبات من الأرض بعد موتها : قادر على أن يخرجكم من قبوركم (خلقناكم من تراب) إشارة إلى خلق آدم ، وأسند ذلك إلى الناس لأنهم من ذريته وهو أصلهم (من علقه) العلقه قطعة من دم جامدة (من مضغة) أى قطعة من لحم (مخلقة) المخلقة التامة الخلقه ، وغير المخلقة الغير التامة : كالسقط ، وقيل المخلقة المساواة السالمة من النقصان (لنبيين لكم) اللام تتعلق بمحذوف تقديره ذكرنا ذلك لنبيين لكم قدرتنا على البعث (ونقر) فعل مستأنف (إلى أجل مسمى) يعنى وقت وضع الحمل وهو مختلف وأقله ست أشهر إلى ما فوق ذلك (نخرجكم طفلا) أفرده لأنه أراد الجنس ، أو أراد نخرج كل واحد منكم طفلا (لتبلغوا أشدكم) هو كمال القوة والعقل والتمييز. وقد اختلف فيه من ثمانى عشرة سنة إلى خمس وأربعين (أرذل العمر) ذكر في النحل (هامة) يعنى لانبات فيها (اهتزت) تحركت بالنبات وتخالخت أجزاءها لما دخلها الماء (وربت) انتفخت (زوج بهيج) أى صنف عجيب (ذلك بأن الله هو الحق) أى ذلك المذكور من أمر الإنسان والنبات حاصل ، بأن الله هو الحق ، هكذا قدره الزمخشري ، والباء على هذا سببية ، وبهذا المعنى أيضا فسره ابن عطية ، ويلزم على هذا أن لا يكون قوله : وأن الساعة آتية : معطوفا على ذلك ، لأنه ليس بسبب لما ذكر ، فقال ابن عطية قوله أن الساعة ليس بسبب لما ذكر ، ولكن المعنى أن الأمر مرتبط ببعضه ببعض ، أو على تقدير والأمر أن الساعة وهذا الجوابان اللذان ذكر ابن عطية ضعيفان : أما قوله إن الأمر مرتبط ببعضه ببعض فالارتباط هنا إنما يكون بالعطف ، والعطف لا يصح ، وأما قوله على تقدير الأمر أن الساعة ، فذلك استئناف

الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير \* وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور \* ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير \* ثانی عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق \* ذلك بما قدمت يدك وأن الله ليس بظلم للعبيد \* ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين \* يدعوا من دون الله مالا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلل البعيد \* يدعوا لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير \* إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد \* من كان يظن أن لن ينصره الله في

وقطع للكلام الأول ، ولاشك أن المقصود من الكلام الأول : هو إثبات الساعة فكيف يجعل ذكرها مقطوعا مما قبله ، والذي يظهر لي أن الباء لبست بسببية ، وإنما يقدر لها فعل تتعلق به ويقتضيه المعنى ؛ وذلك أن يكون التقدير ذلك الذي تقدم من خلقه الإنسان والنبات شاهد بأن الله هو الحق ، وأنه يحيي الموتى ، وبأن الساعة آتية فيصح عطف وأن الساعة على ما قبله بهذا التقدير ، وتكون هذه الأشياء المذكورة بعد قوله ذلك مما استدل عليها بخلق الإنسان والنبات (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) نزلت فيمن نزلت فيه الأولى وقيل في الأخنس بن شريق (ثاني عطفه) كناية عن المتكبر المعرض (له في الدنيا خزي) إن كانت في النضر بن الحارث : فالخزي أسره ثم قتله ، وكذلك قتل أبي جهل (ذلك بما قدمت يدك) أي يقال له ذلك بما فعلت وبعدل الله ، لأنه لا يظلم العباد (من يعبد الله على حرف) نزلت في قوم من الأعراب كان أحدهم إذا أسلم فاتفق له ما يعجبه في ماله وولده قال هذا دين حسن ، وإن اتفق له خلاف ذلك تشاهم به وارتد عن الإسلام ، فالحرف هنا كناية عن المقصد ، وأصله من الانحراف عن الشيء ، أو من الحرف بمعنى الطرف أي أنه في طرف من الدين لاني وسطه (خسر الدنيا والآخرة) خسارة الدنيا بما جرى عليه فيها ، وخسارة الآخرة بارتداده وسوء اعتقاده (مالا يضره) يعني الأصنام ويدعو بمعنى يعبد في الموضوعين (يدعوا لمن ضره أقرب من نفعه) فيها إشكالان : الأول في المعنى وهو كونه وصف الأصنام بأنها لا تضر ولا تنفع ، ثم وصفها بأن ضررها أقرب من نفعها ففي الضرر ثم أثبتته ، فالجواب أن الضر المنفي أو لا يراد به ما يكون من فعلها وهي لا تفعل شيئا ، والضر الثاني يراد به ما يكون بسببها من العذاب وغيره ، والاشكال الثاني دخول اللام على من وهي في الظاهر مفعول واللام لا تدخل على المفعول ، وأجاب الناس عن ذلك بثلاثة أوجه : أحدها أن اللام مقدمة على موضعها ، كأن الأصل أن يقال يدعوا من لضره أقرب من نفعه ، فوضعها الدخول على المبتدأ ، والثاني أن يدعو هنا كررتا كيداً ليدعوا الأول وتم الكلام عنده ، ثم ابتدأ قوله لمن ضره ، فمن مبتدأ وخبره لبئس المولى ، وثالثها أن معنى يدعو يقول يوم القيامة هذا الكلام إذا رأى ضرة الأصنام فدخلت اللام على مبتدأ في أول الكلام (المولى) هنا بمعنى الولي (العشير) صاحب فهو من العشيرة (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية : لما ذكر أن

الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ فَلْيَمْدُدْ سَبَبَ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يَذْهَبُ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ \* وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ  
 آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ \* إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصْرِيَّةَ وَالْمَجُوسَ  
 وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ \* أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي

الأصنام لا تنفع من عبدها ، قابل ذلك بأن الله ينفع من عبده بأعظم النفع ، وهو دخول الجنة (فليمدد بسبب  
 إلى السماء ثم ليقطع) السبب هنا الجبل ، والسماء هنا سقف البيت وشبهه من الأشياء التي تعلق منها الجبال ، والقطع  
 هنا يراد به الاختناق بالجبل ، يقال قطع الرجل إذا اختنق ، ويحتمل أن يراد به قطع الرجل من الأرض بعد  
 ربط الجبل في العنق ، وربطه في السقف ، والمراد بالاختناق هنا ما يفعله من اشتد غيظه وحسرتة أو طمعا  
 فيما لا يصل إليه ، كقوله للحسود : مت كذا ، أو اختنق ؛ فإنك لا تقدر على غير ذلك ، وفي معنى الآية قولان  
 الأول أن الضمير في نصره لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والمعنى على هذا من كان من الكفار يظن أن لن  
 ينصر الله محمدا فليختنق بجبل ، فإن الله ناصره ولا بد على غيظ الكفار ، فوجب الاختناق هو الغيظ من  
 نصره سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والقول الثاني أن الضمير في نصره عائد على من ، والمعنى على هذا من  
 ظن بسبب ضيق صدره وكثرة غمه أن لن ينصره الله : فليختنق وليت بغظه ، فإنه لا يقدر على غير ذلك ،  
 فوجب الاختناق على هذا القنوط والسخط من القضاء وسوء الظن بالله حتى يئس من نصره ، ولذلك فسر بعضهم  
 أن لن ينصره الله بمعنى أن لن يرزقه ، وهذا القول أرجح من الأول لوجهين : أحدهما أن هذا القول مناسب  
 لمن يعبد الله على حرف ، لأنه إذا أصابته فتنة انقلب وقط حتى ظن أن الله لن ينصره ، فيكون هذا الكلام  
 متصلا بما قبله : ويدل على ذلك قوله قبل هذه الآية : إن الله يفعل ما يريد : أي الأمور بيد الله فلا ينبغي لأحد  
 أن يتسخط من قضاء الله ولا ينقلب إذا أصابته فتنة ، والوجه الثاني ، أن الضمير في نصره على هذا القول  
 يعود على ما تقدمه وأما على القول الأول فلا يعود على ما ذكر قبله لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يذكر  
 قبل ذلك بحيث يعود الضمير عليه ولا يدل سياق الكلام عليه دلالة ظاهرة (فلينظر هل يذهب كيد ما يغيب)  
 الكيد هنا يراد به اختناقه ، وسمى كيدا لأنه وضعه موضع الكيد ، إذ هو غاية حيلته ، والمعنى إذا خنق نفسه  
 فلينظر هل يذهب ذلك ما يغيبه من الأمر ، أي ليس يذهب (وكذلك أنزلناه) الضمير للقرآن أي مثل هذا  
 أنزلنا القرآن كله ( آيات بينات وأن الله يهدي من يريد) قال ابن عطية أن في موضع خبر الابتداء والتقدير  
 الأمر أن الله ، وهذا ضعيف ، لأن فيه تكلف إضمار وقطع للكلام عن المعنى الذي قبله ، وقال الزمخشري  
 التقدير لأن الله يهدي من يريد أنزلناه كذلك آيات بينات ، فجعل أن تعليلا للإنزال ، وهذا ضعيف للفصل  
 بينهما بالواو والصحيح عندي أن قوله وأن الله معطوف على آيات بينات ، لأنه مقدر بالمصدر ، فالتقدير  
 أنزلناه آيات بينات وهدى لمن أراد الله أن يهديه (والصابئين) ذكر في البقرة وكذلك الذين هادوا (والمجوس)  
 هم الذين يعبدون النار ، ويقولون : إن الخير من النور والشر من الظلمة (والذين أشركوا) هم الذين يعبدون  
 الأصنام من العرب وغيرهم (إن الله يفصل بينهم) هذه الجملة هي خبر إن الذين آمنوا والذين هادوا الآية ،  
 وكررت مع الخبر للتأكيد ، ونصل الله بينهم بأن يبين لهم أن الإيمان هو الحق ، وسائر الأديان باطلة ، وبأن

السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ  
وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِ اللَّهُ قَلَهُ مِنْ مُّكْرَمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ه هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا  
فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يَصُبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ه يَصْهَرُ بِهِ مَافِي بَطُونِهِمْ  
وَالْجُلُودُ \* وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِّنْ حَدِيدٍ \* كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ \*  
إِنَّ اللَّهَ يَدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ

يدخل الذين آمنوا الجنة ويدخل غيرهم النار (يسجد له من في السموات ومن في الأرض) دخل في هذا من  
في السموات من الملائكة ومن في الأرض من الملائكة والجن ولم يدخل الناس في ذلك لأنه ذكرهم في  
آخر الآية ، إلا أن يكون ذكرهم في آخرها على وجه التجريد ، وليس المراد بالسجود هنا السجود المعروف  
لأنه لا يصح في حق الشمس والقمر وما ذكر بعدهما ، وإنما المراد به الانقياد ثم إن الانقياد يكون على وجهين  
أحدهما الانقياد لطاعة الله طوعا ، والآخر الانقياد لما يجرى الله على المخلوقات في أفعاله وتدييره شأوا  
أو أبوا (وكثير من الناس) إن جعلنا السجود بمعنى الانقياد لطاعة الله ، فيكون كثير من الناس معطوفا على  
ما قبله من الأشياء التي تسجد ويكون قوله وكثير حق عليه العذاب مستأنفا يراد به من لا ينقاد للطاعة  
ويوقف على قوله وكثير من الناس ، وهذا القول هو الصحيح ؛ وإن جعلنا السجود بمعنى الانقياد لقضاء الله  
وتدييره فلا يصح تفضيل الناس على ذلك إلى من يسجد ومن لا يسجد لأن جميعهم يسجد بذلك المعنى ، وقيل  
إن قوله وكثير من الناس معطوف على ما قبله ثم عطف عليه كثير حق عليه العذاب فالجميع على هذا يسجد  
وهذا ضعيف لأن قوله حق عليه العذاب يقتضى ظاهره أنه إنما حق عليه العذاب بتركه للسجود ، وتأوله الزمخشري  
على هذا المعنى ، بأن إعراب كثير من الناس فاعل بفعل مضمر تقديره يسجد سجود طاعة أو مرفوع بالابتداء  
وخبره محذوف تقديره مثاب وهذا تكلف بعيد (هذان خصمان) الإشارة إلى المؤمنين والكفار على العموم  
ويدل على ذلك ما ذكر قبلها من اختلاف الناس في أديانهم ، وهو قول ابن عباس ، وقيل نزلت في علي  
ابن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث حين برزوا يوم بدر لعنته بن ربيعة ، وشيبة بن  
ربيعة ، والوليد بن عتبة ، فالآية على هذا مدنية إلى تمام ست آيات ، والخضم يقع على الواحد والاثنين  
والجماعة ، والمراد به هنا الجماعة ؛ والإشارة بهذان إلى الفريقين (اختصموا في ربهم) أى في دينه وفي  
صفاته والضمير في اختصموا بالجماعة الفريقين (فالذين كفروا) الآية : حكم بين الفريقين بأن جعل  
للكفار النار وللؤمنين الجنة المذكورة بعد هذا (قطعت لهم ثياب من نار) أى فصلت على قدر أجسادهم ،  
وهو مستعار من تفصيل الثياب (الحميم) الماء الحار (يصر به مافي بطونهم) أى يذاب ، وذلك أن الحميم إذا  
صب على رؤسهم وصل حره إلى بطونهم فأذاب ما فيها ، وقيل معنى يصر ينضج (مقامع) جمع مقمعة  
أى مقرفة (من حديد) يضربون بها ، وقيل هى السياط (من غم) بدل من المجرور قبله (وذوقوا) التقدير يقال  
لهم ذوقوا (من أساور من ذهب) من لبيان الجنس أو للتبويض وفسرنا الأساور في الكهف (ولؤلؤا)

وَلَوْ لَوْثًا وَّلَبَّاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۚ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى الصِّرَاطِ الْحَمِيدِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا  
وَيَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يَرُدْ فِيهِ  
يُحَادِّثْهُمْ نَذْفُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ \* وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ  
وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ۚ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۚ

بالنصب مفعول بفعل مضمر أى يعطون لؤلؤا ، أو معطوف على موضع من أساور إذ هو مفعول ، وبالخفض معطوف على أساور أو على ذهب (الطيب من القول) قيل هو لا إله إلا الله ، واللفظ أعم من ذلك (صراط الحميد) أى صراط الله ، فالحميد اسم الله ، ويحتمل أن يريد الصراط الحميد ، وأضاف الصفة إلى الموصوف كقولك مسجد الجامع (إن الذين كفروا) خبره محذوف يدل عليه قوله نذفه من عذاب أليم ، وقيل الخبر يصدون على زيادة الواو ، وهذا ضعيف ، وإنما قال يصدون بلفظ المضارع ليدل على الاستمرار على الفعل (سواء) بالرفع مبتدأ وخبره مقدر والجملة في موضع المفعول الثانى لجعلنا ، وقرئ بالنصب على أنه المفعول الثانى والعاكف فاعل به (العاكف فيه والباد) العاكف المقيم فى البلد والبادى القادم عليه من غيره والمعنى أن الناس سواء فى المسجد الحرام لا يختص به أحد دون أحد وذلك إجماع ، وقال أبو حنيفة حكم سائر مكة فى ذلك كالمسجد الحرام ، فيجوز للقادم أن ينزل منها حيث شاء ، وليس لأحد فيها ملك ، والمراد عنده بالمسجد الحرام جميع مكة ، وقال مالك وغيره ليست الدور فى ذلك كالمسجد ، بل هى متملكة (بالحداد بظلم) الإلحاد الميل عن الصواب ، والظلم هنا عام فى المعاصى من الكفر إلى الصغائر ، لأن الذنوب فى مكة أشد منها فى غيرها ، وقيل هو استحلال الحرام ومفعول يرد محذوف تقديره من يرد أحداً أو من يرد شيئاً ، وبالحداد بظلم : حالان مترادفان ، وقيل المفعول قوله بالحداد على زيادة الباء (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت العامل فى إذ مضمرة تقديره اذكر وبوأنا أصله من باه بمعنى رجع ، ثم ضعف ليتعدى ، واستعمل بمعنى أنزلنا فى الموضع كقوله تبوء المؤمنون ، إلا أن هذا المعنى يشكل هنا لقوله لإبراهيم لتعدى الفعل باللام ، وهو يتعدى بنفسه حتى قيل اللام زائدة ، وقيل معناه هيأنا ، وقيل جعلنا ، والبيت هنا الكعبة ، وروى أنه كان آدم يعبد الله فيه ، ثم درس بالطوفان ، فدل الله إبراهيم عليه السلام على مكانه ، وأمره بينا (أن لا تشرك) أن مفسرة ، والخطاب لإبراهيم عليه السلام ، وإنما فسرت تبوءة البيت بالنهى عن الإشراك ، والأمر بالتطهير ، لأن التبوءة إنما قصدت لأجل العبادة التى تقتضى ذلك (طهرا بيتي) عام فى التطهير من الكفر والمعاصى والنجاس وغير ذلك (والقائمين) يعنى المصلين (وأذن فى الناس بالحج) خطاب لإبراهيم ، وقيل لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والأول هو الصحيح ، روى أنه لما أمر بالأذان بالحج : صعد على جبل أبى قبيس ، ونادى : أيها الناس إن الله قد أمركم بحج هذا البيت فحجوا ، فسمعه كل من يحج إلى يوم القيامة وهم فى أصلاب آبائهم وأجابوه فى ذلك الوقت كل شىء من جماد وغيره . ليك اللهم ليك ، فحرت التلبية على ذلك (يأتوك رجالا) جمع راجل أى ماشيا على رجله (وعلى كل ضامر) الضامر يراد به كل ما يركب من فرس وناقة وغير ذلك وإنما وصفه بالضمور لأنه لا يصل إلى البيت إلا بعد ضموره ، وقوله وعلى كل ضامر حال معطوف على حال كأنه قال رجالا وركبانا ، واستدل

لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكَلِمَاتٌ مِّنْهَا وَأَطَعُوا  
الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ۚ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتَ  
اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يَتْلِيٰ عَلَيْكُمْ فَأَجْتَنَبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنَبُوا  
قَوْلَ الزُّورِ ۚ حُنْفَاءَ اللَّهِ غَيْرِ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَفَطَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهَوَّىٰ

بعضهم بتقديم الرجال في الآية على أن المشى إلى الحج أفضل من الركوب ، واستدل بعضهم بسقوط ذكر  
البحر بهذه الآية ، على أنه يسقط فرض الحج على من يحتاج إلى ركوب البحر ( يأتين ) صفة لكل ضامر ،  
لأنه في معنى الجمع (من كل فج عميق) أى طريق بعيد ( منافع لهم ) أى بالتجارة ، وقيل أعمال الحج وثوابه ،  
واللفظ أعم من ذلك (ويذكروا اسم الله) يعنى التسمية عند ذبح البهائم ونحرها وفي الهدايا والضحايا، وقيل  
يعنى الذكر على الإطلاق ، وإنما قال اسم الله ، لأن الذكر باللسان إنما يذكر لفظ الأسماء ( في أيام  
معلومات ) هى عند مالك يوم النحر وثانيه وثالثه خاصة لأن هذه هى أيام الضحايا عنده ، ولم يحز ذبحها  
بالليل لقوله في أيام وقيل الأيام المعلومات عشر ذى الحجة ويوم النحر والثلاثة بعده ، وقيل عشر ذى الحجة  
خاصة ، وأما الأيام المعدودات فهى الثلاثة بعد يوم النحر ، فيوم النحر من المعلومات لامن المعدودات  
واليومان بعده من المعلومات والمعدودات ورابع النحر من المعدودات لامن المعلومات (فكلوا منها) ندب أو إباحة  
ويستحب أن يأكل الأقل من الضحايا ويتصدق بالأكثر (البائس) الذى أصابه البؤس وقيل هو المتكفف وقيل  
الذى يظهر عليه أثر الجوع (ثم ليقضوا تفثهم) التفث فى اللغة الوسخ فالمعنى ليقضوا إزالة تفثهم بقص الأظفار  
والاستحداد وسائر خصال الفطرة والتنظيف بعد أن يحلوا من الحج ، وقيل التفث أعمال الحج ، وقرئ بكسر  
اللام وإسكانها ، وهى لام الأمر وكذلك وليوفوا وليطوفوا (وليطوفوا) المراد هنا طواف الإفاضة عند جمع  
المفسرين وهو الطواف الواجب (بالبيت العتيق) أى القديم ، لأنه أول بيت وضع للناس وقيل العتيق  
الكريم ، كقولهم : فرس عتيق ، وقيل أعتق من الجبارة أى منع منهم ، وقيل العتيق هو الذى لم يملكه أحد  
قط (ذلك) هنا وفى الموضوع الثانى مرفوع على تقدير الأمر ذلك كما يقدم الكتاب جملة من كتابه ، ثم  
يقول هذا وقد كان كذا ، وأجاز بعضهم الوقف على قوله ذلك فى ثلاثة مواضع من هذه السورة وهى هذا  
وذلك ومن يعظم شعائر الله ، وذلك ومن يشرك بالله ، لأنها جملة مستقلة أو هو خبر ابتداء مضمرة ،  
والأحسن وصلها بما بعدها عند شيخنا أبى جعفر بن الزبير ، لأن ما بعدها ليس كلاماً أجنبياً ، ومثلها ذلك  
ومن عاقب ، وذلكم فدوقوه ، فى الأنفال ، وذلك وإن للطاغين ، فى ص (حرمت الله) جمع حرمة ، وهو  
مالا يحل هتكه من جميع الشريعة ، فيحتمل أن يكون هنا على العموم ، أو يكون خاصاً بما يتعلق بالحج لأن  
الآية فيه (فهو خير له) أى التعظيم للحرمت خير (إلا ما يتلى عليكم) يعنى ما حرمه فى غير هذا الموضوع كالميتة  
(الرجس من الأوثان) من لبيان الجنس كأنه قال الرجس الذى هو الأوثان ، والمراد النهى عن عبادتها  
أو عن الذبح تقرباً إليها كما كانت العرب تفعل (قول الزور) أى الكذب ، وقيل شهادة الزور (فكأنما  
خر من السماء) الآية ، تمثيل للمشرك بمن أهلك نفسه أشد الهلاك (سحيق) أى بعيد (شعائر الله) قيل هى الهدايا

به الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيْقٍ . ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظِمُ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ، لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحْلَاهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ . وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْمَاتِهِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلَبُوا وَبَشَرِ الْمُخْتَبِينَ \* الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُم وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُم وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا

في الحج وتعظيمها بأن تختار سمانا عظاما غالية الأثمان ، وقيل مواضع الحج كعرفات ومنى والمزدلفة ، وتعظيمها لإجلالها وتوقيرها والقصد إليها ، وقيل الشعائر أمور الدين على الإطلاق وتعظيمها القيام بها وإجلالها ( فإنها من تقوى القلوب ) الضمير عائد على الفعلة التي يتضمنها الكلام وهي مصدر يعظم ، وقال الزمخشري : التقدير : فإن تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب ، فحذفت هذه المضافات ( لكم فيها منافع ) من قال إن شعائر الله هي الهدايا ، فالمنافع بها شرب لبنها وركوبها لمن اضطر إليها ، والأجل المسمى نحرها . ومن قال إن شعائر الله مواضع الحج ، فالمنافع التجارة فيها أو الأجر ، والأجل المسمى : الرجوع إلى مكة لطواف الإفاضة ( ثم محلها إلى البيت العتيق ) من قال إن شعائر الله الهدايا فحلها موضع نحرها وهي منى ومكة ، وخص البيت بالذكر لأنه أشرف الحرم وهو المقصود بالهدى ، وثم على هذا القول ليست للترتيب في الزمان لأن محلها قبل نحرها ، وإنما هي لترتيب الجمل ، ومن قال إن الشعائر مواضع الحج ، فحلها مأخوذ من إحلال المحرم : أى آخر ذلك كله الطواف بالبيت يعنى طواف الإفاضة إذ به يحل المحرم من إحرامه ومن قال إن الشعائر أمور الدين على الإطلاق فذلك لا يستقيم مع قوله محلها إلى البيت ( ولكل أمة جعلنا منسكا ) أى لكل أمة مؤمنة ، والمنسك اسم مكان أى موضعها لعبادتهم ، ويحتمل أن يكون اسم مصدر بمعنى عبادة ، والمراد بذلك الذبائح لقوله **ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بيمات الأنعام** ، بخلاف ما يفعله الكفار من الذبح تقربا إلى الأصنام ( فإلهكم إله واحد ) فى وجه اتصاله بما قبله وجهان : أحدهما أنه لما ذكر الأمم المتقدمة خاطبها بقوله فإلهكم إله واحد أى هو الذى شرع المناسك لكم ولمن تقدم قبلكم ، والثانى أنه إشارة إلى الذبائح أى إلهكم إله واحد فلا تدبجوا تقربا لغيره ( المختبين ) الخاشعين وقيل المتواضعين ، وقيل نزلت فى أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، وكذلك قوله بعد ذلك وبشر المحسنين واللفظ فيهما أعم من ذلك ( وجلت ) خافت ( والبدن ) جمع بدنة ، وهو ما أشعر من الإبل ، واختلف هل يقال للبقرة بدنة ، واتصابه بفعل مضمر ( من شعائر الله ) واحدا شعيرة ، ومن للتبويض ، واستدل بذلك من قال إن شعائر الله المذكورة أو على العموم فى أمور الدين ( لكم فيها خير ) قيل الخير هنا المنافع المذكورة قبل ، وقيل الثواب ، والصواب العموم فى خير الدنيا والآخرة ( صواف ) معناه قائمات قد صفتن أيديهن وأرجلهن ، وهى منصوبة على الحال من الضمير المجرور ، ووزنه فواعل ، وواحدة صافة ( وجبت جنوبها ) أى سقطت إلى الأرض عند موتها ، يقال وجب

لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۚ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دَمًا وَهَآءِ وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ ۚ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ۚ أُذُنٌ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلْمًا وَإِنِ اتَّخَذُوا اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۚ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ بِرَحْمَةِ اللَّهِ فِي أُمَّةٍ مَرْضُوقَةٍ ۚ وَمَنْ يُضِلَّهُمْ فَلْيَضَلَّ ۚ وَمَنْ يَهْدِهِمْ فَلْيَهْدِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۚ

الحائط وغيره إذا سقط (القانع) معناه السائل ، وهو من قولك قنع الرجل بفتح النون : إذا سأل ، وقيل معناه المتعفف عن السؤال ، فهو على هذا من قولك قنع بالكسر إذا رضى بالقليل (والمعتز) المعترض بغير سؤال ، ووزنه مفتعل ، يقال اعتزرت بالقوم إذا تعزرت لهم ، فالعنى أطمعوا من سأل ومن لم يسأل بمن تعرض بلسان حاله ، وأطمعوا من تعفف عن السؤال بالكفاية ، ومن تعرض للعطاء ( كذلك سخرناها لكم ) أى كما أمرناكم بهذا كله سخرناها لكم ، وقال الزمخشري التقدير مثل التخيير الذى علمتم سخرناها لكم (لن ينال الله لحومها ولادماؤها) المعنى لن تصلوا إلى رضا الله باللحوم ولا بالدماء ، وإنما تصلون إليه بالتقوى أى بالإخلاص لله ، وقصد وجه الله بما تدبجون وتنحرون من الهدايا ، فعبّر عن هذا المعنى بلفظ ينال مبالغة وتأكيذاً ، لأنه قال لن تصل لحومها ولادماؤها إلى الله ، وإنما تصل بالتقوى منكم ، فإن ذلك هو الذى طلب منكم ، وعليه يحصل لكم الثواب ، وقيل كان أهل الجاهلية يضرجون البيت بالدماء فأراد المسلمون فعل ذلك فنهوا عنه ونزلت الآية ( كذلك سخرها لكم ) كسر للتأكيد (لتكبروا الله) قيل يعنى قول الذابح بسم الله والله أكبر ، واللفظ أعم من ذلك (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) كان الكفار يؤذون المؤمنين بمكة ، فوعدهم الله أن يدفع عنهم شرهم وأذاهم ، وحذف مفعول يدافع ليكون أعظم وأعم ، وقرئ يدافع بالالف ، ويدفع بسكون الدال من غير الالف ، وهما بمعنى واحد أجريت فاعل مجرى فعل من قولك عاقبة الأمر ، وقال الزمخشري : يدافع : معناه يبالغ في الدفع عنهم ، لأنه للبالغ ، وفعل المبالغة أقوى (إن الله لا يحب كل كفور) الخوان مبالغة في خائن ، والكفور مبالغة في كافر ، قال الزمخشري هذه الآية علة لما قبلها (أذن للذين يقاتلون) هذه أول آية نزلت في الإذن في القتال ، ونسخت الموادة مع الكفار ، وكان نزولها عند الهجرة ، وقرئ أذن بضم الهمزة على البناء لما لم يسم فاعله ، وبالفتح على البناء للفاعل وهو الله تعالى ، والمعنى أذن لهم في القتال لحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه ، وقرئ يقاتلون بفتح التاء وكسرها (بأنهم ظلموا) أى بسبب أنهم ظلموا (الذين أخرجوا من ديارهم) يعنى الصحابة فإن الكفار آذوهم وأضروا بهم حتى اضطروهم إلى الخروج من مكة ، فنهى من هاجر إلى أرض الحبشة ، ومنهم من هاجر إلى المدينة ونسب الإخراج إلى الكفار لأن الكلام في معرض إلزامهم الذنب ووصفهم بالظلم (إلا أن يقولوا ربنا الله) قال ابن عطية هو استثناء منقطع لا يجوز فيه البديل عند سيويه ، وقال الزمخشري أن يقولوا : في محل الجر على الإبدال من حق (ولولا دفع الله الناس) الآية تقوية للإذن في القتال وإظهار للصحة التى فيه كأنه يقول لولا القتال والجهاد لاستولى الكفار على المسلمين وذهب الدين ، وقيل المعنى : لولا دفع ظلم الظلمة بعدل الولاة ، والأول أليق بسباق الآية ، وقرئ دفاع بالالف مصدر دافع ،

يَذْكُرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلِيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ۝ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۝ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِهِ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهَلَّكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبُئْرٌ مُعَطَّلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ ۝ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ۝ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ۝ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ

وبغير ألف مصدر دفع (لهدمت) قرئ بالتخفيف والتشديد للمبالغة (صوامع) جمع صومعة بفتح الميم وهي موضع العبادة وكانت للصائين ولرهبان النصارى ، ثم سمي بها في الإسلام موضع الأذان ، والبيع جمع بيعة بكسر الباء وهي كنائس النصارى والصلوات كنائس اليهود ، وقيل هي مشتركة لكل أمة ، والمراد بها مواضع الصلوات ، والمساجد للمسلمين ، فالمنعى لولا دفع الله لاستولى الكفار على أهل الملل المتقدمة في أزمانهم ، ولاستولى المشركون على هذه الأمة فهدموا مواضع عباداتهم (بذكر فيها اسم الله) الضمير لجميع ما تقدم من المتعبات ، وقيل للمساجد خاصة (ولينصرن الله من ينصره) أي من ينصر دينه وأوليائه ، وهو وعد تضمن الحض على القتال (الذين إن مكناهم) الآية : قيل يعني أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل الصحابة ، وقيل الخلفاء الأربعة لأنهم الذين مكناهم في الأرض بالخلافة ففعلوا ما وصفهم الله به (وإن يكذبوك) الآية ضمير الفاعل لقريش ، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على وجه التسلية له والوعيد لهم (نكير) مصدر بمعنى الإنكار (على عروشها) العروش السقف فإن تعلق الجار بخاوية : فالمنعنى أن العروش سقطت ثم سقطت الحيطان عليها فهي فوقها ، وإن كان الجار والمجرور في موضع الحال : فالمنعنى أنها خاوية مع بقاء عروشها (بئر معطلة) أي لا يستقي الماء منها لهلاك أهلها ، وروى أن هذه البئر هي الرس ، وكانت بعدن لأمة من بقايا ثمود ، والأظهر أنه لم يرد التعيين ، لقوله «كأين من قرية» ، وهذا اللفظ يراد به التكثير (وقصر مشيد) أي مبنى بالشيد وهو الجص ، وقيل المشيد المرفوع البنيان (قلوب يعقلون) دليل على أن العقل في القلب خلافا للفلاسفة في قولهم العقل في الدماغ (فإنها لاتعمى الأبصار) أي لاتعمى الأبصار عمى يعتد به ، وإنما العمى الذى يعتد به عمى القلوب ، وإن هؤلاء القوم ما عميت أبصارهم ولكن عميت قلوبهم ، فالمنعنى الأول لقصد المبالغة ، والثانى خاص هؤلاء القوم (التي في الصدور) مبالغة كقوله يقولون بأفواههم (ويستعجلونك بالعذاب) الضمير لكفار قريش (ولن يخلف الله وعده) إخبار يتضمن الوعيد بالعذاب ، وسماه وعدا ؛ لأن المراد به مفهوم (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) المنعنى أن يوما من أيام الآخرة مقداره ألف سنة من أعوام الدنيا ، ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف

أَخَذَتْهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ۝ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةَ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لِنِي

يوم وذلك خمسمائة سنة وقيل المعنى إن يوماً واحداً من أيام العذاب كألف سنة لطول العذاب فإن أيام البؤس طويلة ، وإن كانت في الحقيقة قصيرة ، وفي كل واحد من الوجهين تهديد للذين استعجلوا العذاب ، إلا أن الأول أرجح ، لأن الألف سنة فيه حقيقة ، وقيل إن اليوم المذكور في الآية هو يوم من الأيام الستة التي خاق الله فيها السموات والأرض (وكأين من قرية) ذكر أوالا القرى التي أهلكتها بغير إمامة ، وذكر هنا التي أهلكتها بعد الإمامة ، والإمامة هو الإمهال مع إرادة المعاقبة فيما بعد ، وعطف هذه الجملة بالواو على الجمل المعطوفة قبها بالواو ، وقال في الأولى فكأين لأنه بدل من قوله فكيف كان تكبير (سعوا في آياتنا) أي سعوا فيها بالطعن عليها ، وهو من قولك سعى في الأمر إذا جد فيه لقصد إصلاحه أو إفساده (معاجزين) بالألف : أي مغالين ، لأنهم قصدوا معجز صاحب الآيات ، والآيات تقتضى معجزهم ، فصارت مفاعلة ، وقرئ بالتشديد من غير ألف ومعناه أنهم يعجزون الناس عن الإسلام أي يثبطونهم عنه (من رسول ولا نبي) النبي أعم من الرسول فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً ، فقدم الرسول لمناسبتة لقوله أرسلنا وأخر النبي لتحصيل العموم ، لأنه لو اقتصر على رسول لم يدخل في ذلك من كان نبياً غير رسول (إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) سبب هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ سورة والنجم بالمسجد الحرام بمحضر المشركين والمسلمين فلما بانغ إلى قوله أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان ، تلك الغرائق العلى منها الشفاعة ترجى ، فسمع ذلك المشركون ففرحوا به وقالوا هذا محمد يذكر آلهتنا بما نريد واختلف في كيفية إلقاء الشيطان ، فقيل إن الشيطان هو الذي تكلم بذلك ، وظن الناس أن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم هو المتكلم به لأنه قرب صوته من صوت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حتى التبس الأمر على المشركين وقيل إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي تكلم بذلك على وجه الخطأ والسهو ؛ لأن الشيطان ألقاه ووسوس في قلبه حتى خرجت تلك الكلمة على لسانه من غير قصد ، والقول الثاني أشهر عند المفسرين والناقلين لهذه القصة ، والقول الأول أرجح ، لأن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم معصوم في التبليغ ، فعنى الآية أن كل نبي وكل رسول قد جرى له مثل ذلك من إلقاء الشيطان ، واختلف في معنى تمنى وأمنيته في هذه الآية فقيل تمنى بمعنى تلا ، والأمنية : التلاوة : أي إذا قرأ الكتاب ألقى الشيطان من عنده في تلاوته ، وقيل هو من التنى بمعنى حب الشيء ، وهذا المعنى أشهر في اللفظ : أي تمنى النبي صلى الله عليه وآله وسلم مقارنة قومه واستئلافهم ، وألقى الشيطان ذلك في هذه الأمنية ليعجزهم ذلك (فينسخ الله ما يلقي الشيطان) أي يبطله كقولك نسخت الشمس الظل (ليجعل) متعلق بقوله ينسخ ويحكم (للذين في قلوبهم مرض) أي أهل الشك (والقاسية

شَقَاقٌ بَعِيدٌ ۝ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ  
 ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَّةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ  
 يَوْمٍ عَقِيمٍ ۝ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا  
 وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قَتَلُوا أَوْ مَاتُوا لِيُرْزَقَهُمُ اللَّهُ  
 رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝ لِيَدْخُلْنَهُمْ مُّدْخِلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ۝ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ  
 بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝ ذَٰلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ يُوجِزُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوجِزُ  
 النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝ ذَٰلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَإِنْ مَآدِعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ  
 الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝ لَهُ مَا فِي

قلوبهم) المكذبون ، وقيل الذين في قلوبهم مرض عامة الكفار ، والقاسية قلوبهم أشد كفرًا وعتوا أكبى جهل  
 (وإن الظالمين لني شقاق بعيد) يعنى بالظالمين المذكورين قبل ، ولكنه جعل الظاهر موضع المضمر ، ليقضى  
 عليهم بالظلم ، والشقاق : العداوة ، ووصفه ببعيد ، لأنه في غاية الضلال والبعد عن الخير (الذين أوتوا العلم)  
 قيل يعنى الصحابة ، واللفظ أعم من ذلك (أنه الحق) الضمير عائد على القرآن ، وقال الزمخشري هو لتمكين  
 الشيطان من الإلقاء (فتخبت) أى تخشع (في مريئة منه) الضمير للقرآن ، أولنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أو  
 الإلقاء (يوم عقيم) يعنى يوم بدر ، ووصفه بالعقيم لأنه لاليلة لهم بعده ولا يوم ، لأنهم يقتلون فيه ،  
 وقيل هو يوم القيامة ، والساعة مقدماته ، ويقوى ذلك قوله : الملك يومئذ الله ، ثم قسم الناس إلى قسمين :  
 أصحاب الجحيم وأصحاب النعيم (قتلوا أو ماتوا) روى أن قوما قالوا يارسول الله قد علمنا ما أعطى الله لمن قتل  
 من الخيرات ، فما لمن مات معك ، فنزلت الآية معللة أن الله يرزق من قتل ومن مات معاً ، ولا يقتضى ذلك المساواة  
 بينهم لأن تفضيل الشهداء ثابت (رزقاً حسناً) يحتمل أن يريد به الرزق في الجنة بعد يوم القيامة ، أو رزق  
 الشهداء في البرزخ ، والأول أرجح ، لأنه يعنى الشهداء والموتى (مدخلا) يعنى الجنة (ذلك) تقديره هنا : الأمر  
 ذلك كما يقول المكاتب هذا وقد كان كذا إذا أراد أن يخرج إلى حديث آخر (ومن عاقب بمثل ما عوقب به)  
 سمي الابتداء عقوبة باسم الجزاء عليها تجوزا كما تسمى العقوبة أيضاً باسم الذنب ووعد بالنصر لمن بغى عليه  
 (إن الله لعفو غفور) إن قيل ما مناسبة هذين الوصفين للمعاقبة ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما أن في ذكر  
 هذين الوصفين إشعار بأن العفو أفضل من العقوبة ، فكأنه حض على العفو ، والثانى أن في ذكرهما إعلاماً  
 بعفو الله عن المعاقب حين عاقب ، ولم يأخذ بالعفو الذى هو أولى (ذلك بأن الله يوجز الليل) أى ذلك  
 النصر بسبب أن الله قادر ، ومن آيات قدرته أنه يوجز الليل في النهار ، ويوجز النهار في الليل ، ومعنى الإيلاج  
 هنا أنه يدخل ظلمة هذا في مكان ضوء هذا ، ويدخل ضوء هذا مكان ظلمة هذا ، وقيل الإيلاج هو  
 ما ينتص من أحدهما ويزيد في الآخر (ذلك بأن الله هو الحق) أى ذلك الوصف الذى وصف الله به هو

السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۗ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرَىٰ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ۗ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا نَسِكًا ۖ لَهُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَاذْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٌ ۗ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۗ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۗ أَلَمْ نَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۗ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَالِيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ۗ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٌ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارِ وَعَدَّاهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۗ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِثْلَ مَا تَسْمَعُونَ ۗ إِنَّ

بسبب أنه الحق ( فتصبح الأرض مخضرة ) تصبح هنا بمعنى تصير، وفهم بعضهم أنه أراد صديحة ليلة المطر، فقال لا تصبح الأرض مخضرة إلا بمكة، والبلاد الحارة، وأما على معنى تصير فذلك عام في كل بلد، والفاء للعطف، وليست بجواب، ولو كانت جوابا لقوله ألم تر انصب الفعل، وكان المعنى نفي خضرتها وذلك خلاف المقصود، وإنما قال تصبح بلفظ المضارعة ليفيد بقاءها كذلك مدة (سخر لكم ما في الأرض) يعني البهائم والثمار والمعادن وغير ذلك ( أن تقع) في موضع مفعول على تقدير عن أن تقع، وقال الزمخشري كراهة أن تقع فهو مفعول من أجله (إلا بإذنه) يحتمل أن يريد يوم القيامة، فجعل طي السماء كوقوعها أو يريد بإذنه لو شاء متى شاء (أحياكم) أي أوجدكم بعد العدم، وعبر عن ذلك بالحياة لأن الإنسان قبل ذلك تراب فهو جواد بلا روح، ثم أحياه بنفخ الروح (ثم يميتكم) يعني الموت المعروف (ثم يحييكم) يعني البعث (لكفور) أي جحود للنعمة (منسكا) هو اسم مصدر لقوله ناسكوه ولو كان اسم مكان لقال ناسكون فيه (فلا ينزع عنك) ضمير الفاعل للكفار، والمعنى: أنه لا ينبغي منازعة النبي صلى الله عليه وسلم، لأن الحق قد ظهر بحيث لا يسع النزاع فيه، فجاء الفعل بلفظ النهي والمراد غير النهي، وقيل إن المعنى لا تنازعهم فينازعوك فحذف الأول لدلالة الثاني عليه، ويحتمل أن يكون نهيا لهم عن المنازعة على ظاهر اللفظ (في الأمر) أي في الدين والشريعة أوفى الذبائح (وادع إلى ربك) أي ادع الناس إلى عبادة ربك (وإن جادلوك) الآية: تقتضى موادة منسوخة بالقتال (إن ذلك في كتاب) يعني اللوح المحفوظ، والإشارة بذلك إلى معلومات الله (إن ذلك على الله يسير) يحتمل أن تكون الإشارة بذلك إلى كتب المعلومات في الكتاب، أو إلى الحكم في الاختلاف والأول أظهر (مالم ينزل به سلطانا) يعني الأصنام؛ والسلطان هنا: الحججة والبرهان، وماليس لهم به علم: قيل إنه يعني ماليس لهم به علم ضروري، فنفي أولا البرهان النظري، ثم العلم الضروري، وليس اللفظ بظاهر في هذا المعنى بل الأحسن نفي العلم الضروري والنظري معا (تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر) أي الإنكار لما يسمعون فالمنكر مصدر: كالمكرم بمعنى الإكرام ويعرف ذلك في وجوههم بعبوسها وإعراضها (يسطون) من السطوة

الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ \* مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ \* اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمَنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ \* يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ \* وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ

وهي سرعة البطش (النار وعدها الله) يحتمل أن تكون النار مبتدأ ، ووعدا الله خبرا أو يكون النار خبرا ابتداء مضمرا كأن قائلها قال ماهو ، فقيل هو النار ، ويكون وعدا الله استئنافا وهذا أظهر (ضرب مثل) أى ضربه الله لإقامة الحججة على المشركين (لن يخلقوا ذبابا) تنبيهه بالأصغر على الأكبر من باب أولى وأحرى والمعنى أن الأصنام التي تعبدونها لا تقدر على خلق الذباب ولا غيره ، فكيف تعبد من دون الله الذي خلق كل شيء ، ثم أوضح عجزهم بقوله (ولو اجتمعوا له) أى لو تعارنوا على خلق الذباب لم يقدروا عليه (وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه) بيان أيضا لعجز الأصنام بحيث لو اختطف الذباب منهم شيئا لم يقدروا على استنقاذه منه على حال ضعفه ، وقد قيل إن المراد بما يسلب الذباب منهم الطيب الذي كانت تجعله العرب على الأصنام واللفظ أعم من ذلك (ضعف الطالب والمطلوب) المراد بالطالب الأصنام وبالمطلوب الذباب لأن الأصنام تطلب من الذباب ما سلبته منها . وقيل الطالب الكفار والمطلوب الأصنام . لأن الكفار يطلبون الخير منهم (وما قدرنا الله حق قدره) أى ما عظموه حق تعظيمه (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) رد على من أنكرك أن يكون الرسول من البشر (اركعوا واسجدوا) في هذه الآية سجدة عند الشافعي وغيره للحديث الصحيح الوارد في ذلك خلافا للمالكية (واعبدوا ربكم) عموم في العبادة بعد ذكر الصلاة التي عبر عنها بالركوع والسجود ، وإنما قدمها لأنها أهم العبادات (وافعلوا الخير) قيل المراد صلة الرحم ، وقال ابن عطية هي في الذب فيما عدا الواجبات ، واللفظ أعم من ذلك كله (وجاهدوا في الله) يحتمل أن يريد جهاد الكفار ، أو جهاد النفس والشيطان أو الهوى ، أو العموم في ذلك (حق جهاده) قيل لأنه منسوخ كمنح حق تقاته بقوله ما استطعتم ، وفي ذلك نظر ، وإنما أضاف الجهاد إلى الله ليبين بذلك فضله واختصاصه بالله (اجتباكم) أى اختاركم من بين الأمم (من حرج) أى مشقة ، وأصل الحرج الضيق (ملة أبيكم إبراهيم) انتصب ملة بفعل مضمير تقديره أعني بالدين ملة إبراهيم ، أو التزموا ملة إبراهيم وقال الفراء انتصب على تقدير حذف المكاف كأنه قال كلمة ، وقال الزمخشري انتصب بمضمون ما تقدم : كأنه قال وسع عليكم توسعة ملة أبيكم إبراهيم ، ثم حذف المضاف ، فإن قيل : لم يكن إبراهيم أباً للمسلمين كلهم ، فالجواب : أنه أباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أباً لامته لأن أمة الرسول في حكم أولاده ، ولذلك قرئ وأزواجه أمهاتهم ، وهو أب لهم ، وأيضا فإن قريشا وأكثر العرب من ذرية إبراهيم ، وهم أكثر الأمة فاعتبرهم دون غيرهم (هو سماكم) الضمير لله تعالى ومعنى من قبل في الكتب المتقدمة ، وفي هذا أى في القرآن ، وقيل الضمير لإبراهيم والإشارة إلى

شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ۝

## سورة المؤمنون

مكية وآياتها ١١٨ نزلت بعد الأنبياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنْ أَبْغَىٰ وِرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ

قوله : ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، ومعنى من قبل على هذا : من قبل وجودكم ، وهناتيم الكلام على هذا القول ويكون قوله «وفي هذا» مستأنفا : أى وفي هذا البلاغ ، والقول الأول أرجح وأقل تسكفا ، ويدل عليه قراءة أبى بن كعب : الله سماكم المسلمين (شهدا عليكم) تقدم معنى هذه الشهادة فى البقرة (فأقيموا الصلاة) الظاهر أنها المكتوبة لا قترانها مع الزكاة (هو مولاكم) معناه هنا وليكم وناصركم بدلالة ما بعد ذلك

## سورة المؤمنون

(الذين هم فى صلاتهم خاشعون) الخشوع حالة فى القلب من الخوف والمراقبة والتسذلل لعظمة المولى جل جلاله ثم يظهر أثر ذلك على الجوارح بالسكون والإقبال على الصلاة وعدم الالتفات والبكاء والتضرع وقد عد بعض الفقهاء الخشوع فى فرائض الصلاة ، لأنه جعله بمعنى حضور القلب فيها ، وقد جاء فى الحديث لا يكتب للعبد من صلاته إلا ما عقل منها ، والصواب أن الخشوع أمر زائد على حضور القلب ، فقد يحضر القلب ولا يخشع (عن اللغو معروضون) اللغو هنا الساقط من الكلام كالسب واللغو ، والكلام بما لا يعنى ، وتعدد أنواع المنهى عنه من الكلام عشرون نوعا ، ومعنى الإعراض عنه : عدم الاستماع إليه والدخول فيه ، ويحتمل أن يريد أنهم لا يتكلمون به ، ولكن إعراضهم عن سماعه يقتضى ذلك من باب أولى وأحرى (للزكاة فاعلون) أى مؤدون ، فإن قيل : لم قال فاعلون ولم يقل مؤدون ؟ فالجواب : أن الزكاة لها معنيان أحدهما الفعل الذى يفعله المزكى أى أداء ما يجب على المسال ، والآخر المقدار الخارج من المسال كقولك هذه زكاة مالى ، والمراد هنا الفعل لقوله «فاعلون» ويصح المعنى الآخر على حذف تقديره هم لأداء الزكاة فاعلون (على أزواجهم) هذا المجرور يتعلق بفعل يدل عليه قوله غير ملومين أى لا يلامون على أزواجهم ويمكن أن يتعلق بقوله حافظون على أن يكون على بمعنى عن (أو ما ملكت أيمانهم) يعنى النساء المملوكات ، قال الزمخشري إنما قال «املكت» ولم يقل من ، لأن الإناث يجرى غير العقلاء (وراء ذلك) يعنى ما سوى الزوجات والمملوكات (لأماناتهم وعهدهم) يحتمل أن يريد أمانة الناس وعهدهم وأمانة الله وعهده فى دينه أو العموم ، والأمانة أعم من العهد

رَاعُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ \* أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ \* الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا  
 خَالِدُونَ \* وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ \* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ \* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ  
 عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ  
 أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ \* ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ \* ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ \* وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ  
 طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ \* وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ أَذْهَابِ

لأنها قد تكون بعهد وبغير عهد متقدم (راعون) أى حافظون لها قائمون بها (على صلواتهم يحافظون) المحافظة  
 عليها هي فعلها في أوقاتها مع توفية شروطها ، فإن قيل : كيف كرر ذكر الصلوات أولا وآخرا؟ فالجواب : أنه ليس  
 بتكرار ، لأنه قد ذكر أولا والخشوع فيها وذكر هنا المحافظة عليها ، فهما مختلفان ، وأضاف الصلاة في  
 الموضوعين إليهم دلالة على ثبوت فعلهم لها (الوارثون) أى المستحقون للجنة ، فالميراث استعارة ، وقيل إن الله  
 جعل لكل إنسان مسكنا في الجنة ومسكنا في النار ، فيرث المؤمنون مساكن الكفار في الجنة (الفردوس)  
 مدينة الجنة وهي جنة الأعتاب ، وأعاد الضمير عليها مؤثرا على معنى الجنة (ولقد خلقنا الإنسان) اختلف هل  
 يعنى آدم ، أو جنس بنى آدم (من سلالة من طين) السلالة : هي ما يسلم من الشيء : أى ما يستخرج منه ، ولذلك  
 قيل إنها الخلاصة ، والمراد بها هنا القطعة التي أخذت من الطين وخلق منها آدم ، فإن أراد بالإنسان آدم :  
 فالمعنى أنه خالق من تلك السلالة المأخوذة من الطين ، ولكن قوله بعد هذا (ثم جعلناه نطفة) لا بد أن يراد به  
 بنو آدم ، فيكون الضمير يعود على غير من ذكر أولا ، ولكن يفسره سياق الكلام ، وإن أراد بالإنسان  
 ابن آدم فيستقيم عود الضمير عليه ، ويكون معنى خلقه من سلالة من طين : أى خلق أصله وهو أبوه آدم  
 ويحتمل عندي أن يراد بالإنسان الجنس الذى يعنى آدم وذريته ، فأجمل ذكر الإنسان أولا ثم فصله بعد  
 ذلك إلى الخلقة المختصة بآدم : وهي من طين ، وإلى الخلقة المختصة بذريته . وهي النطفة ، فإن قيل : ما الفرق  
 بين من ومن ؟ فالجواب على ما قال الزمخشري : أن الأولى للابتداء ، والثانية للبيان . كقوله من الأوئان  
 (في قرار مكين) يعنى رحم الأُم ، ومعنى مكين : متمكن وذلك في الحقيقة من صفة النطفة المستقرّة ، لامن  
 صفة المحل المستقرّ فيه ، ولكنه كقولك طريق سائر : أى يسير الناس فيه ، وقد تقدّم تفسير النطفة والمضغة  
 والعلقة في أول الحجج (خلقا آخر) قيل هو نفخ الروح فيه ، وقيل خروجه إلى الدنيا ، وقيل استواء الشباب  
 وقيل على العموم من نفخ الروح فيه إلى موته (فتبارك الله) هو مشتق من البركة ، وقيل معناه تقدس (أحسن  
 الخالقين) أى أحسن الخالقين خلقا ، فحذف التمييز لدلالة الكلام عليه ، وفسر بعضهم الخالقين بالمقدرين  
 فرارا من وصف المخلوق بأنه خالق ، ولا يجب أن ينفي عن المخلوق أنه خالق بمعنى صانع كقوله « وإذ  
 تخلق من الطين ، وإنما الذى يجب أن ينفي عنه معنى الاختراع والإيجاد من العدم ، فهذا هو الذى انفرد الله به  
 (سبع طرائق) يعنى السموات ، وسمّاها طرائق لأن بعضها طورق فوق بعض كطارقة النعل ، وقيل يعنى  
 الأفلاك لأنها طرق للكواكب (وما كنا عن الخلق غافلين) يحتمل أن يريد بالخلق المخلوقين أو المصدر

بِهِ لَقَدَرُونَ \* فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لِّكُمْ فِيهَا فَوَاحِشٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ \* وَشَجَرَةً  
 تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبْغٍ لِلَّكَلِينِ \* وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا  
 وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ \* وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ \* وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ  
 يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ \* فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ  
 مِّثْلُكُمْ يَرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ \* إِنْ هُوَ إِلَّا  
 رَجُلٌ بِهِنَّ جِنَّةٌ فترَبُّوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ \* قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ \* فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ  
 بِأَعْيُنِنَا ووَحِينَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ  
 الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ \* فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ  
 لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* وَقُلْ رَبِّ انزِلْنِي مُنزلاً مباركاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ \* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

(ماء بقدر) يعني المطر الذي ينزل من السماء فتكون منه العيون والأنهار في الأرض، وقيل يعني أربعة أنهار  
 وهي النيل، والفرات، ودجلة، وسيحان، ولا دليل على هذا التخصيص، ومعنى بقدر: بمقدار معلوم  
 لا يزيد عليه ولا ينقص منه (وشجرة تخرج من طور سيناء) يعني الزيتون، وإنما خص النخيل والأعناب  
 والزيتون بالذكر: لأنها أكرم الشجر وأكثرها منافع، وطور سيناء جبل بالشام وهو الذي كلم الله عليه  
 موسى عليه السلام وينسب الزيتون إليه لأنها فيه كثيرة وسيناء اسم جبل أضافه إليه كقوله: جبل أحد، وقرئ  
 بفتح السين ولم ينصرف للتأنيث اللازم، وقرئ بالكسر، ولم ينصرف للعجمة أو للتأنيث مع التعريف،  
 لأن فعلاء بالكسر لا تكون ألفه للتأنيث، وقيل معناه مبارك، وقيل ذو شجرة، ويلزم على ذلك صرفه  
 (تنبت بالدهن) يعني الزيت، وقرئ تنبت بفتح التاء، فالجورور على هذا في موضع الحال. كقولك جاء زيد  
 بسلاحه، وقرئ بضم التاء وكسر الباء، وفيه ثلاثة أوجه: الأول أن أنبت بمعنى نبت والثاني حذف المفعول تقديره  
 تنبت ثمرتها بالدهن والثالث زيادة الباء (وصبغ الأكلين) الصبغ الغمس في الإدام (في الأنعام) هي الإبل والبقر والغنم  
 والمقصود بالذكر الإبل، لقوله «وعليها وعلى الفلك تحملون»، وقد تقدم في النحل ذكر المنافع التي فيها  
 وتذكيرها وتأنيثها (ما هذا إلا بشر) استبعدوا أن تكون النبوة لبشر؛ فيعجباً منهم إذ أثبتوا الربوبية لحجر  
 (يريد أن يتفضل) أي يطلب الفضل والرياسة عليكم (ما سمعنا بهذا) أي بمثل مادعاهم إليه من عبادة الله، أو  
 بمثل الكلام الذي قال لهم، وهذا يدل على أنه كان قبل نوح فترة طويلة (به جنة) أي جنون. فانظر اختلاف  
 قولهم فيه: فتارة نسبوه إلى طلب الرياسة، وتارة إلى الجنون (حتى حين) أي إلى وقت لم يعينوه، ولكن  
 أرادوا وقت زوال جنونه على قولهم، أو وقت موته (انصرتني بما كذبون) تضمن هذا دعاء عليهم، لأن  
 نصرته إنما هي بإهلاكهم وقد تقدم في هود تفسير بأعيننا ووحينا، وفار التنور، ولا تخاطبني (اسلك فيها)

وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ۖ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ۖ آخَرِينَ \* فَارْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ  
إِلَهٍ غَيْرِهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ \* وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ \* وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ  
إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ \* أَيْدِيكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ \* هِيَاتَ هِيَاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ ۖ  
إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ \* إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ  
لَهُ بِمُؤْمِنِينَ \* قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ \* قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ \* فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ  
فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ۖ فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ۖ آخَرِينَ ۖ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا  
يَسْتَخِرُونَ \* ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رَسُولَهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ

أى أدخل فيها ، وقد تقدم تفسير زوجين اثنين (وإن كنا لمبتلين) إن مخففة من الثقلية ، ومبتلين : اسم فاعل من ابتلى ، ويحتمل أن يكون بمعنى الاختبار ، أو إزال البلاء (قرنا آخرين) قيل إنهم عاد ورسولهم هود ، لأنهم الذين يلون قوم نوح ، وقيل إنهم ثمود ورسولهم صالح ، وهذا أصح لقوله : فأخذتهم الصيحة ، و ثمود هم الذين أهلكوا بالصيحة ، وأما عاد فأهلكوا بالريح (من قومه) قدم هذا المجرور على قوله الذين كفروا لثلا يوم أنه متصل بقوله الحياة الدنيا بخلاف قوله : قال الملائ الذين كفروا من قومه في غير هذا الموضع (أترفناهم) أى نعمناهم (بشر مثلكم) يحتمل أنهم قالوا ذلك لإنكارهم أن يكون نبي من البشر ، أو قالوه أنفة من اتباع بشر مثلهم ، وكذلك قال قوم نوح (أيعدكم) استفهام على وجه الاستهزاء والاستبعاد (أنكم مخرجون) كرر أن تأكيد الأولى ؛ ومخرجون خبر عن الأولى (هيات هيات لما توعدون) هذا من حكاية كلامهم ، وهيات اسم فعل بمعنى بعد ، وقال الغزنوى هى للنأسف والتأوه ، ويجوز فيه الفتح والضم والكسر والإسكان ، وتارة يجىء فاعله دون لام كقوله ، فهيات هيات العقيق وأهله ، وتارة يجىء باللام كهذه الآية ، قال الزجاج فى تفسيره : البعد لما توعدون ، فزله منزلة المصدر ، قال الزخشري : وفيه وجه آخر وهى أن تكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام فى هيت لك لبيان المهيت به (إن هى إلا حياتنا الدنيا) أى ما الحياة إلا حياتنا الدنيا ، فوضع هى موضع الحياة لدلالة الخبر عليها (نموت ونحيا) أى يموت بعض ويولد بعض ، فينقرض قرن ويحدث قرن آخر ومرادهم إنكارهم البعث (عما قليل) مازائدة ، وقيل صفة للزمان والتقدير عن زمان قليل يندمون (فجعلناهم غثاء) يعنى هالكين كالغثاء والغثاء ما يحمله السيل من الورق وغيره مما يبلى ويسود ، فشبه به الهالكين (فبعدا) مصدر وضع موضع الفعل بمعنى بعدوا : أى هلكوا ، والعامل فيه مضمرة لا يظهر (تترا) مصدر ووزنه فعلى ، ومعناه التواتر والتتابع ، وهو موضوع موضع الحال : أى متواترين واحداً بعد واحد ، فمن قرأه بالتونين : فألفه للإلحاق ، ومن قرأه بغير تونين : فألفه للتأنيث فلم ينصرف ، وتأنيثه لأن الرسل جماعة والتاء الأولى فيه بدل من واو هى فاه الكلمة

فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ \* ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ۖ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ  
فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ۖ فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عٰبِدُونَ ۖ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا  
مِنَ الْمُهْلَكِينَ \* وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۖ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ ءَايَةً وَأَوَيْنَاهُمَا  
إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۖ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ \* وَإِنَّ  
هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ۖ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۖ  
فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ أَحِينُ \* أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ \* نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ \*  
إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۖ

(وجعلناهم أحاديث) أى يتحدث الناس بما جرى عليهم ويحتمل أن يكون جمع حديث أو جمع أحدوثة، وهذا أليق لأنها تقال فى الشر (قوما عالين) أى متكبرين (وقومهما لنا عابدون) أى حامدون متذلون (لعلهم يهتدون) الضمير لى إسرائيل لاقوم فرعون، لأنهم هلكوا قبل إنزال التوراة (وأويناهما إلى ربوة) الربوة الموضع المرتفع من الأرض، ويجوز فيها فتح الرأه وضماها وكسرها، واختلف فى موضع هذه الربوة، فقيل بيت المقدس، وقيل بغوطة دمشق، وقيل بفلسطين (ذات قرار ومعين) القرار المستوى من الأرض فعناه أنها بسيطة يمكن فيها الحرث والغراسة، وقيل إن القرار هنا الثمار والحبوب، والمعين الماء الجارى، فقيل إنه مشتق من قولك معن الماء إذا كثر، فالميم على هذا أصلية، ووزنه فعيل، وقيل إنه مشتق من العين، فالميم زائدة، ووزنه مفعول (يا أيها الرسل) هذا النداء ليس على ظاهره، لأن الرسل كانوا فى أزمنة متفرقة، وإنما المعنى أن كل رسول فى زمانه خوطب بذلك، وقيل الخطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأقامه مقام الجماعة وهذا بعيد (كلوا من الطيبات) أى من الحلال، فالأمر على هذا للوجوب، أو من المستلذات فالأمر بالإباحة (وأن هذه أمتكم أمة واحدة) قرئ إن بالكسر على الاستئناف وبالفتح على معنى لأن، وهى متعلقة بقوله آخر «فاتقون» وقيل تتعلق بفعل مضمر تقديره واعلموا، والأمة هنا الدين، وهو ما اتفقت عليه الرسل من التوحيد وغيره (فتقطعوا أمرهم) أى افرقوا واختلفوا، والضمير لأمم الرسل المذكورين من اليهود والنصارى وغيرهم (زبرا) جمع زبور: وهو الكتاب، والمعنى أنهم افرقوا فى اتباع الكتب، فاتبعت طائفة التوراة، وطائفة الإنجيل، وغير ذلك، ووضعوا كتابا من عند أنفسهم (فذرهم فى غمرتهم) الضمير لقريش، والغمرة الجهل والضلال، وأصلها من غمرة الماء (حتى حين) هنا يوم بدر أو يوم موتهم (أيحسبون) الآية: رد عليهم فيما ظنوا من أن أموالهم وأولادهم خير لهم وأنهم سبب لرضا الله عنهم (نسارع لهم) هذا خبر أن، والضمير الرابط محذوف تقديره نسارع به (بل لا يشعرون) أى لا يشعرون أن ذلك استدراج لهم، فففيه معنى التهديد (يؤتون ما أتوا) قيل معناه يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات وقيل إنه عام فى جميع أفعال البر أى يفعلونها وهم يخافون أن لا تقبل منهم

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۖ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ۖ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدِينَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۖ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْرُونَ ۖ لَآتَجْرُونَ الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَاتُصْرُونَ ۖ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ آعْقَابِكُمْ تُنكصُونَ ۖ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمَرَآ تَجْرُونَ \* أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ۖ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا

وقد روت عائشة هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، إلا أنها قرأت يؤتون ما أتوا بالقصر ، فيحتمل أن يكون الحديث تفسيراً لهذه القراءة ، وقيل إنه عام في الحسنات والسيئات : أى يفعلونها وهم خائفون من الرجوع إلى الله (أنهم إلى ربهم راجعون) أن في موضع المفعول من أجله ، أو في موضع المفعول بوجلت ، إذ هي في معنى خائفة (أولئك يسارعون في الخيرات) فيه معنيان : أحدهما أنهم يبادرون إلى فعل الطاعات ، والآخر أنهم يتعجلون ثواب الخيرات ، وهذا مطابق الآية المتقدمة ، لأنه أثبت فيهم مانعاً عن الكفار من المسارعة (وهم لها سابقون) فيه المعنيان المذكوران في يسارعون للخيرات ، وقيل معناه سبقت لهم السعادة في الأزل (لا نكلف نفساً إلا وسعها) يعنى أن هذا الذى وصف به الصالحون غير خارج عن الوسع والطاقة ، وقد تقدم الكلام على تكليف ما لا يطاق في البقرة (ولدينا كتاب) يعنى صحائف الأعمال ، ففي الكلام تهديد وتأمين من الظلم والحيف (في غمرة من هذا) أى في غفلة من الدين بحمته ومن القرآن ، وقيل من الكتاب المذكور ، وقيل من الأعمال التى وصف بها المؤمنون (ولهم أعمال من دون ذلك) أى لهم أعمال سيئة دون الغمرة التى هم فيها ، فالمعنى أنهم يجمعون بين الكفر وسوء الأعمال ، والإشارة بذلك على هذا إلى الغمرة ، وإنما أشار إليها بالتأكيد لأنها في معنى الكفر ، وقيل الإشارة إلى قوله من هذا : أى لهم أعمال سيئة غير المشار إليه حسبما اختلف فيه (هم لها عاملون) قيل هى إخبار عن أعمالهم فى الحال ، وقيل عن الاستقبال ، وقيل المعنى أنهم يتبادون على عملها حتى يأخذهم الله فجعل حتى إذا أخذنا مترفيهم ، غاية لقوله عاملون (ترفيهم) أى أغنياؤهم وكبرائهم (إذا هم يجأرون) أى يستغيثون ويصيحون ، فإن أراد بالعذاب قتل المترفين يوم بدر : فالضمير فى يجأرون لسائر قریش : أى صاحوا وناحوا على القتلى ، وإن أراد بالعذاب شدائد الدنيا أو عذاب الآخرة : فالضمير لجميعهم (لا تجأروا اليوم) تقديره يقال لهم يوم العذاب لا تجأروا ويحتمل أن يكون هذا القول حقيقة ، وأن يكون بلسان الحال ولفظه نهى ، ومعناه : أن الجوار لا ينفهم (على أعقابكم تنكصون) أى ترجعون إلى وراه وذلك عبارة عن إعراضهم عن الآيات وهى القرآن (مستكبرين به) قيل إن الضمير عائد على المسجد الحرام وقيل إنه على الحرم وإن لم يذكر ؛ ولكنه يفهم من سياق الكلام والمعنى أنهم يستكبرون بسبب المسجد الحرام لأنهم أهله وولاته ، وقيل إنه عائد على القرآن من حيث ذكرت الآيات ، والمعنى على هذا أن القرآن يحدث لهم عتواً وتكبراً ، وقيل إنه يعود على النبي صلى الله عليه وسلم وهو على هذا متعلق بسامراً (سامراً) مشتق من السم وهو الجلوس بالليل للحديث ، وكانت قریش تجتمع بالليل فى المسجد فيتحدثون وكان أكثر حديثهم سب النبي صلى الله عليه وسلم ، وسامراً مفرد بمعنى الجمع ، وهو منصوب

رَسُولُهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ \* أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَآكَثَرُهُمُ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ \* وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ  
 أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ \* أَمْ  
 تَسْأَلُهُمْ خُرْجًا مَخْرَاجَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ \* وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* وَإِنَّ الَّذِينَ  
 لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَسَكِبُونَ \* وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرِّ الْجَوِّ فِي طُغْيَانِهِمْ  
 يَعْمَهُونَ \* وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكْبَرُوا لِلرَّهْمِ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ \* حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ

على الحال فمن جعل الضمير في به للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فالمعنى أنهم سامرون بذكره وسبه (تهجرون)  
 من قرأ بضم التاء وكسر الجيم فعناه تقولون الهجر بضم الهاء وهو الفحش من الكلام ، ومن قرأ بفتح التاء وضم الجيم  
 فهو من الهجر بفتح الهاء أى تهجرون الإسلام ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ، أو من قولك هجر المريض  
 إذا هذى أى تقولون اللغو من القول (أفلم يدبروا القول) يعنى القرآن ، وهذا توييح لهم (أم جاءهم مالم يأت آباءهم  
 الأولين) معناه أن النبوة ليست بيدع فينكرونها بل قد جاءت آباؤهم الأولين فقد كانت النبوة لنوح وإبراهيم وإسماعيل  
 وغيرهم (أم لم يعرفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلموا أنه أشرفهم حسبا وأصدقهم  
 حديثا وأعظمهم أمانة وأرجحهم عقلا ، فكيف ينسبونه إلى الكذب أو إلى الجنون ، أو غير ذلك من النقائص ،  
 مع أنه جاءهم بالحق الذى لا يخفى على كل ذى عقل سليم ، وأنه عين الصواب) ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات  
 والأرض) الاتباع هنا استعارة ، والحق هنا يراد به الصواب والأمر المستقيم ، فالمعنى لو كان الأمر على ما تقتضى  
 أهواءهم من الشرك بالله واتباع الباطل لفسدت السموات والأرض كقوله ولو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ، وقيل إن  
 الحق فى الآية هو الله تعالى ، وهذا بعيد فى المعنى ، وإنما حمل عليه أن جعل الاتباع حقيقة ولم يفهم فيه الاستعارة ، وإنما  
 الحق هنا هو المذكور فى قوله بل جاءهم بالحق وأكثَرُهُمُ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ، (بل أتيناهم بذكرهم) يحتمل أن يكون بذكرهم  
 ووعظهم أو بغيرهم وشرفهم وهذا أظهر (أم تسألهم خرجا) الخرج هو الأجرة ويقال فيه خرَجَ والمعنى واحد ،  
 وقرئ بالوجهين فى الموضوعين فهو كقوله أم تسألهم أى لست تسألهم أجر فيثقل عليهم اتباعك (مخراج ربك خير) أى  
 رزق ربك خير من أموالهم فهو رزقك ويفغنيك عنهم (عن الصراط لنا كيون) أى عادلون ومعرضون عن الصراط  
 المستقيم (ولو رحمناهم) الآية : قال الأكثرون : نزلت هذه الآية حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش  
 بالحق فأنهم الجوع حتى أكلوا الجلود وغيرها ، فالمعنى رحمناهم بالخصب وكشفنا ما بهم من ضر الجوع  
 والقحط : لتمادوا على طغيانهم ، وفى هذا عندى نظر ، فإن الآية مكية باتفاق ، وإنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم على  
 قريش بعد الهجرة حسبا ورد فى الحديث ، وقيل المعنى لورحمناهم بالرد إلى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه ، وهذا القول  
 لا يلزم عليه ، الزم على الآخر ، ولكنه خرج عن معنى الآية (ولقد أخذناهم بالعذاب) قيل إن هذا العذاب هو  
 الجوع بالقحط وأن الباب ذا العذاب الشديد المتوعد به بعد هذا يوم بدر ، وهذا مردود بأن العذاب الذى أصابهم  
 إنما كان بعد بدر ، وقيل إن العذاب الذى أخذهم هو يوم بدر ، والباب المتوعد به هو القحط ، وقيل الباب ذو العذاب  
 الشديد: عذاب الآخرة ، وهذا أرجح ، ولذلك وصفه بالشدة لأنه أشد من عذاب الدنيا ، وقال : إذا هم فيه مبلسون : أى

شَدِيدٌ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ \* وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ \* وَهُوَ  
الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ \* وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ \*  
بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ \* قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ \* لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا  
هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ \* قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* سَيَقُولُونَ  
لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ \* قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ \* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا  
تَتَّقُونَ \* قُلْ مَنْ يَدَّ مَلَكَوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ  
فَأَنى تُسْحَرُونَ \* بَلْ أَتَيْنَهُمُ الْحَقَّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ \* مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا

يأتسون من الخير، وإنما يقع لهم اليأس في الآخرة كقوله «ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون»، (فما استكانوا)  
أى ما تذللوا لله عز وجل، وقد تقدم الكلام على هذه الكلمة في آخر آل عمران (وما يتضرعون) إن قيل :  
هلا قال فما استكانوا وما تضرعوا، أو فما يستكثرون وما يتضرعون باتفاق الفعلين في الماضى أو فى الاستقبال؟  
فالجواب: أن ما استكانوا عند العذاب الذى أصابهم، وما يتضرعون حتى يفتح عليهم باب عذاب شديد فبنى الاستكانة  
فيما مضى، ونفى التضرع فى الحال والاستقبال (قليلًا ما تشكرون) مازائدة، وقليلًا صفة لمصدر محذوف تقديره  
شكرًا قليلًا تشكرون، وذكر السمع والبصر والأفئدة - وهى القلوب - لعظم المنافع التى فيها فيجب شكر خالقها  
ومن شكره: توحيد واتباع رسوله عليه الصلاة والسلام، وفى ذكرها تعديد نعمة وإقامة حجة (ذراكم فى  
الارض) أى نشركم فيها (وله اختلاف الليل والنهار) أى هو فاعله ومختص به فاللام على هذا للاختصاص،  
وقد ذكر فى البقرة معنى اختلاف الليل والنهار (بل قالوا مثل ما قال الأولون) أى قالت قريش مثل قول الأمم  
المتقدمة، ثم فسر قولهم بإنكارهم البعث، وإليه الإشارة بقولهم: لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا، وقد ذكر  
الاستفهامان فى الرعد، وأساطير الأولين فى الأنعام (قل لمن الارض ومن فيها) هذه الآيات توقيف لهم  
على أمور لا يمكنهم الإقرار بها، وإذا أقروا بها لزمهم توحيد خالقها والإيمان بالدار الآخرة (سيقولون لله)  
قربى فى الأول لله باللام بإجماع، جواباً لقوله لمن الارض، وكذلك قرأ الجمهور الثانى والثالث، وذلك على  
المعنى لأن قوله من رب السموات فى معنى لمن هى، وقرأ أبو عمرو والثانى والثالث بالرفع على اللفظ (ملكو  
مصدر وفى بنائه مبالغة (بجبر ولا يجار عليه) الاجارة المنع من الإهانة، يقال أجزت فلانا على فلان إذا منعته  
من مضرتة وإهاتته، فالمعنى أن الله تعالى يغيب من شاء بمن شاء ولا يغيب أحدهم من أحد (فأنى تسحرون) أى  
تخدعون عن الحق والخادع لهم الشيطان، وذلك تشبيهه بالسحر فى التخليط والوقوع فى الباطل، ورتب  
هذه التوبيخات الثلاثة بالتدرج فقال أولاً أفلا تذكرون، ثم قال ثانياً أفلا تتقون، وذلك أبغ، لأن فيه  
زيادة تخويف، ثم قال ثالثاً فأنى تسحرون وفيه من التوبيخ ما ليس فى غيره (وإنهم لكاذبون) يعنى فيما  
ينسبون لله من الشركاء والأولاد ولذلك رد عليهم بنى ذلك (إذا لذهب كل إله بما خاق) هذا برهان على

لذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ \* عَلَّمَ الْغَيْبَ وَالشَّهَادَةَ فَتَعَلَّىٰ  
عَمَّا يُشْرِكُونَ \* قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيئِي مَا يُوعَدُونَ \* رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ  
مَانَعَدَهُمْ لَقَادِرُونَ \* ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السِّيئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ \* وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ  
الشَّيَاطِينِ \* وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ \* حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ \* لَعَلِّي أَعْمَلُ  
صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ \* فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا

الوحدانية ، وبيانه أن يقال لو كان مع الله إله آخر لا نفر دكل واحد منهما ؛ مخلوقاته عن مخلوقات الآخر ،  
واستبدت كل واحد منهما بملكه وطلب غلبة الآخر والعلو عليه كاترى حال ملوك الدنيا ولكن لما رأينا جميع  
المخلوقات مرتبطة بعضها ببعض حتى كأن العالم كله كرة واحدة : علمنا أن ماله وملكه ومدبره واحد ، لا إله غيره  
وليس هذا البرهان بدليل التمانع كما فهم ابن عطية وغيره ، بل هو دليل آخر ، فإن قيل : إذا تدخل الإله على  
كلام هو جزاء وجواب ، فكيف دخلت هنا ولم يتقدم قبلها شرط ولا سؤال سائل ؟ فالجواب : أن الشرط  
مخوف تقديره لو كان معه آلهة وإنما حذف لدلالة قوله وما كان معه من إله ، وهو جواب للكفار الذين  
وقع الرد عليهم (عالم الغيب) بالرفع خبر ابتداء ، وبالخفض صفة لله (قل رب إمام ترينى ما يوعدون) الآية : معناه  
أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يدعو لنفسه بالنجاة من عذاب الظالمين إن قضى أن يرى ذلك ،  
وفيها تهديد للظالمين وهم الكفار ، وإن شرطية وما زائدة ، وجواب الشرط فلا تجعلى ، وكرر قوله رب مبالغة  
فى الدعاء والتضرع (ادفع بالتي هي أحسن السيئة) قيل التي هي أحسن لا إله إلا الله ، والسيئة الشرك ، والأظهر  
أنه أمر بالصفح والاحتمال وحسن الخلق وهو محكم غير منسوخ ، وإنما نسخ ما يقتضيه من مسالمة الكفار  
(من همزات الشياطين) يعنى نزغاته ووساوسه ، وقيل يعنى الجنون ، واللفظ أعم من ذلك (أن يحضرون)  
معناه أن يكونوا معه ، وقيل يعنى حضورهم عند الموت (حتى إذا جاء أحدهم الموت) قال ابن عطية : حتى هنا  
حرف ابتداء : أى ليست غاية لما قبلها ، وقال الزمخشري حتى تتعلق بـ يصفون : أى لا يزالون كذلك حتى يأتيهم  
الموت (قال رب ارجعون) يعنى الرجوع إلى الدنيا ، وخاطب به مخاطبة الجماعة للتعظيم ، قال ذلك الزمخشري  
وغيره ، ومثله قول الشاعر : ألا فارحمون يا آل محمد \* وقيل إنه نادى ربه ثم خاطب الملائكة (فبما تركت)  
قيل يعنى فيما تركت من المال ، وقيل فيما تركت من الإيمان فهو كقوله : أو كسبت فى إيمانها خيرا ، والمعنى  
أن الكافر رغب أن يرجع إلى الدنيا ليؤمن ويعمل صالحا فى الإيمان الذى تركه أول مرة (كلا) ردع له  
عما طلب (إنها كلمة هو قائلها) يعنى قوله رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فسمى هذا الكلام كلمة وفى تأويل  
معناه ثلاثة أقوال : أحدها أن يقول هذه الكلمة لاحتمال الإفراط ندمه وحسرتة فهو إخبار بقوله ، والثانى  
أن المعنى أنها كلمة يقولها ولا تنفعه ولا تغنى عنه شيئا ، والثالث أن يكون المعنى أنه يقولها كاذبا فيها ، ولورجع  
إلى الدنيا لم يعمل صالحا (ومن ورائهم) أى فيما يستقبلون من الزمان والضمير للجماعة المذكورين فى قوله جاء أحدهم  
(برزخ) يعنى المادة التى بين الموت والقيامة ، وهى تحول بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا وأصل البرزخ الحاجز  
بين شيئين (فلا أنساب بينهم) المعنى أنه ينقطع يومئذ التعاطف والشفقة التى بين القرابة لا اشتغال كل أحد بنفسه

أَنَسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ \* فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمَفْلُحُونَ \* وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ  
 فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ \* تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ \* أَلَمْ تَكُنْ  
 آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ \* قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ \* رَبَّنَا أَخْرِجْنَا  
 مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ \* قَالَ أَخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون \* إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا  
 فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ \* فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوَكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ \*  
 إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ \* قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ \* قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا  
 أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَادِينَ \* قُلْ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* أَخْسِبْتُمْ أَمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا  
 وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَاتُرْجَعُونَ \* فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ \* وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ  
 إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ \* وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ  
 خَيْرُ الرَّاحِمِينَ \*

كقوله (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه) فتكون الأنساب كأنها معدومة (ولا يتساءلون) أي لا يسأل بعضهم  
 بعضاً الاشتغال كل أحد بنفسه ، فإن قيل : كيف الجمع بين هذا وبين قوله « وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون » ،  
 فالجواب أن ترك التساؤل عند النفخة الأولى ثم يتساءلون بعد ذلك فإن يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف كثيرة  
 (تلفح وجوههم النار) أي تصيبهم بالإحراق (كالحون) الكراخ انكشاف الشفتين عن الأسنان ، وكثيراً ما يجري  
 ذلك للكلاب ، وقد يجري للكباش إذا شويت رؤسها ، وفي الحديث إن شفة الكافر ترتفع في النار حتى تبلغ  
 وسط رأسه ، وفي ذلك عذاب وتشويه (غلبت علينا شقوتنا) أي ما قدر عليهم من الشقاء ، وقرئ شقاوتنا ،  
 والمعنى واحد (قال اخسوا) كلة تستعمل في زجر الكلاب ، ففيها إهانة وإبعاد (ولا تكلمون) أي لا تكلمون  
 في رفع العذاب حينئذ يأسون من ذلك ، أعادنا الله من ذلك برحمته (سخرى) بضم السين من السخرة بمعنى  
 التخديم ، وبالكسر من السخر بمعنى الاستهزاء ، وقد يقال هذا بالضم ، وقرئ هنا بالوجهين لاحتمال المعنيين ،  
 على أن معنى الاستهزاء هنا أليق لقوله « وكنتم منهم تضحكون » (كم لبئتم في الأرض) يعني في جوف الأرض أمواتاً ،  
 وقيل أحياء في الدنيا ، فأجابوا بأنهم لبسوا يوماً أو بعض يوم لاستقصارهم المادة أو لما هم فيه من العذاب بحيث  
 لا يعدون شيئاً (فاسأل العادين) أي استل من يقدر على أن يعد ، وهو من عوفى عما ابتلوا به أو يعنون الملائكة  
 (إن لبئتم إلا قليلاً) معناه أنه قليل بالنسبة إلى بقائهم في جهنم خالدين أبداً (عبثاً) أي باطلاً ، والمعنى إقامة حجة  
 على الحشر للثواب والعقاب (لا برهان له به) أي لا حجة ولا دليل ، والجملة صفة لقوله لها آخر ، وجواب الشرط  
 (فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون) الضمير للأمر والشأن ، وانظر كيف افتتح السورة بفلاح  
 المؤمنين وختمها بعدم فلاح الكافرين ، ليسين البون بين الفريقين والله أعلم

## سورة النور

مدنيه وآياتها ٦٤ نزلت بعد الحشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝  
الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

## سورة النور

(سورة أنزلناها) السورة خبر ابتداء مضمرة ، أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره فيما أنزل عليكم سورة ، وأنزلناها صفة للسورة ، وفرضناها : أى فرضنا الأحكام التى فيها وقرئ بالتشديد للمبالغة (آيات بينات) يعنى ما فيها من المواعظ والأحكام والأمثال ، وقيل معنى بينات هنا ليس فيها مشكل (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) الزانية والزانى يراد بهما الجنس ، وقدم الزانية لأن الزانى كان حينئذ فى النساء أكثر ، فإنه كان منهن إمام وبغايا يباحرن بذلك ، وإعراب الزانى والزانية كإعراب : السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ، وقد ذكر فى المائدة ، وهذه الآية ناسخة بإجماع لما فى سورة النساء من الإمساك فى البيوت فى الآية الواحدة ومن الأذى فى الأخرى ، ثم إن لفظ هذه الآية عندما لك ليس على عمومه ، فإن جلد المائدة إنما هو حد الزانى والزانية إذا كانا مسلمين حرين غير محصنين ، فيخرج منها الكفار ، فيردون إلى أهل دينهم ، ويخرج منها العبد والأمة والمحسن والمحصنة ، فأما العبد والأمة : فحدهما خمسون جلدة سواء كانا محصنين أو غير محصنين ، وأما المحصنان الحران فحدهما الرجم هذا على مذهب مالك ، وأما الكلام على الآية بالنظر إلى سائر المذاهب ، فاعلم أن لفظ هذه الآية ظاهره العموم فى المسلمين والكافرين ، وفى الأحرار والعبيد والإماء ، وفى المحسن وغير المحسن ، ثم إن العلماء خصصوا من هذا العموم أشياء ، منها باتفاق ، ومنها باختلاف ، فأما الكفار فرأى أبو حنيفة وأهل الظاهر أن حدهم جلد مائة أحصنوا أو لم يحصنوا : أخذوا بعموم الآية ، ورأى الشافعى أن حدهم كحد المسلمين الجلد إن لم يحصنوا ، والرجم إن أحصنوا أخذوا بالآية ، وبرجم النبي صلى الله عليه وسلم لليهودى واليهودى إذ زنيا ، ورأى مالك أن يردوا إلى أهل دينهم لقوله تعالى : فى سورة النساء « واللاتى يأتين الفاحشة من نساءكن ، فخص نساء المسلمين على أنها قد نسختها هذه ، ولكن بقيت فى محلها ، وأما العبد والأمة : فرأى أهل الظاهر أن حد الأمة خمسون جلدة لقوله تعالى « فاعلمن نصف ما على المحصنات من العذاب ، وأن حد العبد الجلد مائة لعمرم الآية ، وقال غيرهم يجلد العبد خمسين بالقياس على الأمة ، إذ لافرق بينهما ، وأما المحسن فقال الجمهور حده الرجم فهو مخصوص فى هذه الآية ، وبعضهم يسمى هذا التخصيص نسخاً ، ثم اختلفوا فى المخصص أو الناسخ ، فقيل الآية التى ارتفع لفظها وبقي حكمها وهى قوله « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ، وقيل الناسخ لها السنة الثابتة فى الرجم ، وقال أهل الظاهر وعلى بن أبى طالب : يجلد المحسن بالآية ، ثم يرمم بالسننة فجمعوا عليه الحدين ، ولم يجعلوا الآية منسوخة ، ولا مخصصة ، وقال الخوارج لا رجم أصلاً فإن الرجم ليس فى كتاب الله ، ولا يعتد بقولهم ، وظاهر الآية الجلد دون تغريب ، وبذلك قال أبو حنيفة ، وقال مالك الجلد والتغريب سنة للحديث ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : البكر بالبكر جلد مائة وتغريب

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلِيَشْهَدَ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ . الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ . وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ \* إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن

عام ، ولا تغريب على النساء ولا على العبيد عند مالك ، وصفة الجلد عند مالك في الظهر والمجلود جالس وقال الشافعي يفرق على جميع الأعضاء والمجلود قائم ، وتستمر المرأة بشوب لا يقيها الضرب ، ويجزئ الرجل عند مالك وقال قوم يجلد على قميص (ولا تأخذكم بهما رافة) قيل يعني في إسقاط الحد : أى أقيموه ولا بد ، وقيل في خفيف الضرب ، وقيل في الوجهين . فعلى القول الأول يكون الضرب في الزنا كالضرب في القذف غير مبرح ، وهو مذهب مالك والشافعي ، وعلى القول الثاني والثالث يكون الضرب في الزنا أشد ، واختلف هل يجوز أن يجمع مائة سوط يضرب بها مرة واحدة فتمعه مالك وأجازه أبو حنيفة لما ورد في قصة أيوب عليه السلام ، وأجازه الشافعي للمريض لورود ذلك في الحديث (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) المراد بذلك توبيخ الزناة والغاظة عليهم ، واختلف في أقل ما يجزئ من الطائفة فقيل أربعة اعتباراً بشهادة الزنا وهو قول ابن أبي زيد ، وقيل عشرة ، وقيل اثنين وهو مشهور مذهب مالك ، وقيل واحد (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة) الآية : معناها ذم الزناة وتشنيع الزنا ، وأنه لا يقع فيه إلا زان أو مشرك ولا يوافق عليه من النساء إلا زانية أو مشركة ، وينكح على هذا بمعنى يجمع ، وقيل معناها لا يحل لزنان أن يتزوج إلا زانية أو مشركة ، ولا يحل لزانية أن تتزوج إلا زانياً أو مشركاً ، ثم نسخ هذا الحكم وأبيح لها التزوج من شأواً ، والأول هو الصحيح (وحرّم ذلك على المؤمنين) الإشارة بذلك إلى الزنا أى حرّم الزنا على المؤمنين وقيل الإشارة إلى تزوج المؤمن غير الزاني بزانية ، فإن قوماً منعوا أن يتزوجها ، وهذا على القول الثاني في الآية قبلها وهو بعيد ، وأجاز تزويجها مالك وغيره ، وروى عنه كراهته (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدَةً) هذا حد القذف وهو الفرية التي عبر الله عنها بالرمي والمحصنات يراد بهن هنا العفاف من النساء ، وخصن بالذكر لأن قذفهن أكثر وأشنع من قذف الرجال ، ودخل الرجال في ذلك بالمعنى إذ لا فرق بينهم ، وأجمع العلماء على أن حكم الرجال والنساء هنا واحد ، وقيل إن المعنى يرمون الأنفس المحصنات فيم اللفظ على هذا النساء والرجال ، ويحتاج هنا إلى الكلام في القذف والقاذف والمقذوف والشهادة في ذلك ، فأما القذف فهو الرمي بالزنا اتفاقاً ، أو بفعل قوم لوط عند مالك والشافعي لعموم لفظ الرمي في الآية ، خلافاً لابي حنيفة ، أو النفي من النسب ، ومذهب مالك أن التعريض بذلك كله كالتصريح خلافاً للشافعي وأبي حنيفة ، وأما القاذف فيحد : سواء كان مسلماً أو كافراً لعموم الآية ، وسواء كان حراً أو عبداً إلا أن العبد والأمة إنما يحدان أربعين عند الجمهور فنصفوا حدهما قياساً على تنصيفه في الزنا خلافاً للظاهرية ، ولا يحد الصبي ولا المجنون لكونهما غير مكلفين ، وأما المقذوف فذهب مالك أنه يشترط فيه الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والبرائة عما رمى به ، والتمكن من الوطء تحريماً من المجرم وشبهه ، فلا يحد عنه من قذف صبياً أو كافراً أو مجرباً أو عبداً ومن لا يمكنه الوطء وقد قيل يحد من قذف واحد منهم لعموم الآية واتفقوا على اشتراط البرائة مما رمى به وأما الشهادة التي

بَعْدَ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ \* وَالْخَامِسَةُ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ \* وَيَدْرُؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ \* وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ \* وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ \* إِنْ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ

تسقط حد القذف ، فهي أن يشهد شاهدان عدلان بأن المذنوب عبدا أو كافرا ويشهد أربعة شهود ذكور عدول على المعاينة لما قذف به كالمروود في المسكحلة ، ويؤدون الشهادة مجتمعين ( إلا الذين تابوا ) تقدم قبل هذا الاستثناء ثلاثة أحكام ، وهي الحدورة شهادة القاذف وتفسيره ، فاتفق على أن الاستثناء راجع إلى التفسير وأن ذلك يزول عنه بالتوبة ، واتفق على أنه لا يرجع إلى الحد وأنه لا يسقط عنه بالتوبة ، واختلاف هل يرجع إلى رد الشهادة أم لا : فقال مالك إذا تاب قبلت شهادته ، خلافا لأبي حنيفة ، وتوبته هو صلاح حاله في دينه وقيل إن كذاب نفسه ( والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم ) هذه الآية في قذف الرجل لامرأته فيجب اللعان بذلك ، وسبها أن رجلا قال يا رسول الله الرجل يجد مع امرأته رجلا أيقته فتقتلونه أم كيف يصنع ، فسكت عنه نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم عاد فقال مثل ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل الله فيك وفي صاحبك فأنتي بها فأنتي بها فتلاعنا وفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وموجب اللعان عند مالك شيئان : أحدهما أن يدعى الزوج أنه رأى امرأته تزني ، والآخر أن ينفي حملها ويدعى الاستبراء قبله ، فإذا تلاعن الزوج تعلقت به ثلاثة أحكام نفى حد القذف عنه ، وانتفاء سب الولد منه ووجوب حد الزنا عليها إن لم تلاعن ، فإن تلاعت سقط الحد عنها ، ولفظ الآية عام في الزوجات الحرائر والمماليك ، والمسلمات والكافرات والعدول وغيرهم ، وبذلك أخذ مالك واشترط في الزوج الاسلام واشترط أبو حنيفة أن يكونا مسلمين حرين عدلين ( فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين ) أي يقول الزوج أربع مرات أشهد بالله لقد رأيت هذه المرأة تزني أو أشهد بالله ما هذا الحمل مني ولقد زنت وإني في ذلك لمن الصادقين ، ثم يقول في الخامسة لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ، وزاد أشهد أن يقول أشهد بالله الذي لا إله إلا هو ، وانتصب أربع شهادات بالله على المصدرية ، والعامل فيه شهادة أحدهم وقرئ بالرفع وهو خبر شهادة أحدهم ، وقوله بالله وإنه لمن الصادقين من صلة أربع شهادات أو من صلة شهادة أحدهم ( والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ) قرئ بنصب الخامسة هنا وفي الموضع الثاني ، وانتصب بفعل مضمرة تقديره ويشهد الخامسة ، أو بالعطف على أربع شهادات على قراءة النصب ، وقرئ بالرفع على الابتداء أو عطف على أربع شهادات بقراءة الرفع ، وقرئ أن لعنة ، وأن غضب : بتشديد أن ، ونصب اسمها وتخفيفها ورفع اللعنة والغضب على الابتداء ( ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين ) العذاب هنا حد الزنا أي يدفعه التعان المرأة ، وهي أن تقول أربع مرات أشهد بالله ما زنت ، وإنه في ذلك لمن الكاذبين ، ثم تقول في الخامسة : غضب الله عليها إن كان من الصادقين ، ويتعلق بالتعانها ثلاثة أحكام : دفع الحد عنها ، والتفريق بينها وبين زوجها ، وتأيد الحرمة ( ولولا فضل الله ) جواب لو محذوف هنا

منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم . لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين . لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون . ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم . إذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بأفواهكم

وفي الموضوع الآخر تقديره لولا فضل الله عليكم لآخذكم ، أو نحو هذا (إن الذين جاؤا بالإفك عصبة منكم) الإفك : أشد الكذب ، ونزلت هذه الآية وما بعدها إلى تمام ستة عشر آية في شأن سيدتنا عائشة رضي الله عنها وفي برامتها مما رماها به أهل الإفك وذلك أن الله برأ أربعة بأربعة برأ يوسف بشهادة الشاهد من أهلها وبرأ موسى من قول اليهود بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرأ مريم بكلام ولدها في حجرها وبرأ عائشة من الإفك بإنزال القرآن في شأنها ولقد تضمنت هذه الآيات الغاية القصوى في الاعتناء بها والكرامة لها والتشديد على من قذفها وقد خرج حديث الإفك البخاري ومسلم وغيرهما ، واختصاره أن عائشة خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني المصطلق فضاع لها عقد فتأخرت على التماسه حتى رحل الناس ، فجاء رجل يقال له صفوان بن المعطل ، فرآها فنزل عن ناقته وتنحى عنها حتى ركبت عائشة ، وأخذ يقودها حتى بلغ الجيـش ، فقال أهل الإفك في ذلك ما قالوا فباغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال ما بال رجال موالأهلى والله ما علمت على أهلى إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليا إلا خيرا ، وسأل جارية عائشة ، فقالت : والله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر ، والعصبة الجماعة من العشرة إلى الأربعين ، ولم يذكر في الحديث من أهل الإفك إلا أربعة ، وهم عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين ، وحننة بنت جحش ، ومسطح بن أثانة وحسان بن ثابت ، وقيل إن حسانا لم يكن منهم وار تفاع عصبة ، لأنه خبر إن ، واختار ابن عطية أن يكون عصبة بدلا من الضمير في جاؤا ، ويكون الخبر لا تحسبوه شرا لكم على تقدير إن حديث الذين جاؤا بالإفك ، والأول أظهر (بل هو خير لكم) خطاب للمسلمين ، والخير في ذلك من خمسة أوجه : تبرئة أم المؤمنين ، وكرامة الله لها بإنزال الوحي في شأنها ، والأجر الجزيل لها في القرية عاها ، ومو عظة المؤمنين ، والانتقام من المفترين (والذي تولى كبره) هو عبد الله بن أبي بن سلول المنافق ، وقيل الذي بدأ بهذه القرية غير معين والعذاب العظيم هنا يحتمل أن يراد به الحد أو عذاب الآخرة (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) لولا هنا عرض والمعنى أنه كان ينبغي المؤمنين والمؤمنات أن يقيسوا ذلك الأمر على أنفسهم ، فإن كان ذلك يبعد في حقهم فهو في حق عائشة أبعد لفضلها ، وروى أن هذا النظر وقع لأبي أيوب الأنصاري ، فقال لزوجه : أ كنت أنت تفعلين ذلك ، قالت لا والله ، قال فعائشة أفضل منك ؟ قالت نعم ، فإن قيل : لم قال سمعتموه بافظ الخطاب ، ثم عدل إلى لفظ الغيبة في قوله ظن المؤمنون ، ولم يقل ظنتم ؟ فالجواب أن ذلك التفات قصد به المبالغة والتصريح بالإيمان الذي يوجب أن لا يصدق المؤمن على المؤمن شرا (لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء) لولا هنا عرض ، والضمير في جاؤا لأهل الإفك ، ثم حكم الله بكذبهم إذ لم يأتوا بالشهداء (أنضتم فيه) يقال أفاض في الحديث وخاض فيه إذا أكثر الكلام فيه (إذ تلقونه بالسنتكم) العامل في إذ قوله مسكم أو أفضتم ، ومعنى تلقونه : يأخذه بهضكم من بعض ، وفي هذا الكلام وفي الذي قبله وبعده عتاب لهم على خوضهم

مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ \* وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ  
 بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ \* يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ \* وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ  
 الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ \* إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا  
 وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ \* وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَإِنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
 آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ  
 اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ \* وَلَا يَأْتَلِ  
 أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا

في حديث الإفك ، وإن كانوا لم يصدقوه ، فإن الواجب كان الإغضاء عن ذكره والتكلم به بالكلية ،  
 فإتباعهم على ثلاثة أشياء ، وهي : تلقيه بالألسنة : أى السؤال عنه وأخذه من المسؤل والثاني قولهم ذلك ،  
 والثالث أنهم حسبوه هينا وهو عند الله عظيم ، وفائدة قوله بألسنتكم وبأفواهكم الإشارة إلى أن ذلك  
 الحديث كان باللسان دون القلب إذ كانوا لم يعلموا حقيقته بهلوبهم ( ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا  
 أن نتكلم بهذا ) أى كان الواجب أن يبادروا إلى إنكار هذا الحديث أول سماعهم له ، ولولا أيضا في هذه  
 الآية عرض ، وكان حقها أن يليها الفعل من غير فاصل بينهما ، ولكنه فصل بينهما بقوله إذ سمعتموه لأن  
 الظروف يجوز فيها ما لا يجوز في غيرها ، والقصد بتقديم هذا الطرف الاعتناء به ، وبيان أنه كان الواجب  
 المبادرة إلى إنكار الكلام في أول وقت سمعتموه ، ومعنى ما يكون لنا ما ينبغي لنا ولا يحل لنا أن نتكلم بهذا  
 ( سبحانه ) تزيهه الله عن أن تكون زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ما قال أهل الإفك ، وقال  
 الزمخشري : هو بمعنى التعجب من عظيم الأمر ، والاستبعاد له ، والأصل في ذلك أن يسبح الله عند رؤية  
 العجائب ( بهتان عظيم ) البهتان أن يقال في الإنسان ما ليس فيه والغيبة أن يقال ما فيه ( أن تعودوا لمثله ) تقديره  
 يعظكم كراهة أن تعودوا لمثله ، ثم عظم الأمر وأكده بقوله إن كنتم مؤمنين ( إن الذين يحبون أن تشيع  
 الفاحشة ) الإشارة بذلك إلى المنافقين الذين أحبوا أن يشيع حديث الإفك ، ثم هو عام في غيرهم ممن اتصف  
 بصفتهم ، والعذاب في الدنيا الحد ، وأما عذاب الآخرة ، فقد ورد في الحديث أن من عوقب في الدنيا على  
 ذنب لم يعاقب عليه في الآخرة فأشكل اجتماع الحد مع عذاب الآخرة في هذا الموضع ، فيحتمل أن يكون  
 القاذف يعذب في الآخرة ولا يسقط الحد عنه عذاب الآخرة بخلاف سائر الحدود ، أو يكون هذا  
 مختصاً بمن قذف عائشة ، فإنه روى عن ابن عباس أنه قال : من أذنب ذنباً ثم تاب منه قبلت توبته إلا من  
 خاض في أمر عائشة أو يكون لمن مات مصر غير تائب ، أو يكون للمنافقين ( خطوات الشيطان ) ذكر في البقرة  
 ( الفحشاء والمنكر ) ذكر في النحل ( زكى ) أى تطهر من الذنوب ، وصلاح دينه ( ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة )  
 أن يؤتوا أولى القربى معنى يأتل يحاف ، فهو من قولك آليت إذا حلفت ، وقيل معناه يقصر فهو من قولك

وَلِيَصْفَحُوا إِلَّا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْسِنَاتِ الْعَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ  
لَعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تُشْهِدُهُمْ أَسْنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝  
يَوْمَئِذٍ يُوفِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ۝ الْحَيْثُ لِلْحَيْثِينَ وَالْحَيْثُونَ لِلْحَيْثَاتِ  
وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا  
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝

ألوت أى قصرت ومنه لا يألونكم خبالاً، والفضل هنا محتمل أن يريد به الفضل فى الدين أو الفضل فى المال وهو أن  
يفضل له عن مقدار ما يكفيه، والسعة هى اتساع المال، ونزلت الآية بسبب أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين  
حلف أن لا ينفق على مسطح لما تكلم فى حديث الإفك وكان ينفق عليه لمسكنته؛ ولأنه قريبه، وكان ابن بنت  
خالته، فلما نزلت الآية رجع إلى مسطح النفقة والإحسان، وكفر عن يمينه، قال بعضهم هذه أرجى آية فى القرآن  
لأن الله أوصى بالإحسان إلى القاذف، ثم إن لفظ الآية على عمومها فى أن لا يحلف أحد على ترك عمل صالح (الأتحجون  
أن يغفر الله لكم) أى كما تحبوز أن يغفر الله لكم كذلك اغفروا أتم لمن أساء إليكم، ولما نزلت قال أبو بكر رضى الله عنه  
إنى لأحب أن يغفر الله لى، ثم رد النفقة إلى مسطح (المحسنتات العافلات) معنى المحسنتات هنا العفاف ذوات الصون،  
ومعنى العافلات السليمان الصدور، فهو من الغفلة عن الشر (لعنوا فى الدنيا والآخرة) هذا الوعيد للقاذفين لعائشة  
ولذلك لم يذكر فيه توبة، قال ابن عباس كل مذنب تقبل توبته إذا تاب إلا من خاض فى حديث عائشة وقيل الوعيد  
لكل قاذف، والعذاب العظيم محتمل أن يريد به الحد أو عذاب الآخرة (يوم تشهد) العامل فيه يوفيه، وكرر يوفيه  
توكيدا وقيل العامل فيه عذاب أو فعل مضمرة (دينهم الحق) أى جزاؤهم الواجب لهم (ويعلمون أن الله هو الحق المبين)  
هذه الآية تدل على أن ما قبلها فى المنافقين، لأن المؤمن قد علم فى الدنيا أن الله هو الحق المبين، ومعنى المبين  
الظاهر الذى لا شك فيه (الحيثات للحيثين) الآية: معناها أن الحيثات من النساء للحيثين من الرجال، وأن  
الطيبات من النساء للطيبين من الرجال، فى ذلك رد على أهل الإفك، لأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم هو  
أطيب الطيبين فزوجته أطيب الطيبات، وقيل المعنى أن الحيثات من الأعمال للحيثين من الناس،  
والطيبات من الأعمال للطيبين من الناس فقيه أيضا رد على أهل الإفك، وقيل معناه أن الحيثات من  
الأقوال للحيثين من الناس، والإشارة بذلك إلى أهل الإفك: أى أن أقوالهم الحيثية لا يقو لها إلا خبيث  
مثلهم (أولئك مبرؤون مما يقولون) الإشارة بأولئك إلى الطيبين والطيبات والضمير فى يقولون للحيثات والحيثين  
والمراد تبرئة عائشة رضى الله عنها مما رميت به (لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها)  
هذه الآية أمر بالاستئذان فى غير بيت الداخل، فيعم بذلك بيوت الأقارب وغيرهم، وقد جاء فى الحديث  
الأمر بالاستئذان على الأم خيفة أن يراها عريانة، ومعنى تستأذنوا: تستأذنوا وهو مأخوذ من قولك آذنت  
الشيء إذا علمته، فالاستئناس: أن يستعلم هل يريد أهل الدار الدخول أم لا؟ وقيل هو مأخوذ من الأذنى ضد  
الوحشة؛ وقرأ ابن عباس حتى تستأذنوا، والاستئذان واجب، وأما السلام فلا ينتهى إلى الوجوب، واختلف

فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ \* لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ \* قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ \* وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِجُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ

أيهما يقدم ، فقيل بقدم السلام ثم يستأذن فيقول السلام عليكم ، ثم يقول أدخل ، وقيل بقدم الاستئذان لتقدمه في الآية ، وليس في الآية عدد الاستئذان ، وجاء في الحديث أن يستأذن ثلاث مرات ، وهو تفسير للآية (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم) سبب هذه الآية أنه لما نزلت آية الاستئذان تعمق قوم فكانوا يأتون المواضع غير المسكونة فيسلمون ويستأذنون ، فأباح هذه الآية دخرها بغير استئذان ، واختلف في البيوت غير المسكونة في هذه الآية ، فقيل هي الفنادق التي في الطرق ولا يسكنها أحد بل هي موقوفة لياوى إليها كل ابن سبيل ، والمتاع على هذا التمتع بالنزول فيها والمبيت وغير ذلك ، وقيل هي الخرب التي تدخل للبول والغائط ، والمتاع على هذا حاجة الإنسان ، وقيل هي حوائط القيسارية والمتاع على هذا الثياب والبسط وشبهها ، وهذا القول خطأ لأن الاستئذان في الحوائط واجب بإجماع (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم) إعرابها كإعراب يقيموا الصلاة في إبراهيم ، وقد ذكر ومن أبصارهم للتبويض ، والمراد غض البصر عما يحرم ، والاقتران به على ما يحل ، وقيل معنى التبويض فيه أن النظرة الأولى لا حرج فيها ، ويمنع ما بعدها ، وأجاز الأخفش أن تكون من زائدة ، وقيل هي لا ابتداء الغاية لأن البصر مفتاح القلب والغض المأمور به هو عن النظر إلى العورة ، أو إلى ما لا يحل من النساء أو إلى كتب الغير وشبه ذلك مما يستر وحفظ الفروج المأمور به : هو عن الزنا ، وقيل أراد ستر العورة ، والأظهر أن الجميع مراد (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) تؤمر المرأة بغض بصرها عن عورة الرجل وعن عورة المرأة إجماعا ، واختلف هل يجب عليها غض بصرها عن سائر جسد الرجل الأجنبي أم لا ، وعن سائر جسد المرأة أم لا ، فعلى القول بذلك تشتمل الآية عليه ، والكلام في حفظ فروج النساء كحفظ فروج الرجال (ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها) نهى عن إظهار الزينة بالجملة ثم استثنى الظاهر منها ، وهو ما لا بد من النظر إليه عند حركتها أو لإصلاح شأنها وشبه ذلك ، فقيل إلا ما ظهر منها يعني الثياب فعلى هذا يجب ستر جميع جسدنا ، وقيل الثياب والوجه والكفان ، وهذا مذهب مالك لأنه أباح كشف وجهها وكفيها في الصلاة وزاد أبو حنيفة القدمين (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) الجيوب هي التي يقول لها العامة أطواق ، وسببها أن النساء كن في ذلك الزمان يلبسن ثيابا واسعة الجيوب يظهر منها صدورهن ، وكن إذا غطين رؤسهن بالأخيرة سدلهن من وراء الظهر ، فيبقى الصدر والعنق والأذنان لاستر عاينها ، فأمرهن الله بلبس الأخيرة على الجيوب ليستر جميع ذلك (ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن) الآية : المراد بالزينة هنا الباطنة ، فلما

أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَاءَهُنَّ أَوْ مَمْلُوكَاتِ إِيْمَنِهِنَّ أَوِ التَّبَعِيْنَ  
غَيْرِ أَوْلَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِيْنَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ  
مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۚ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ

ذكر في الآية قبلها ما أباح أن يراه غير ذوى المحرم من الزينة الظاهرة ، وذكر في هذه ما أباح أن يراه الزوج  
وذوى المحارم من الزينة الباطنة ، وبدأ بالبعولة وهم الأزواج لأن اطلاعهم يقع على أعظم من هذا ، ثم  
ثمى بذوى المحارم وسوى بينهم في إبداء الزينة ، ولكن مراتبهم تختلف بحسب القرب ، والمراد بالأباه كل  
من له ولادة من والد وجد ، وبالأبناء كل من عليه ولادة من ولد وولد ولد ، ولم يذكر في هذه الآية من  
ذوى المحارم : العم والخال ومذهب جمهور العلماء جواز رؤيتهما للمرأة ، لأنهما من ذوى المحارم ، وكره ذلك  
قوم ، وقال الشافعى إنما لم يذكر العم والخال لثلاثا يصفان زينة المرأة لأولادهما (أونسائهن) يعنى جميع  
المؤمنات ، فكأنه قال أو صنفهن ويخرج عن ذلك نساء الكفار (أو مملكت أيمانهن) يدخل في ذلك الإمام  
المسلمات والكتاتيات ، وأما العبيد : فقبهم ثلاثة أقوال : منع رؤيتهم لسيدتهم وهو قول الشافعى ، والجواز  
وهو قول ابن عباس وعائشة ، والجواز بشرط أن يكون العبد وغاندا وهو مذهب مالك ، وإنما أخذ جوازه  
من قوله « أو التابعين غير أولى الإربة » ، واختلف هل يجوز أن يراها عبد زوجها وعبد الأجنبي أم لا ؟ على  
قولين (أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال) شرط في رؤية غير ذوى المحارم شرطين : أحدهما أن  
يكونا تابعين ، ومعناه أن يتبع لشيء يعطاه كالوكيل والمتصرف ، ولذلك قال بعضهم هو الذى يتبعك  
وهتمه بطنه ، والآخر أن لا يكون لهم إربة فى النساء كالخصى والمخت والشيخ الهرم والاحمق ، فلا يجوز  
رؤيتهم للنساء إلا باجتماع الشرطين ، وقيل بأحدهما ، ومعنى الإربة الحاجة إلى الوطء (أو الطفل الذى لم  
يظهروا على عورات النساء) أراد بالطفل الجنس ، ولذلك وصفه بالجمع ، ويقال طفل مالم يراهق اللحم  
ويظهروا معناه يطلعون بالوطء على عورات النساء ، فمعناه الذين لم يطؤا النساء ، وقيل الذين لا يدرون  
ما عورات النساء ، وهذا أحسن (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) روى أن امرأة كان لها  
خلخالان ، فكانت تضرب بهما ليسمعهما الرجال ، فبهى الله عز وجل عن ذلك ، قال الزجاج إسماع صوت  
الزينة أشد تحريكا للشهوة من إبدائها (وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون) التوبة واجبة على كل مؤمن مكلف  
بدليل الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، وفرائضها ثلاثة : الندم على الذنب من حيث عصى به ذو الجلال ،  
لا من حيث أضر بيدين أو مال ، والإفلاع عن الذنب فى أول أوقات الإمكان من غير تأخير ولا توان ، والعزم  
أن لا يعود إليها أبدا ومهما قضى عليه بالعود أحدث عزا مجددا ، وآدابها ثلاثة : الاعتراف بالذنب مقرونا  
بالانكسار ، والإكثار من التضرع والاستغفار ، والإكثار من الحسنات لمحو ما تقدم من السيئات ،  
ومراتبها سبع : فتوبة الكفار من الكفر ، وتوبة المخاطين من الذنوب الكبائر ، وتوبة العدول من الصغائر ،  
وتوبة العابدين من الفترات ، وتوبة السالكين من عمال القلوب والآفات ، وتوبة أهل الورع من الشبهات ،  
وتوبة أهل المشاهدة من الغفلات . والبواعث على التوبة سبعة : خوف العقاب ، ورجاء الثواب ، والخجل

مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝ وَلِيَسْتَعْفِفَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تَكْرَهُوا فَتَيْتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ مَحْضًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَوةِ

من الحساب، ومحبة الحبيب، ومراقبة الرقيب القريب، وتعظيم بالمقام، وشكر الإناعام (وأذكروا الأيامي منكم) الأيامي جمع أيام ومعناه الذين لا أزواج لهم رجالا كانوا أو نساء أبقاراً أو ثيبات، والخطاب هنا للأولياء والحكام أمرهم الله بتزويج الأيامي، فاقضى ذلك النهي عن عضلهم من التزويج، وفي الآية دليل على عدم استقلال النساء بالإنكاح؛ واشترط الولاية فيه، وهو مذهب مالك والشافعي خلافاً لأبي حنيفة (والصالحين من عبادكم وإمائكم) يعنى الذين يصلحون للتزويج من ذكور العبيد وإناثهم، وقال الزخشرى: الصالحين بمعنى الصلاح في الدين، قال وإنما خصهم الله بالذكر ليحفظ عليهم صلاحهم والمخاطبون هنا ساداتهم؛ ومذهب الشافعي أن السيد يجبر على تزويج عبيده على هذه الآية خلافاً لمالك، ومذهب مالك أن السيد يجبر عبده وأمنه على النكاح خلافاً للشافعي (إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله) وعد الله بالغنى للفقراء الذين يتزوجون لطلب رضا الله، ولذلك قال ابن مسعود التمسوا الغنى في النكاح (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله) أمر بالاستعفاف وهو الاجتهاد في طلب العفة من الحرام لمن لا يقدر على الزواج، فقوله لا يجدون نكاحاً معناه لا يجدون استطاعة على الزواج بأى وجه تعذر الزواج، وقيل معناه لا يجدون صداقاً للنكاح، والمعنى الأول أعم، والثاني أليق بقوله حتى يغنيهم الله من فضله (والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم) الكتاب هنا مصدر بمعنى الكتابة، وهى مقاطعة العبد على مال منجم فإذا أذاه خرج حرّاً، وإن عجز بقى رقيقاً، وقيل إن الآية نزلت بسبب حويط بن عبد العزى سأل مولاه أن يكاتبه فأبى عليه، وحكمها مع ذلك عام فأمر الله سادات العبيد أن يكاتبوهم إذا طلبوا الكتابة، وهذا الأمر على الندب عند مالك والجمهور، وقال الظاهرية وغيرهم هو على الوجوب وذلك ظاهر قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأنس بن مالك حين سأله مملوكه سيرين الكتابة فلكأ أنس فقال له عمر لتكاتبته أو لأوجعك بالدرّة، وإنما حمله مالك على الندب لأن الكتابة كالبيع، فكما لا يجبر على البيع لا يجبر عليها، واختلف هل يجبر السيد عبده على الكتابة أم لا؟ على قولين في المذهب (إن علمتم فيهم خيراً) الخير هنا القوة على أداء الكتابة بأى وجه كان، وقيل هو المال الذى يودى منه كتابته من غير أن يسأل أموال الناس، وقيل هو الصلاح في الدين (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) هذا أمر بإعانة المكاتب على كتابته واختلف فيمن المخاطب بذلك فقيل هو خطاب للناس أجمعين، وقيل للولاة، والأمر على هذين القولين للندب، وقيل هو خطاب لسادات المكاتبين، وهو على هذا القول ندب عند مالك، ووجوب عند الشافعي فإن كان الأمر للناس، فالمعنى أن يعطوهم صدقات من أموالهم، وإن كان للولاة فيعطوهم من الزكاة، وإن كان لسادات فيحطوا عنهم من كتابتهم، وقيل يعطوهم من أموالهم من غير الكتابة، وعلى القول بالخط من الكتابة اختلف في مقدار ما يحط، فقيل الربع، وروى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غُفُورٌ رَحِيمٌ \* وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا  
مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ \* اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ

وقيل الثالث ، وقال مالك والشافعي : لاحد في ذلك ، بل أقل ما ينطلق عليه اسم شيء ، إلا أن الشافعي يجبره على ذلك ، ولا يجبره مالك ، وزمان الحط عنه في آخر الكتابة عند مالك ، وقيل في أول نجم (ولا تكرر هو فتياتكم على البغاء) معنى البغاء الزنا ، نهى الله المسلمين أن يجبروا مملوكاتهم على ذلك وسبب الآية أن عبد الله ابن أبي ابن سلول المناق كان له جاريتان ، فكان يأمرهما بالزنا للكسب منه وللولادة ، ويضربهما على ذلك ، فشككتا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فيه وفيمن فعل مثل فعله (إن أردن تحصنا) هذا الشرط راجع إلى إكراه الفتيات على الزنا إذ لا يتصور إكراههن إلا إذا أردن التحصن وهو التعفف ، وقيل هو راجع إلى قوله وأنكحوا الأيامى وذلك بعيد (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) يعنى ما تكسبه الأمة بفرجها ، وماتله من الزنا ؛ ويتعلق لتبتغوا بقوله لا تكرر هو (ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم) المعنى غفور لهن رحيم بهن لا يؤاخذهن بالزنا ، لأنهن أكرهن عليه ، ويحتمل أن يكون المعنى غفور رحيم للسيد الذى يكرههن إذا تاب من ذلك (آيات مبينات) بفتح الياء : أى بينها الله ؛ وبالكسر مبينات للأحكام والحلال والحرام (ومثلاً) يعنى ضرب لكم الأمثال بمن كان قبلكم فى تحريم الزنا ، لأنه كان حراماً فى كل ملة أو فى براءة عائشة كما برأ يوسف ومريم (الله نور السموات والأرض) النور يطلق حقيقة على الضوء الذى يدرك بالابصار ، ومجازاً على المعانى التى تدرك بالقلوب ، والله ليس كمثل شيء ، فتأويل الآية الله ذو نور السموات والأرض ؛ ووصف نفسه بأنه نور كما تقول زيد كرم إذا أردت المبالغة فى أنه كريم ، فإن أراد بالنور المدرك بالابصار ، فعنى نور السموات والأرض أنه خلق النور الذى فىهما من الشمس والقمر والنجوم ، أو أنه خلقهما وأخرجهما من العدم إلى الوجود ، فإنما ظهرت به كما تظهر الأشياء بالضوء ، ومن هذا المعنى قرأ على بن أبى طالب «الله نور السموات والأرض» بفتح النون والواو والراء وتشديد الواو : أى جعل فىهما النور ، وإن أراد بالنور المدرك بالقلوب ، فعنى نور السموات والأرض جاعل النور فى قلوب أهل السموات والأرض ولهذا قال ابن عباس : معناه هادى أهل السموات والأرض (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) المشكاة هى الكوة غير النافذة تكون فى الخائط ويكون المصباح فيها شديد الإضاءة ، وقيل المشكاة العمود الذى يكون المصباح على رأسه ، والأول أصح وأشهر ، والمعنى صفة نور الله فى وضوحه كصفة مشكاة فيها مصباح على أعظم ما يتصوره البشر من الإضاءة والإنارة ، وإنما شبه بالمشكاة وإن كان نور الله أعظم ، لأن ذلك غاية ما يدركه الناس من الأنوار ، فضرب المثل لهم بما يصلون إلى إدراكه وقيل الضمير فى نوره عائد على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل على القرآن ، وقيل على المؤمن ، وهذه الأقوال ضعيفة لأنه لم يتقدم ما يعود عليه الضمير ، فإن قيل : كيف يصح أن يقال الله نور السموات والأرض فأخبر أنه هو النور ، ثم أضاف النور إليه فى قوله مثل نوره ، والمضاف عين المضاف إليه ؟ فالجواب أن ذلك يصح مع التأويل الذى قدمناه أى الله ذو نور السموات والأرض ، أو كما تقول زيد كرم ، ثم تقول ينعش الناس بكرمه

المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد  
زيتها يضيء ولو لم تمسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثل للناس والله  
بكل شيء عليم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال  
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب  
والأبصار \* ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب \* والذين

(المصباح في زجاجة) المصباح هو الفتيل بناره، والمعنى أنه في قنديل من زجاج لأن الضوء فيه أزر، لأنه جسم  
شفاف (الزجاجة كأنها كوكب درى) شبه الزجاج في إنارتها بكوكب درى، وذلك يحتمل معنيين إيمان يريد  
أنها تضيء بالمصباح الذي فيها، وإيمان يريد أنها في نفسها شديدة الضوء لصفاتها ورقة جوهرها، وهذا أبلغ لاجتماع  
نورها مع نور المصباح، والمراد بالكوكب الدرى أحد الدراري المضيئة: كالمشترى، والزهرة، وسهيل،  
ونحوها، وقيل أراد الزهرة، ولادليل على هذا التخصيص، وقرأ نافع درى بضم الدال وتشديد الياء بغير  
همزة ولهذا القراءة وجهان: إيمان ينسب الكوكب إلى الدر لياضه وصفائه، أو يكون مسهلاً من الهمز،  
وقرى بالهمز وكسر الدال وبالهمز وضم الدال، وهو مشتق من الدر بمعنى الدفع (يوقد من شجرة مباركة  
زيتونة) من قرأ يوقد بالياء أو توقد بالفعل الماضي فالفعل مسند إلى المصباح، ومن قرأ توقد بالتاء والفعل  
المضارع فهو مسند إلى الزجاج، والمعنى: توقد من زيت شجرة مباركة، ووصفها بالبركة لكثرة منافعها،  
أولاً أنها تنبت في الأرض المباركة وهي الشام (لاشرقية ولاغربية) قيل يعني أنها بالشام فليست من شرق  
الأرض ولا من غربها، وأجود الزيتون زيتون الشام، وقيل هي منسكفة تصيبها الشمس طول النهار، فليست  
خالصة للشرق فتسمى شرقية، وللغرب فتسمى غربية بل هي غربية شرقية، لأن الشمس تستدير عليها من الشرق  
والغرب، وقيل إنها في وسط دوحة لاني جهة الشرق من الدوحة ولا في جهة الغرب، وقيل إنها من شجرة  
الجنة ولو كانت في الدنيا لكانت شرقية أوغربية (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار) مبالغة في وصف صفائه  
وحسنه (نور على نور) يعني اجتماع نور المصباح وحسن الزجاج وطيب الزيت، والمراد بذلك كمال النور الممثل به  
(يهدى الله لنوره من يشاء) أى يوفق الله من يشاء لإصابة الحق (في بيوت) يعني المساجد، وقيل بيوت أهل  
الإيمان من مساجد أو مساكن، والأول أصح، والجاري يتعلق بما قبله: أى كشكاة في بيوت، أو توقد في بيوت،  
وقيل بما بعده وهو يسبح، وكرر الجاز بعد ذلك تأكيداً، وقيل بمحذوف: أى سبحوا في بيوت أذن الله أن ترفع،  
والمراد بالإذن الأمر، ورفعها بناؤها، وقيل تعظيمها (بالغدو والآصال) أى غدوة وعشية وقيل أراد الصبح  
والعصر وقيل صلاة الضحى والعصر (رجال) فاعل يسبح على القراءة بكسر الباء، وأما على القراءة بالفتح فهو مرفوع  
بفعل مضمر يدل عليه الأول (لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) أى لا تشغلهم، ونزلت الآية في أهل  
الأسواق الذين إذا سمعوا النداء بالصلاة تركوا كل شغل وبادروا إليها، والبيع من التجارة، ولكنه خصه بالذكر  
تجربيداً كقوله: فأكهة ونخل ورمان، أو أراد بالتجارة الشراء (تقلب فيه القلوب والأبصار) أى تضطرب

كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كَسْرَابٌ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُوفًا فَوْقَ حِسَابِهِ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ \* أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدِّ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ \* أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ

من شدة الهول والخوف ، وقيل تفقه القلوب وتبصر الأبصار بعد العمى ، لأن الحقائق تنكشف حينئذ ، والأول أصح كقوله : وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، وفي قوله «تنقلب فيه القلوب» تجنيس (ليجزئهم الله) متعلق بما قبله ، أو بفعل من معنى ما قبله (أحسن ما عملوا) تقديره جزاء أحسن ما عملوا (ويزيدهم من فضله) يعني زيادة على ثواب أعمالهم (بغير حساب) ذكر في البقرة (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) لما ذكر الله حال المؤمنين أعقب ذلك بمثالين لأعمال الكافرين : الأول يقتضى حال أعمالهم في الآخرة ، وأنها لا تنفعهم ، بل يضمحل ثوابها كما يضمحل السراب ، والثاني يقتضى حال أعمالهم في الدنيا ، وأنها في غاية الفساد والضلال كالظلمات التي بعضها فوق بعض ، والسراب هو ما يرى في الفلوات من ضوء الشمس في الهجيرة حتى يظهر كأنه ماء يجري على وجه الأرض والقيعة جمع قاع وهو المنبسط من الأرض ، وقيل بمعنى القاع وليس بجمع (يحسبه الظمآن ماء) الظمآن العطشان : أى يظن العطشان أن السراب ماء ، فيأتيه ليشربه ، فإذا جاء خاب مأملاً ، وبطل ما ظن ، وكذلك الكافر يظن أن أعماله تنفعه ، فإذا كان يوم القيامة لم تنفعه فهي كالسراب (حتى إذا جاءه) ضمير الفاعل للظمآن ، وضمير المفعول للسراب أو ضمير الفاعل للكافر وضمير المفعول لعمله (لم يجده شيئاً) أى شيئاً ينتفع به أو شيئاً موجوداً على العموم لأنه معدوم ، ويحتمل أن يكون ضمير الفاعل للظمآن وضمير المفعول للسراب . أو ضمير الفاعل للكافر وضمير المفعول لعمله (ووجد الله عنده) ضمير الفاعل في وجد للكافر ، والضمير في عنده لعمله ، والمعنى وجد الله عنده بالجزء ، أو وجد زبانية الله (أو كظلمات) هذا هو المثال الثاني ، وهو عطف على قوله كسراب ، والمشبّه بالظلمات أعمال الكافر : أى هم من الضلال والحيرة في مثل الظلمات المجتمعة من ظلمة البحر تحت الموج تحت السحاب (في بحر لجي) منسوب إلى اللج ، وهو معظم الماء ، وذهب بعضهم إلى أن أجزاء هذا المثال قوبلت به أجزاء المثل به فالظلمات أعمال الكافر ، والبحر اللجى صدره ، والموج جهله ، والسحاب الغطاء الذى على قلبه ، وذهب بعضهم إلى أنه تمثيل بالجملة من غير مقابلة وفي وصف هذه الظلمات بهذه الأوصاف مبالغة كما أن وصف النور المذكور قبلها مبالغة (إذا أخرج يده لم يكديرها) المعنى مبالغة في وصف الظلمة ، والضمير في أخرج وما بعده للرجل الذى وقع في الظلمات الموصوفة واختلف في تأويل الكلام : فقيل المعنى إذا أخرج يده لم يقارب رؤيتها ، فنفي الرؤية ومقاربتها ، وقيل بل رآها بعد عسر وشدة ، لأن كاد إذا نفيت تقتضى الإيجاب ، وإذا أوجبت تقتضى النفي ، وقال ابن عطية : إنما ذلك إذا دخل حرف النفي على الفعل الذى بعدها فأما إذا دخل حرف النفي على كاد كقوله لم يكبد ، فإنه يحتمل النفي والإيجاب (ومن لم يجعل الله له نوراً) أى من لم يهده الله لم يهتد ، فالنور كناية عن الهدى ، والإيمان فى الدنيا ، وقيل أراد فى الآخرة أى من لم يرحمه الله فلا رحمة له ، والأول أليق بما قبله (ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات ومن فى الأرض) الرؤية هنا بمعنى العلم والتسبيح التنزيه والتعظيم وهو من العقلاء بالنطق ، وأما تسبيح الطير وغيرها مما لا يعقل ، فقال الجمهور إنه حقيقى ، ولا يبعد أن

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ۝ يَلْقَبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ۝ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَفَنَّهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ۝ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ۝ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ۝ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ۝ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ أُحْرَجَهُمْ

يلهما الله التسييح، كما يلهما الأمور الدقيقة التي لا يهتدى إليها العقلاء، وقيل تسييحه ظهور الحكمة فيه (صافات) يصفن أجنحتهن في الهواء (كل قد علم) الضمير في علم الله، أو لكل، والضمير في صلواته وتسييحه لكل (بزجي) معناه يسوق، والإزجاء إنما يستعمل في سوق كل ثقل كالسحاب (ركاما) متكاثف بعضه فوق بعض (الودق) المطر (من خلاله) أي من بينه، وهو جمع خلل كجبل وجبال (وينزل من السماء من جبال فيها من برد) قيل إن الجبال هنا حقيقة وأن الله جعل في السماء جبالا من برد، وقيل إنه مجاز كقولك عند فلان جبال من مال أو علم: أي هي في الكثرة كالجبال، ومن في قوله «من السماء» لا ابتداء الغاية، وفي قوله «من جبال»، كذلك، وهي بدل من الأولى، وتكون للتبعض، فتكون مفعول ينزل، ومن في قوله «من برد»: لبيان الجنس أو للتبعض فتكون مفعول ينزل، وقال الأخفش هي زائدة، وذلك ضعيف، وقوله «فيها» صفة للجبال، والضمير يعود على السماء (سنا برقه) السنا بالقصر الضوء، وبالماء المجد والشرف (يقلب الله الليل والنهار) أي يأتي بهذا بعد هذا (خلق كل دابة) يعني نبي آدم والبهائم والطيور لأن ذلك كله يدب (من ماء) (يعني المني)، وقيل الماء الذي في الطين الذي خلق منه آدم وغيره (على بطنه) كالحيات والحوت (ويقولون آمنا) الآية: نزلت في المنافقين، وسببها أن رجلا من المنافقين كانت بيته وبين يهودى خصومة، فدعاه اليهودى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعرض عنه، ودعاه إلى كعب بن الأشرف (مذعنين) أي منقادين طائعين لقصد الوصول إلى حقوقهم (أفي قلوبهم مرض) توقيف يراد به التوبيخ، وكذلك ما بعده (أن يحيف) معناه أن يجور، والحيف الميل، وأسندته إلى الله، لأن الرسول إنما يحكم بأمر الله وشرعه (إنما كان قول المؤمنين) الآية. معناها إنما الواجب أن يقول المؤمنون: سمعنا وأطعنا إذا دعوا إلى الله ورسوله، وجعل الدعاء إلى الله من حيث هو إلى شرعه (ومن يطع الله ورسوله) الآية: قال ابن عباس: معناها من

لِيُخْرِجَنَّ قُلُوبَهُمْ لَاتَقْسَمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفَةَ إِنْ أَلَّ اللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۚ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حَمَلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ \* وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۚ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ \* لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ وَلَبَسَ الْمُصِيرُ يَسَائِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيَسْتَأْذِنَنَّ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ

يطع الله في فرائضه ورسوله في سنته (ويحشى الله) فيما مضى من ذنوبه (ويتقاه) فيما يستقبل، وسأل بعض الملوك عن آية كافية جامعة فذكرت له هذه الآية، وسمعتها بعض بطارقة الروم فأسلم، وقال إنها جمعت كل مافي التوراة والإنجيل (وأقسموا) أى حلفوا، والضمير للمنافقين (جهد أيمانهم) أى بالغوا في الإيمان وكدها (ليخرجن) بمعنى إلى الغزو (فل لا تقسموا) نهى عن الإيمان الكاذبة لأنه قد عرف أنهم يحلفون على الباطل (طاعة معروفة) مبتدأ وخبره محذوف أى طاعة معروفة أمثل وأولى بكم، أو خبر مبتدأ محذوف أى المطلوب منكم طاعة معروفة لا يشك فيها (عليه ما حمل) يعنى تبليغ الرسالة (وعليكم ما حملتم) يعنى السمع والطاعة واتباع الشريعة (ليستخلفنهم في الأرض) وعد ظهر صدقه بفتح مشارق الأرض ومغاربها لهذه الأمة، وقيل إن المراد بالآية: خلافة أبى بكر وعثمان وعلى رضى الله عنهم لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الخلافة بعدى ثلاثون سنة، وانتهت الثلاثون إلى آخر خلافة على، فإن قيل، أين القسم الذى جاء قوله ليستخلفنهم، جوابا له؟ فالجواب أنه محذوف تقديره: وعدهم الله وأقسم، أو جعل الوعد بمنزلة القسم لتحققه (ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) قيل المراد بالذين ملكت أيمانكم: الرجال خاصة، وقيل النساء خاصة، لأن الرجال يستأذنون فى كل وقت وقيل الرجال والنساء (والذين لم يبلغوا الحلم) يعنى الأطفال غير البالغين (ثلاث مرات) نصب على الظرفية لأنهم أمروا بالاستئذان فى ثلاثة مواطن، فعنى الآية أن الله أمر المالك والأطفال بالاستئذان فى ثلاثة أوقات، وهى قبل الصبح وحين القائلة وسط النهار، وبعد صلاة العشاء الأخيرة، لأن هذه الأوقات يكون الناس فيها متجردين للنوم فى غالب أمرهم، وهذه الآية محكمة؛ وقال ابن عباس: ترك الناس العمل بها، وحملها بعضهم على الندب (تضعون ثيابكم) يعنى تتجردون (الظهيرة) وسط النهار (ثلاث عورات) جمع عورة من الانكشاف كقوله بيوتنا عورة، ومن رفع ثلاث فهو خبر ابتداء مضمرة تقديره هذه الأوقات ثلاث عورات لكم: أى تنكشفون فيها، ومن نصبه فهو بدل من ثلاث مرات (ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن) هذا الضمير المؤنث يعود على الأوقات المتقدمة أى ليس عليكم

بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا  
 كَمَا أَسْتَأْذِنُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي  
 لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَغْفْنَ خَيْرٌ لهنَّ وَاللَّهُ  
 سَمِيعٌ عَلِيمٌ . لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ  
 تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ

ولا على المماليك والأطفال جناح في ترك الاستئذان في غير المواطن الثلاثة (طوافون عليكم) تفديره المماليك  
 والأطفال طوافون عليكم ، ولذلك يؤمر بالاستئذان في كل وقت (بعضكم على بعض) بدل من طوافون : أى  
 بعضكم يطوف على بعض وقال الزمخشري هو مبتدأ أى بعضكم يطوف على بعض أو فاعل بفعل مضمر ( وإذا بلغ  
 الأطفال منكم الحلم فليستأذِنوا) لما أمر الأطفال في الآية المتقدمة بالاستئذان في ثلاثة أوقات ، وأباح لهم الدخول  
 بغير إذن في غيرها : أمرهم هنا بالاستئذان في جميع الأوقات إذا بلغوا ولحقوا بالرجال (والقواعد من النساء) جمع قاعد  
 وهى العجوز ، فقبل هى التى قعدت عن الولد ، وقيل التى قعدت عن التصرف ، وقيل التى إذا رأيتها استقدرتها (فليس  
 عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) أباح الله لهذا الصنف من العجائز ما لم يبيع لغيرهن من وضع الثياب ، قال ابن مسعود  
 إنما أبيع هن وضع الجلباب الذى فوق الخمار والرداء ، وقال بعضهم : إنما ذلك فى منزلها الذى يراها فيه  
 ذوو محارمها (غير متبرجات بزينة) إنما أباح الله هن وضع الثياب بشرط ألا يقصدن إظهار زينة ، والتبرج هو  
 الظهور (وأن يستغفن خير لهن) المعنى أن الاستغفاف عن وضع الثياب المذكورة خير لهن من وضعها والأولى  
 لهن أن ياترن ما ياترن شباب النساء من الستر (ليس على الأعمى حرج) الآية اختلف فى المعنى الذى رفع الله  
 فيه الحرج عن الأعمى والأعرج والمرضى فى هذه الآية ، فقيل هو فى الغزو أى لا حرج عليهم فى تأخيرهم  
 عنه ، وقوله ولا على أنفسكم مقطوع من الذى قبله على هذا القول كأنه قال : ليس على هؤلاء الثلاثة حرج  
 فى ترك الغزو ، ولا عليكم حرج فى الأكل ، وقيل الآية كلها فى معنى الأكل ، واختلف الذهابون إلى ذلك ،  
 فقيل إن أهل هذه الأعدار كانوا يتجنبون الأكل مع الناس لثلاثتهم الناس ، فنزلت الآية مبيحة لهم الأكل  
 مع الناس ، وقيل إن الناس كانوا إذا نهضوا إلى الغزو خلفوا أهل هذه الأعدار فى بيوتهم ، وكانوا يتجنبون  
 أكل مال الغائب ، فنزلت الآية فى ذلك ، وقيل إن الناس كانوا يتجنبون الأكل معهم تقذرا ، فنزلت  
 الآية ، وهذا ضعيف . لأن رفع الحرج عن أهل الأعدار لا عن غيرهم ، وقيل إن رفع الحرج عن هؤلاء  
 الثلاثة فى كل ما تمنعهم عنه أعدارهم من الجهاد وغيره (ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم) أباح الله  
 تعالى للإنسان الأكل فى هذه البيوت المذكورة فى الآية ، فبدأ ببيت الرجل نفسه ، ثم ذكر القرابة على  
 ترتيبهم ولم يذكر فيهم الابن ، لأنه دخل فى قوله من بيوتكم ، لأن بيت ابن الرجل بيته ، لقوله عليه  
 الصلاة والسلام : أنت ومالك لأبيك ، واختلف العلماء فيما ذكر فى هذه الآية من الأكل من بيوت القرابة  
 فذهب قوم إلى أنه منسوخ ، وأنه لا يجوز الأكل من بيت أحد إلا بإذنه والناسخ قوله تعالى : ولا تأكلوا  
 أموالكم بينكم بالباطل ، وقوله عليه الصلاة والسلام : لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه ،

أَعْمَلَكُمْ أَوْ بِيوتِ عَمَلَتِكُمْ أَوْ بِيوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بِيوتِ خَلَائِكُمْ أَوْ مَمْلَكَتِكُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ  
 أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَاسْلُمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يَبِينُ  
 اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ  
 لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ  
 شَأْنِهِمْ فَأَذْنِ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ  
 بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ

وقيل الآية محكمة ، ومعناها إباحة الأكل من بيوت القرابة إذا أذنوا في ذلك ، وقيل بإذن وبغير إذن  
 (أو ماملكتكم مفاتيحه) يعني الوكلاء والأجراء والعبيد الذين يمسكون مفاتيح مخازن أموال ساداتهم ، فأباح  
 لهم الأكل منها ، وقيل المراد ممالك الإنسان من مفاتيح نفسه وهذا ضعيف (أو صديقكم) الصديق يقع على  
 الواحد والجماعة ، كالعدو ، والمراد به هنا جمع ليناسب ما ذكر قبله من الجموع في قوله آباءكم وأمهاتكم  
 وغير ذلك ، وقرن الله الصديق بالقرابة ، لقرب مودته ، وقال ابن عباس: الصديق أوكد من القرابة (ليس  
 عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا) إباحة للأكل في حال الاجتماع والانفراد ، لأن بعض العرب كان  
 لا يأكل وحده أبدا خيفة من البخل ، فأباح لهم الله ذلك (فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم) أى إذا  
 دخلتم بيوتا مسكونة ، فسلموا على من فيها من الناس ، وإنما قال على أنفسكم بمعنى صنفكم كقوله ولا تلهوا  
 أنفسكم ، وقيل المعنى إذا دخلتم بيوتا خالية فسلموا على أنفسكم بأن يقول الرجل السلام علينا وعلى عباد  
 الله الصالحين ، وقيل يعنى بالبيوت المساجد ، والأمر بالسلام على من فيها ، فإن لم يكن فيها أحد فيسلم على  
 النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى الملائكة وعلى عباد الله الصالحين (وإذا كانوا معه على أمر جامع) الآية :  
 الأمر الجامع هو ما يجمع الناس للشورى فيه ، أو للتعاون عليه . ونزلت هذه الآية في وقت حفر الخندق  
 بالمدينة ، فإن بعض المؤمنين كانوا يستأذنون في الانصراف لضرورة ، وكان المنافقون يذهبون بغير استئذان  
 (لبعض شأنهم) أى لبعض حوائجهم (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) في معناها ثلاثة أقوال  
 الأول أن الدعاء هنا يراد به دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لإياهم ليجتمعوا إليه في أمر جامع أو في قتال  
 وشبه ذلك ، فالمعنى أن إجابتهم له إذا دعاهم وإجابة عليهم بخلاف إذا دعا بعضهم بعضا ، فهو كقوله تعالى :  
 استجبوا لله وللرسول إذا دعاهم ، ويقوى هذا القول مناسبتة لما قبله من الاستئذان والأمر الجامع ،  
 والقول الثانى أن المعنى لا تدعوا الرسول عليه السلام باسمه كما يدعو بعضهم بعضا باسمه بل قولوا يا رسول الله  
 أو يانبي الله تعظما ودعاه بأشرف أسمائه ، وقيل المعنى لا تحسبوا دعاء الرسول عليكم كدعاء بعضهم على  
 بعض : أى دعاؤه عليكم يجاب فاحذروه ، ولفظ الآية بعيد من هذا المعنى على أن المعنى صحيح (قد يعلم  
 الله الذين يتسللون منكم لوإذا) الذين ينصرفون عن حفر الخندق ، والراذالروغان والمخالفة ، وقيل الانصراف  
 في خفية (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) الضمير لله وللرسول صلى الله عليه وسلم ، واختلف في عن هنا ،

يُصِيبُهُمْ عَذَابُ الْيَمِّ • أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَافِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ •

## سورة الفرقان

مكية إلا الآيات ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ فمدنية وآياتها ٧٧ نزلت بعد يس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا • الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا • وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا • وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ أُفْكِرْتَهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا • وَقَالُوا أَأَسْطِيرُ الْأُولِينَ أُكْتَبَتْهَا فِيهِ تَمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا • قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي

فقيل إنها زائدة وهذا ضعيف ، وقال ابن عطية : معناه يقع خلافهم بعد أمره كما تقول : كان المطر عن ريح ، قال الزمخشري يقال خالفه إلى الأمر إذا ذهب إليه دونه وخالفه عن الأمر إذا صد الناس عنه ، فغنى يخالفون عن أمره يصدون الناس عنه ، فحذف المفعول لأن الغرض ذكر المخالف (فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) الفتنة في الدنيا بالرزايا أو بالفضيحة أو القتل أو العذاب في الآخرة (قد يعلم ما أنتم عليه) دخلت قد لنا أكيد ، وفي الكلام معنى الوعيد ، وقيل معناها التقليل على وجه التهكم والخطاب لجميع الخلق ، أو المنافقين خاصة (ويوم يرجعون إليه) يعنى المنافقين ، والعامل في الطرف بينهم .

## سورة الفرقان

(تبارك) من البركة وهو فعل مختص بالله تعالى لم ينطق له بالمضارع (على عبده) يعنى محمداً صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وذلك على وجه التشریف له والاختصاص (ليكون للعالمين نذيراً) الضمير لمحمد صلى الله عليه وسلم أو للقرآن ، والأول أظهر وقوله «للعالمين» عموم يشمل الجن والإنس ممن كان في عصره ، ومن يأتي بعده إلى يوم القيامة ، وتضمن صدر هذه السورة إثبات النبوة والتوحيد ، والرد على من خالف في ذلك (فقدره تقديراً) الخلق عبارة عن الإيجاد بعد العدم ، والتقدير عبارة عن إتيان الصنعة ، وتخصيص كل مخلوق بمقداره ، وصفته ، وزمانه ومكانه ، ومصالحته ، وأجله ، وغير ذلك (واتخذوا) الضمير لقریش وغيرهم ممن أشرك بالله تعالى (وأعانه عليه قوم آخرون) يعنون قوماً من اليهود منهم عداس ويسار وأبوفسكية الرومي (فقد جاؤا ظلمًا وزورًا) أى ظلّموا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما نسبوا إليه وكذبوا في ذلك عليه (وقالوا أساطير الأولين) أى ماسطره الأولون في كتبهم ، وكان الذى يقول هذه المقالة النضر بن الحارث (اكتتبها) أى كتبها له كاتب ، ثم صارت تملى عليه ليحفظها ، وهذا حكاية كلام الكفار ، وقال الحسن إنها من قول الله على وجه الرد عليهم ، ولو كان ذلك لقال أكتتبها بفتح الهمزة لمعنى الإنكار ،

يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا \* وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا \* أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا \* أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا \* تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِمَّنْ ذَلِكَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا \* بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا \* إِذَا رَأَتْهُم مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا \* وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضِيقًا مُّقْرِنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا \* لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا \* قُلِ أَدْلَاك خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا \* لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ

وقد يجوز حذف الهمزة في مثل هذا وينبغي على قول الحسن أن يوقف على أساطير الأولين (قل أنزله الذي يعلم السر) رد على الكفار في قولهم ويعنى بالسر: ما أسره الكفار من أقوالهم، أو يكون ذلك على وجه التنصل والبرائة مما نسبته الكفار إليه من الافتراء أى أن الله يعلم سرى فهو العالم بأبى ما اقتربت عليه، بل هو أنزله على، فإن قيل ما مناسبة قوله «إنه كان غفوراً رحيماً»، لما قبله؟ فالجواب أنه لما ذكر أقوال الكفار: أعقبها بذلك، لبيان أنه غفور رحيم في كونه لم يجعل عليهم بالعقوبة بل أمهلهم، وإن أسلموا تاب عليهم وغفر لهم (وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام) الآية: قال هذا الكلام قريش طعنا على النبي صلى الله عليه وسلم وقد رد الله عليهم بقوله وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، وقولهم «هذا الرسول، على وجه التهكم كقول فرعون إن رسولكم الذى أرسل إليكم، أو يعنون الرسول بزعمه، ثم ذكر ما اقترحوا من الأمور في قولهم: لولا أنزل إليه ملك وما بعده، ثم وصفهم بالظلم، وقد ذكرنا معنى مسحوراً في سبحان (ضربوا لك الأمثال) أى قالوا فيك تلك الأقوال (فلا يستطيعون سبيلاً) أى لا يقدرُونَ على الوصول إلى الحق لبعدهم عنه وإفراط جهلهم (خيراً من ذلك) الإشارة إلى ما ذكره الكفار من الكنز والجنة في الدنيا (جنان تجرى من تحتها الأنهار) يعنى جنات الآخرة وقصورها وقيل يعنى جنات، وقصوراً في الدنيا، ولذلك قال إن شاء (إذارأتهم) أى إذا رأتهم جهنم وهذه الرؤية يحتمل أن تكون حقيقة أو مجازاً بمعنى صارت منهم بقدر ما يرى على البعد (سمعوا لها تغيظاً وزفيراً) التغيظ لا يسمع وإنما المسموع، وإنما المسموع أصوات دالة عليه فى لفظه تجوز، والزفير أول صوت الحمار (مكاناً ضيقاً) تضيق عليهم زيادة فى عذابهم (مقرنين) أى مربوط بعضهم إلى بعض، وروى أن ذلك بسلاسل من النار (دعوا هنالك ثبوراً) الثبور الويل وقيل الهلاك، ومعنى دعائهم ثبوراً: أنهم يقولون يا ثبوره كقول القائل واحسرتاه وأسفاه (لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً) تقديره يقال لهم ذلك أو يكون حالهم يقتضى ذلك وإن لم يكن ثم قول وإنما دعوا ثبوراً كثيراً لأن عذابهم دائم، فالثبور يتجدد عليهم فى كل حين (قل أدلك خير أم جنة الخلد) إنما جاز هنا التفضيل بين الجنة والنار، لأن الكلام توقيف وتوبيخ، وإنما

عَلَىٰ رَبِّكَ وَعَدًّا مَسْئُولًا ۚ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ۚ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ۚ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمُ مِنْكُمْ نُذُقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ۚ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۚ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا

يمنع التفضيل بين شيئين ليس بينهما اشتراك في المعنى إذا كان الكلام خبراً (وعداً مسئولاً) أى سأله المؤمنين أو الملائكة فى قولهم وأدخلهم جنات عدن ، وقيل معناه وعداً : واجب الوقوع لأنه حتمه (فيقول أأنتم أضللتهم عبادى هؤلاء) القائم لذلك هو الله عز وجل ، والمخاطب هم المعبودون مع الله على العموم ، وقيل الأصنام خاصة ، والأول أرجح لقوله « ثم نقول للملائكة هؤلاء إياكم كانوا يعبدون ، وقوله « أنت قلت للناس اتخذوني وأمى إلهين من دون الله ، (أم هم ضلوا السبيل) أم هنا معادلة لما قبلها ، والمعنى أن الله يقول يوم القيامة للمعبودين أأنتم أضللتهم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا من تلقاء أنفسهم باختيارهم ولم تضلوهم أنتم ، ولأجل ذلك بين هذا المعنى بقوله « هم ، ليتحقق إسناد الضلال إليهم ، فإنما سألهم الله هذا السؤال مع علمه بالأمور ليوبخ الكفار الذين عبدوهم (قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) القائلون لهذا هم المعبودون : قالوه على وجه التبرى من عبدتهم كقولهم أنت ولينا من دونهم ، والمراد بذلك توبيخ الكفار يومئذ ، وإقامة الحجة عليهم (ولكن متعتهم وآباءهم) معناه أن إمتاعهم بالنعم فى الدنيا كان سبب نسيانهم لذكر الله وعبادته (قوما بوراً) أى هالكين ، وهو من البوار وهو الهلاك ، واختلف هل هو جمع بائر أو مصدر وصف به ولذلك يقع على الواحد والجماعة (فقد كذبوكم بما تقولون) هذا خطاب مخاطب الله به المشركين يوم القيامة أى قد كذبكم آلهتكم التى عبدتم من دون الله ، وتبرؤا منكم وقيل هو خطاب للمعبودين : أى كذبوكم فى هذه المقالة لما عبدوكم فى الدنيا ، وقيل هو خطاب للمسلمين : أى قد كذبكم الكفار فيما تقولونه من التوحيد والشريعة ، وقرئى بما يقولون بالياء من أسفل ، والباء فى قوله بما تقولون على القراءة بالتاء بدل من الضمير فى كذبوكم ، وعلى القراءة بالياء كقولك كتبت بالقلم ، أو كذبوكم بقولهم (فما يستطيعون صرفاً ولا نصراً) قرئى فمات يستطيعون بالتاء فوق ، ويحتمل على هذا أن يكون الخطاب للمشركين أو للمعبودين ؛ والصرف على هذين الوجهين صرف العذاب عنهم ، أو يكون الخطاب للمسلمين والصرف على هذا رد التأكيد ، وقرئى بالياء وهو مسند إلى المعبودين أو إلى المشركين والصرف صرف العذاب (ومن يظلم منكم) خطاب للكفار وقيل للمؤمنين وقيل على العموم (وما أرسلنا قبلك من المرسلين) تقديره وما أرسلنا رسلاً أو رجلاً قبلك ، وعلى هذا المفعول المحذوف يعود الضمير فى قوله إلا إنهم لياكلون الطعام ، وهذه الآية رد على الكفار فى استبعادهم بعث رسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق (وجعلنا بعضهم لبعض فتنة) هذا خطاب لجميع الناس لاختلاف أحوالهم ، فالغنى فتنة للفقير ،

أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا \* يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ  
لَابَشْرِي \* يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا \* وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمَلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا \*  
أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا \* وَيَوْمَ تَشْتَقِقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمِ وَنَزَلَ الْمَلَائِكَةُ نَزِيلًا \*  
الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَىٰ الْكَافِرِينَ عَسِيرًا \* وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتِي  
أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا \* يُؤَيَّتِي لِيَتِّي لَمْ أَخَذْ فَلَانًا خَلِيلًا \* لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي  
وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا \* وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا \* وَكَذَلِكَ

والصحيح فتنة للمريض، والرسول فتنة لغيره ممن يحسده ويكفر به (أتصبرون) تقديره لننظر هل تصبرون  
(لا يرجون لقاءنا) قيل معناه لا يخافون، والصحيح أنه على بابه لأن لقاء الله يرجى ويخاف (لولا أنزل علينا  
الملائكة أو نرى ربنا) اقترح الكفار نزول الملائكة أو رؤية الله، وحينئذ يؤمنون فرد الله عليهم بقوله لقد  
استكبروا الآية: أي طلبوا ما لا ينبغي لهم أن يطلبوه، وقوله في أنفسهم كما تقول فلان عظيم في نفسه أي  
عند نفسه أو بمعنى أنهم أضمروا الكفر في أنفسهم (يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين) لما  
طلبوا رؤية الملائكة أخبر الله أنهم لا بشرى لهم يوم يرونهم، فالعامل في يوم معنى لا بشرى، ويومئذ بدل  
(ويقولون حجرا محجورا) الضمير في يقولون إن كان للملائكة، فالعنى أنهم يقولون للمجرمين حجرا  
محجورا أي حرام عليكم الجنة أو البشري، وإن كان الضمير للمجرمين، فالعنى أنهم يقولون حجرا بمعنى عوداً  
لأن العرب كانت تتعوذ بهذه الكلمة مما تكره، واتصابه بفعل متروك إظهاره نحو معاذ الله (وقدمنا إلى  
ما عملوا) أي قصدنا إلى أفعالهم فلفظ التقديم مجاز، وقيل هو قدوم الملائكة أسنده الله إلى نفسه لأنه عن  
أمره (فجعلناه هباء منثورا) عبارة عن عدم قبول ما عملوا من الحسنات كإطعام المساكين وصلة الأرحام  
وغير ذلك، وأنها لا تنفعهم لأن الإيمان شرط في قبول الأعمال، والهباء هي الأجرام الدقيقة من الغبار  
التي لا تظهر إلا حين تدخل الشمس على موضع ضيق كالأكوة، والمثبور المنفترق (خير مستقرا) جاء هنا  
التفضيل بين الجنة والنار، لأن هذا مستقر وهذا مستقر (وأحسن مقيلا) هو مفعول من النوم في القائلة  
وإن كانت الجنة لا نوم فيها، ولكن جاء على ما تعارفه العرب من الاستراحة وقت القائلة في الأمكنة  
الباردة، وقيل إن حساب الخلق يكمل في وقت ارتفاع النهار، فيقبل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار  
(ويوم تشقق السماء بالغمام) هو يوم القيامة وانشقاق السماء: انفطارها، ومعنى بالغمام أي يخرج منها الغمام،  
وهو السحاب الرقيق الأبيض وحينئذ تنزل الملائكة إلى الأرض (ويوم يعض الظالم على يديه) عض اليدين  
كناية عن الندم والحسرة، والظالم هنا عقبه بن أبي معيط، وقيل كل ظالم والظلم هنا الكفر (مع الرسول)  
هو محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، أو اسم جنس على العموم (ليتي لم أتخذ فلانا خليلا) روى أن  
عقبه جنح إلى الإسلام فمهاه أبي بن خلف وأمية بن خلف فهو فلان، وقيل إن عقبه نهي أبي بن خلف  
عن الإسلام، فالظالم على هذا أبي وفلان عقبه، وإن كان الظالم على العموم أي خليل كل

جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْجَرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا \* وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ۚ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۗ الَّذِينَ يُحْشِرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سُوءَ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۗ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ۗ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا \* وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ سُلَّةً لِّلنَّاسِ ۖ آيَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۗ وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ۗ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ۗ وَلَقَدْ آتَوْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي

كافر (وكان الشيطان للإنسان خذولا) يحتمل أن يكون هذا من قول الظالم أو ابتداء إخبار من قول الله تعالى ، ويحتمل أن يريد بالشيطان إبليس أو الخليل المذكور (وقال الرسول) قيل إن هذا حكاية قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في الدنيا، وقيل في الآخرة (مهجورا) من الهجر بمعنى البعد والترك وقيل من الهجر بضم الهاء أى قالوا فيه الهجر حين قالوا إنه شعر وسحر والأول أظهر (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا) العدو هنا جمع ، والمراد تسليية النبي صلى الله عليه وسلم بالتأسي بغيره من الأنبياء (وكفى ربك هاديا ونصيرا) وعد لمحمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالهدى والنصرة (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) هنا من اعتراضات قريش لأنهم قالوا لو كان القرآن من عند الله لنزل جملة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل (كذلك لنثبت به فؤادك) هذا جواب لهم تقديره أنزلناه كذلك مفرقا لنثبت به فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم لحفظه : ولونزل جملة واحدة لتعذر عليه حفظه لأنه أعمى لا يقرأ ، فحفظ المفرق عليه أسهل ، وأيضا فإنه نزل بأسباب مختلفة تقتضى أن ينزل كل جزء منه عند حدوث سببه ، وأيضا منه ناسخ ومنسوخ ولا يتأتى ذلك فيما ينزل جملة واحدة (ورتلناه ترتيلا) أى فرقناه تفريقا فإنه نزل بطول عشرين سنة وهذا الفعل معطوف على الفعل المقدر الذى يتعلق به كذلك وبه يتعلق لنثبت (ولا يأتونك بمثل) الآية معناها لا يوردون عليك سؤالا أو اعتراضا إلا آتيناك فى جوابه بالحق ، والتفسير الحسن الذى يذهب اعتراضهم ويبطل شبهتهم (الذين يحشرون على وجوههم) يعنى الكفار ، وحشرهم على وجوههم حقيقة لأنه جاء فى الحديث قيل يا رسول الله : كيف يحشر الكافر على وجهه : قال أليس الذى أمشاه فى الدنيا على رجله قادرا على أن يمشيه فى الآخرة على وجهه (شر مكانا) يحتمل أن يريد بالمكان المنزلة والشرف أو الدار والمسكن فى الآخرة (وزيرا) معنا (إلى القوم) يعنى فرعون وقومه ، وفى الكلام حذف تقديره : فذهب إليهم فكذبوهما فدمرناهم (كذبوا الرسل) تأويله كما ذكر فى قوله فى هود فعصوا رسله (وأعدنا للظالمين) يحتمل أن يريد بالظالمين من تقدم ووضع هذا الاسم الظاهر موضع المضمرة لقصد وصفهم بالظلم، أو يريد الظالمين على العموم (وأصحاب الرس) معنى الرس فى اللغة البئر ، واختلف فى أصحاب الرس : فقيل هم من بقية ثمود وقيل من أهل اليمامة ، وقيل من أهل أنطاكية ، وهم أصحاب يس ، واختلف فى قصتهم فقيل بعث الله إليهم نبيا فرموه فى بئر فأهلكهم الله ، وقيل كانوا حول بئرهم فانهارت بهم فهاكوا (وقرونا بين ذلك كثيرا) يقتضى التكثير

أَمْطَرَتْ مَطَرَ السَّوَاءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرُونَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا \* وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا  
 أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا \* إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ الْهَتَّا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرُونَ  
 الْعَذَابَ مَن أَضَلَّ سَبِيلًا \* أَرَأَيْتَ مَن أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا \* أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ  
 يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِن هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا \* أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ  
 سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا \* ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا \* وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا  
 وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا \* وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً  
 طَهُورًا \* لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا \* وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى

والإيهام ، والإشارة بذلك إلى المذكور قبل من الأهم (ضربنا له الأمثال) أي بيناه (تبرنا) أي أهلكتنا (ولقد  
 أتوا على القرية) الضمير في أتوا للقرية وغيرهم من الكفار ، والقرية قرية قوم لوط ، ومطر السوء الحجارة  
 ثم وقفهم على رؤيتهم لها لأنها في طريقهم إلى الشام ، ثم أخبر أن سبب عدم اعتبارهم بها كفرهم بالنشور  
 ويرجون كقوله يرجون لقاءنا ، وقد ذكر (أهذا الذي) حكاية قولهم على وجه الاستهزاء ، فالجملة في موضع  
 مفعول لقول محذوف يدل عليه هذا ، وقوله « إن كاد ليضلنا » استئناف جملة أخرى وتم كلامهم ، واستأنف  
 كلام الله تعالى في قوله « وسوف يعلمون » الآية على وجه التهديد لهم (اتخذ إلهه هواه) أي أطاع هواه حتى صار كأنه  
 له إله (بل هم أضل) لأن الأنعام ليس لها عقول وهؤلاء لهم عقول ضيعوها ، ولأن الأنعام تطلب ما ينفعها وتجنب  
 ما يضرها ، وهؤلاء يتركون أنفع الأشياء وهو الثواب ، ولا يخافون أضر الأشياء وهو العقاب (لم تر إلى ربك) أي  
 إلى صنع ربك وقدرته (مد الظل) قيل مده من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لأن الظل حيثئذ على الأرض كلها ،  
 واعترضه ابن عطية لأن ذلك الوقت من الليل ، ولا يقال ظل بالليل ، واختار أن مد الظل من الإسفار إلى طلوع  
 الشمس وبعدها يسير ، وقيل معنى مد الظل : أي جعله يمتد وينبسط (ولو شاء لجعله ساكنا) أي ثابتا غير زائل  
 لكنه جعله يزول بالشمس ، وقيل معنى ساكن غير منبسط على الأرض ، بل يلتصق بأصل الحائط والشجرة ونحوها  
 (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) قيل معناه أن الناس يستدلون بالشمس وأحوالها في سيرها على الظل متى يتسع ومتى  
 ينقبض ومتى يزول عن مكان إلى آخر فينبون على ذلك ارتفاعهم به وجلسهم فيه ، وقيل معناه لولا الشمس لم  
 يعرف أن الظل شيء لأن الأشياء لم تعرف إلا بأضدادها (ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا) قبضه نسخه وإزالته بالشمس ؛  
 ومعنى يسيرا شيئا بعد شيء لادفعة واحدة ، فإن قيل : ما معنى ثم في هذه المواضع الثلاثة ؟ فالجواب أنه يحتمل  
 أن تكون للترتيب في الزمان أي جعل الله هذه الأحوال حالا بعد حال ، أو تكون لبيان التفاضل بين هذه  
 الأحوال الثلاثة وأن الثاني أعظم من الأول ، والثالث أعظم من الثاني (الليل لباسا) شبه ظلام الليل باللباس ،  
 لأنه يستر كل شيء كاللباس (والنوم سباتا) قيل راحة وقيل موتا لقوله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتي لم تمت  
 في منامها ويدل عليه مقابلته بالنشور (الرياح بشرا) ذكر في الأعراف (ماء طهورا) مبالغة في طاهر وقيل معناه  
 مطهر للناس في الوضوء وغيره . وبهذا المعنى يقول الفقهاء : ماء طهورا ، أي مطهر ، وكل مطهر طاهر ، وليس كل

أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا \* وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا \* فَلَا تُطْعَمُ السُّكَّرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا وَهُوَ الَّذِي مَرَجَّ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أجاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا \* وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا \* وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا \* وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا \* قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا \* وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا \* الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ

طاهر مطهر (أناسي) قيل جمع إنسي ، وقيل جمع إنسان ، والأول أصح (واقدر صرفناه) الضمير للقرآن ، وقيل للبطر وهو بعيد (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا) أي لو شئنا لخففنا عنك أنقال الرسالة يبعث جماعة من الرسل ولكننا خصصناك بها كرامة لك فاصبر (وجاهدهم به) الضمير للقرآن أو لمادل عليه الكلام المتقدم (مرج البحرين) اضطرب الناس في هذه الآية لأنه لا يعلم في الدنيا بحر ملح وبحر عذب وإنما البحار المعروفة ماؤها ملح ، قال ابن عباس أراد بالبحر الملح الأجاج بحر الأرض ، والبحر العذب الفرات بحر السحاب ، وقيل البحر الملح البحر المعروف ، والبحر العذب مياه الأرض من الأنهار والعيون ، ومعنى العذب البالغ العذوبة حتى يضرب إلى الخلاوة ، والأجاج نقيضه ، واختلف في معنى مرجهما ، فقيل جعلهما متجاورين متلاصقين ، وقيل أسال أحدهما في الآخر (وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا) أي فاصلا يفصل بينهما وهو ما بينهما من الأرض بحيث لا يختلطان ، وقيل البرزخ يعلمه الله ولا يراه البشر (خاق من الماء بشرا) إن أراد بالبشر آدم فالمراد بالماء الذي خلق به مع التراب فصار طينا ، وإن أراد بالبشر بنى آدم ، فالمراد بالماء المني الذي يخلفون منه (فجعله نسبا وصهرا) النسب والصهر يعان كل قربي : أي كل قرابة ، والنسب أن يجتمع إنسان مع آخر في أب أو أم قرب ذلك أو بعد ، والصهر هو الاختلاط بالنكاح ، وقيل أراد بالنسب الذكور أي ذوى نسب ينتسب إليهم ، وأراد بالصهر الإناث : أي ذوات صهر يصاهر بهن ، وهو كقوله «فجعل منه الزوجين الذكر والاثني» (وكان الكافر على ربه ظهيرا) الكافر هنا الجنس ، وقيل المراد أبو جهل ، والظهير المعين أي يعين الشيطان على ربه بالعداوة والشرك ، ولفظه يقع للواحد والجماعة كقوله «والملائكة بعد ذلك ظهير» (قل ما أسألكم عليه من أجر) أي لا أسألكم على الإيمان أجرة ولا منفعة (إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا) معناها إنما أسألكم أن تتخذوا إلى ربكم سبيلا بالتقرب إليه وعبادته ، فلا استثناء منقطع ، وقيل المعنى أن تتخذوا إلى ربكم سبيلا بالصدقة ، فلا استثناء على هذا متصل ، والأول أظهر ، وفي الكلام محذوف تقديره إلا سؤال من شاء وشبه ذلك (وتوكل على الحي الذي لا يموت) قرأ هذه الآية بعض السلف فقال لا ينبغي لذي عقل أن يثق بعدها بمخلوق فإنه يموت (وسبح بحمده) أي قل سبحان الله وبحمده ، والتسبيح التنزيه عن كل ما لا يليق به ، ومعنى بحمده أي بحمده أقول ذلك ، ويحتمل أن يكون المعنى سبحانه متلبسا بحمده ، فهو أمر بأن يجمع بين التسبيح والحمد (وكني به بذنوب

الرَّحْمَنُ فَسَبَّلْ بِهِ خَيْرًا ۖ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۗ  
تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ۗ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً  
لِّمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۗ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ  
قَالُوا سَلَامًا ۗ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ۗ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا  
كَانَ غَرَامًا ۗ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۗ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ۗ

عباده خيرا) يحتمل أن يكون المراد بهذا بيان حلمه وعفوه عن عباده مع علمه بذنوبهم أو بكون المراد تهديد  
العباد لعلم الله بذنوبهم (استوى على العرش) ذكر في الأعراف (الرحمن) خير ابتداء مضمرا، أو بدل من  
الضمير في استوى (فاسأل به خيرا) فيه معنيان: أحدهما وهو الأظهر: أن المراد اسأل عنه من هو خير  
عارف به، وانتصب خيرا على المفعولية، وهذا الخبير المسئول هو جبريل عليه السلام والعلماء وأهل الكتاب  
والباء في قوله به: يحتمل أن تتعلق بخيرا، أو تتعلق بالسؤال، ويكون معناها على هذا معنى عن، والمعنى الثاني،  
أن المراد اسأل بسؤاله خيرا أى إن سأله تعالى تجده خيرا بكل شيء، فانتصب خيرا على الحال، وهو  
كقولك لورأيت فلانا رأيت به أسدا: أى رأيت برويته أسدا (قالوا وما الرحمن) لما ذكر الرحمن في القرآن  
أنكرته قريش، وقالوا لا نعرف الرحمن، وكان مسيلة الكذاب قد تسمى بالرحمن، فقالوا على وجه المغالطة  
إنما الرحمن الرجل الذى باليامة (أنسجد لما تأمرنا) تقديره لما تأمرنا أن نسجد له (وزادهم نفورا) الضمير  
المفعول في زادهم يعود على المقول وهو اسجدوا للرحمن (بروجا) يعنى المنازل الاثني عشر، وقيل الكواكب  
العظام (سراجا) يعنى الشمس، وقرئ بضم السين والراء على الجمع: يعنى جميع الأنوار ثم خص القمر بالذكر  
تشريفا (جعل الليل والنهار خلفه) أى يخلف هذا هذا، وقيل هو من الاختلاف، لأن هذا أبيض وهذا  
أسود، والخلفة اسم الهيئة: كالركبة والجلاسة، والأصل جعلهما ذوى خلفه (لمن أراد أن يذكر) قيل معناه  
يعتبر في المصنوعات، وقيل معناه يتذكر لما فاته من الصلوات وغيرها في الليل فيستدركه في النهار أو فاته  
بالنهار فيستدركه بالليل، وهو قول عمر بن الخطاب وابن عباس رضى الله عنهما (وعباد الرحمن) أى عباده  
الراضيون عنده، فالعبودية هنا للتشريف والكرامة، وعباد مبتدأ وخبره الذين يمشون، أو قوله في آخر  
السورة أولئك يجزون الغرفة (الذين يمشون على الأرض هونا) أى رفقاً ولينا بحلم ووقار، ويحتمل أن  
يكون ذلك وصف مشيهم على الأرض أو وصف أخلاقهم في جميع أحوالهم، وعبر بالمشى على الأرض عن  
جميع تصرفهم مدة حياتهم (قالوا سلاما) أى قالوا قولاً سديداً ليدفع الجاهل برفق، وقيل معناه قالوا للجاهل  
سلاما أى هذا اللفظ بعينه بمعنى سلمنا منكم قال بعضهم هذه الآية منسوخة بالسيف، وإنما يصح النسخ في  
حق الكفار، وأما الإغضاء عن السفهاء والحلم عنهم فستحسن غير منسوخ (إن عذابها) وما بعده يحتمل أن يكون من  
كلامهم أو من كلام الله عز وجل (كان غراما) أى هلاكاً وخسرانا، وقيل ملازماً (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا  
ولم يقتروا) الاقتار هو التضيق في النفقة والشح وضده الإسراف فهى عن الطرفين وأمر بالتوسط بينهما

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا . يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا . إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا . وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا . وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا . وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يُخْرِجُوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا . وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا . أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا . خُلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا . قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا .

وهو القوام ، وذلك في الاتفاق في المباحات وفي الطاعات ، وأما الاتفاق في المعاصي فهو إسراف ، وإن قل (ومن يفعل ذلك يلق أثاما) أي عقابا ، وقيل الأثام الإثم فعناه يلق جزاء أثم ؛ وقيل الأثم : واد في جهنم ، والإشارة بقوله ذلك إلى ما ذكر من الشرك بالله وقتل النفس بغير حق والزنا (ويخلد فيه مهانا) قيل نزلت في الكفار لأنهم المخلدون في النار بإجماع ، فكأنه قال الذين يجمعون بين الشرك والقتل والزنا ، وقيل نزلت في المؤمنين الذين يقتلون النفس ويزنون ، فأما على مذهب المعتزلة فالخلود على بابه ، وأما على مذهب أهل السنة فالخلود عبارة عن طول المدة (إلا من تاب) إن قلنا الآية في الكفار فلا إشكال فيها ، لأن الكافر إذا أسلم صحت توبته من الكفر والقتل والزنا ، وإن قلنا إنها في المؤمنين فلا خلاف أن التوبة من الزنا تصح ، واختلف هل تصح توبة المسلم من القتل أم لا (يبدل الله سيئاتهم حسنات) قيل يوقفهم الله لفعل الحسنات بدلا عما عملوا من السيئات ، وقيل إن هذا التبديل في الآخرة : أي يبدل عقاب السيئات بثواب الحسنات (يتوب إلى الله متابا) أي متابا مقبولا مرضيا عند الله كما تقول لقد قلت يا فلان قولا أي قولا حسنا (لا يشهدون الزور) أي لا يشهدون بالزور وهو الكذب فهو من الشهادة ، وقيل معناه لا يحضرون مجالس الزور واللهو فهو على هذا من المشاهدة والحضور والاول أظهر (وإذا مروا باللغو مروا كراما) اللغو هو الكلام القبيح على اختلاف أنواعه ، ومعنى مروا كراما أي عرضوا عنه واستحيوا ولم يدخلوا مع أهله تنزيها لأنفسهم عن ذلك (لم يخروا عليها صما وعميانا) أي لم يعرضوا عن آيات الله بل أقبلوا عليها بأسماعهم وقلوبهم ، فالنفي للصمم والعمى لا للخروج عليها (قرة أعين) قيل معناه اجعل أزواجنا وذريتنا مطيعين لك ، وقيل أدخلهم معنا الجنة ، واللفظ أعم من ذلك (واجعلنا للمتقين إماما) أي قدوة يقتدى بنا المتقون فإمام مفرد يراد به الجنس ، وقيل هو جمع آثم أي متبع (الغرفة) يعني غرفة الجنة فهي اسم جنس (قل ما يعبؤا بكم ربى لولا دعاؤكم) يحتمل أن تكون ما نافية أو استفهامية ، وفي معنى الدعاء هنا ثلاثة أقوال : الأول : أن المعنى إن الله لا يبالي بكم لولا عبادتكم له فالدعاء بمعنى العبادة وهذا قريب من معنى قوله تعالى « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » ، الثاني : أن الدعاء بمعنى الاستغاثة والسؤال ، والمعنى لا يبالي الله بكم ، ولكن يرحمكم إذا استغثتم به ودعوتموه ويكون على هذين القولين خطا با

## سورة الشعراء

مكية إلا آية ١٩٧ ومن آية ٢٢٤ إلى آخر السورة فمدنية وآياتها ٢٢٧ نزلت بعد الواقعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* طَسَمَ \* تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ \* لَعَلَّكَ بَخْعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ \* إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ \* وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ \* فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَاتِهِمْ أَنْبَسُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ \* أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ \* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ \* وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ \* وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ \* قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ \* قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ \* وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ \* وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ \* قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ \* فَآتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا

لجميع الناس من المؤمنين والكافرين لأن فيهم من يعبد الله ويدعوه أو خطابا للمؤمنين خاصة لأنهم هم الذين يدعون الله ويعبدونه ، ولكن يضعف هذا بقوله « فقد كذبتهم ، الثالث : أنه خطاب للكفار خاصة والمعنى على هذا : ما يعبأ بكم ربى لولا أن يدعوكم إلى دينه ، والدعاء على هذا بمعنى الأمر بالدخول في الدين ، وهو مصدر مضاف إلى المفعول ، وأما على القول الأول والثاني فهو مصدر مضاف إلى الفاعل ( فقد كذبتهم ) هذا خطاب لقريش وغيرهم من الكفار دون المؤمنين ( فسوف يكون لزاما ) أى سوف يكون العذاب لزاما ثابتا وأضر العذاب وهو اسم كان لأنه جزاء التأكيد المتقدم ، واختلف هل يراد بالعذاب هنا القتل يوم بدر ، أو عذاب الآخرة .

## سورة الشعراء

( طسم ) تكلمنا على حروف الهجاء في أول سورة البقرة ، ويخص هذا أنه قيل الطاء من ذى الطول ، والسين من السميع أو السلام ، والميم من الرحيم أو المنعم ( باخع ) ذكر في الكهف ( فظلت أعناقهم لها خاضعين ) الأعناق جمع عنق وهى الجارحة المعروفة ، وإنما جمع خاضعين جمع العقلاء لأنه أضاف الأعناق إلى العقلاء ، ولأنه وصفها بفعل لا يكون إلا من العقلاء ، وقيل الأعناق الرؤساء من الناس شبهوا بالأعناق كما يقال لهم رؤس وصدور ، وقيل هم الجماعات من الناس ، فلا يحتاج جمع خاضعين إلى تأويل ( محدث ) يعنى به محدث الإتيان ( فسياتهم ) الآية : تهديد ( من كل زوج ) أى من كل صنف من النبات فيعم ذلك الاقوات والفواكه والأدوية والمرعى ، ووصفه بالكرم لمافيه من الحسن ومن المنافع ( إن فى ذلك لآية ) الإشارة إلى ما تقدم من النبات وإنما ذكره بلفظ الأفراد لأنه أراد أن فى كل واحد آية أو إشارة إلى مصدر قوله أنبتنا ( ويضيق صدرى ) بالرفع عطف على أخاف ، أو استئناف ، وقرئ بالنصب عطفًا على يكذبون ( فأرسل إلى هارون ) أى اجعله معى رسولا أستعين به ( ولهم على ذنب ) يعنى قتله للقبطى ( قال كلا ) أى لا تخف أن يقتلوك ( إنا معكم ) خطاب لموسى

بَنِي إِسْرَائِيلَ ۖ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۖ وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۚ قَالَ فَعَلْتُمْ إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ۖ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خَفْتُمْ فَوْهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۖ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنَّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ۖ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ۖ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۖ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ۚ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۖ قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمُجْنُونٌ ۖ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ۚ قَالَ لَنْ نَأْخُذَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ۖ قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ۖ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ

وأخيه ومن كان معهما ، أو على جعل الاثنين جماعة (مستمعون) لفظه جمع ، وورد مورد تعظيم الله تعالى ، ويحتمل أن تكون الملائكة هي التي تسمع بأمر الله ، لأن الله لا يوصف بالاستماع ، وإنما يوصف بالسمع والأول أحسن ، وتأويله : أن في الاستماع اعتناء واهتمام بالامر ليست في صفة سامعون والخطاب في قوله معكم لموسى وهارون وفرعون وقومه ، وقيل لموسى وهارون خاصة على معاملة الاثنين معاملة الجماعة وذلك على قول من يرى أن أقل الجمع اثنان (إنا رسول ربك) إن قيل لم أفردته وهما اثنان ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول أن التقدير كل واحد منا رسول . الثاني أنهما جملا كمشخص واحد لا تفاهما في الشريعة ، ولأنهما أخوان فكأنهما واحد . الثالث أن رسول هنا مصدر وصف به ، فلذلك أطلق على الواحد والاثنين والجماعة ، فإنه يقال رسول بمعنى رسالة ، بخلاف قوله إنا رسولا ، فإنه بمعنى الرسل (أن أرسل معنا بني إسرائيل) أي أطلقهم (قال ألم نربك فينا وليدا) قصد فرعون بهذا الكلام المن على موسى والاحتقار له (وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين) قصد فرعون بهذا الكلام توبيخ موسى عليه السلام ويعني بالفعل : قتله للقبطي ، والواو في قوله وأنت إن كانت للحال فقوله من الكافرين معناه كافر بهذا الدين الذي جئت به لأن موسى إنما أظهر لهم الإسلام بعد الرسالة ، وقد كان قبل ذلك مؤمنا ، ولم يعلم بذلك فرعون ، وقيل معناه من الكافرين بنعمتي ، وإن كانت الواو للاستئناف : فيحتمل أن يريد من الكافرين بديني ، ومن الكافرين بنعمتي (قال فعلتها إذا وأنا من الضالين) القائل هنا هو موسى عليه السلام ، والضمير في قوله فعلتها لقتله القبطي ، واختلف في معنى قوله من الضالين ، فقيل معناه من الجاهلين بأن وكزني تقتله ، وقيل معناه من الناسين ، فهو كقوله « أن تضل إحداهما ، وقوله « إذا ، صلة في الكلام ، وكأها بمعنى حينئذ ، قال ذلك ابن عطية (ففررت منكم) أي من فرعون وقومه ، ولذلك جمع ضمير الخطاب بعد أن أفرد في قوله « تمنها علي أن عبدت ، (وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل) معنى عبدت ذلك واتخذتهم عبيدا ، فعني هذا الكلام أنك عدت نعمة علي تعبيد بني إسرائيل وليست في الحقيقة بنعمة إنما كانت نعمة لأنك كنت تذبج أبناءهم ولذلك وصلت أنا إليك فرييتني ، فالإشارة بقوله تلك إلى الترتيب وأن عبدت في موضع رفع كطف بيان على تلك أو في موضع نصب على أنه مفعول من أجله ، وقيل معنى الكلام تربيتك نعمة علي لأنك عبدت بني إسرائيل وتركتني فهمي في المعنى الأول إنكار لنعمته وفي الثاني اعتراف بها (قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين) لما أظهر فرعون الجهل

كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ فَالْقِيَٰمَةُ إِذَا هِيَ تُعْبَانُ مُبِينٌ ۝ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ۝ قَالَ لِلسَّلَامَةِ  
 حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ۝ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۝ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ  
 وَأَبْعَثْ فِي الْمَدْيَنِ حَاشِرِينَ ۝ يَا تُوَكُّ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ۝ جُمِعَ السِّحْرَةُ لِمَقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝ وَقِيلَ لِلنَّاسِ  
 هَلْ أَتَمُّ مَجْتَمِعُونَ ۝ لَعَلَّنَا نَتَّبِعِ السِّحْرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ۝ فَلَمَّا جَاءَ السِّحْرَةُ قَالُوا الْفِرْعَوْنَ أَتْنَا لِنَأْجِرَا  
 إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۝ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَتَمُّ مَلْقُونَ ۝ فَالْقَوْمُ  
 حَبَّاهُمْ وَعَصِيهِمْ وَقَالُوا بَعْزَةُ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ۝ فَالْقِيَٰمَةُ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۝  
 فَالْقِيَٰمَةُ السِّحْرَةُ سَاجِدِينَ ۝ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۝ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ  
 إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ لَا تَقْطَعْنَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ وَلَا تَلْبِسُوا كَلِمَاتِكُمْ  
 قَالُوا لِأَضِيرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ۝ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتِنَا إِنَّ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ۝  
 وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ۝ إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ۝ فَارْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدْيَنِ حَاشِرِينَ ۝ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ

بالله فقال : وما رب العالمين : أجابه موسى بقوله رب السموات والأرض ، فقال ألا تستمعون : تعجباً من جوابه  
 فزاد موسى في إقامة الحجج بقوله : ربكم ورب آبائكم الأولين لأن وجود الإنسان وآبائه أظهر الأدلة عند العقلاء وأعظم  
 البراهين فإن أنفسهم أقرب الأشياء إليهم فيستدلون بها على وجود خالقهم ، فلما ظهرت هذه الحجج حاد فرعون  
 عنها ونسب موسى إلى الجنون مغالطة منه ، وأيد الأزدراء والتهكم في قوله رسولكم الذي أرسل إليكم فزاد موسى  
 في إقامة الحجج بقوله رب المشرق والمغرب ، لأن طلوع الشمس وغروبها آية ظاهرة لا يمكن أحداً جحدها  
 ولا أن يدعيها لغير الله ، ولذلك أقام إبراهيم الخليل بها الحجج على نمرود ، فلما انتقطع فرعون بالحجة رجع  
 إلى الاستعلاء والتغلب فهتده بالسجن ، فأقام موسى عليه الحجج بالمعجزة ، وذكرها له بتلطف طمعاً في  
 إيمانه ، فقال : أولو جنتك بشيء مبين ، والواو واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام وتقديره أتفعل بي  
 ذلك ولو جنتك بشيء مبين ، وقد تقدم في الأعراف ذكر العصا واليد ، وماذا تأمرون ، وأرجه ، وحاشرين  
 فإن قيل : كيف قال أولاً إن كنتم موقنين ، ثم قال آخر إن كنتم تعقلون ؟ فالجواب أنه لا ين أولاً طمعاً  
 في إيمانهم ، فلما رأى منهم العناد والمغالطة : وبخهم بقوله إن كنتم تعقلون ، وجعل ذلك في مقابلة قول  
 فرعون إن رسولكم لمجنون ( لميقات يوم ) هو يوم الزينة ( تتبع السحرة ) أي تتبعهم في نصرته ديننا لا في  
 عمل السحر ، لأن عمل السحر كان حراماً ( بعزة فرعون ) قسم أقسموا به ، وقد تقدم في الأعراف تفسير  
 ما يافكون ، وما بعد ذلك ( لاضير ) أي لا يضرنا ذلك لأننا نتقلب إلى الله ( أسر بعبادي ) يعني بنى إسرائيل  
 ( إنكم متبعون ) إخبار باتباع فرعون ( اشردمة قليلون ) الشردمة الطائفة من الناس ، وفي هذا احتقار لهم على

لَشَرِّدُمَا قَلِيلُونَ \* وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَاظُونَ \* وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ \* فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ \* وَكُنُوزٍ  
وَمَقَامٍ كَرِيمٍ \* كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ \* فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ \* فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى  
إِنَّا لَمُدْرِكُونَ \* قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ \* فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ  
كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ \* وَازْلَفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ \* وَأَجْمِنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ \* ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ \*  
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ \* وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُو الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ \* وَأَتَلُّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ \* إِذْ  
قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ \* قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَافِيَةً \* قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ \* أَوْ  
يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ \* قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ \* قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ \* أَأَنْتُمْ  
وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ \* فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ \* الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ \* وَالَّذِي هُوَ يُطْعَمُنِي  
وَيَسْقِينِي \* وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي \* وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي \* وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ \*

أنه روى أنهم كانوا ستمائة ألف ، ولكن جنود فرعون أكثر منهم بكثير ( فأخرجناهم من جنات وعيون )  
يعنى التي بمصر ، والعيون الخليجان الخارجة من النيل ، وكانت ثم عيون في ذلك الزمان ، وقيل يعنى الذهب  
والفضة وهو بعيد ( ووقام كريم ) مجالس الأمراء والحكام ، وقيل المنابر ، وقيل المساكن الحسان ( كذلك )  
في موضع خفض صفة لمقام أو في موضع نصب على تقدير أخرجناهم مثل ذلك الإخراج ، أو في موضع رفع  
على أنه خبر ابتداء تقديره الأمر كذلك ( وأورثناها بني إسرائيل ) أى أورثهم الله مواضع فرعون بمصر على  
أن التواريخ لم يذكر فيها ملك بني إسرائيل لمصر ، وإنما المعروف أنهم ملكوا الشام فتأويله على هذا أورثهم  
مثل ذلك بالشام ( فأتبعوهم ) أى لحقوهم ، وضمير الفاعل لفرعون وقومه ، وضمير المفعول لبني إسرائيل  
( مشرقين ) معناه داخلين في وقت الشروق وهو طلوع الشمس ، وقيل معناه نحو المشرق واتصابه على الحال  
( تراء الجمعان ) وزن تراءى تفاعل ، وهو منصوب من الرؤية ، والجمعان جمع موسى والجمعان جمع فرعون أى رأى  
بعضهم بعضا ( فانفلق ) تقدير الكلام فضرب موسى البحر فانفلق ( كل فرق ) أى كل جزء منه والطود الجبل ،  
وروى أنه صار في البحر اثني عشر طريقاً لكل سبط من بني إسرائيل طريق ( وازلفنا ثم الآخرين ) يعنى  
بالآخرين فرعون وقومه ، ومعنى أزلفنا قربناهم من البحر ليغر قوا ، ثم هنا ظرف يراد به حيث انفلق البحر  
وهو بحر القلزم ( ماتعبدون ) إنما سألمهم مع علمه بأنهم يعبدون الأصنام ليبين لهم أن ما يعبدونه ليس بشيء ،  
ويقيم عليهم الحجة ( قالوا نعبد أصناما ) إن قيل لم صرحوا بقولهم نعبد ، مع أن السؤال وهو قوله ماتعبدون  
يعنى عن التصريح بذلك ، وقياس مثل هذا الاستغناء بدلالة السؤال كقوله : ما أنزل ربكم : قالوا خيراً ،  
فالجواب أنهم صرحوا بذلك على وجه الافتخار والابتهاج بعبادة الأصنام ، ثم زادوا قولهم فنظل لها  
عافيين مبالغة في ذلك ( بل وجدنا آباءنا ) اعتراف بالتقليد المحض ( إلا رب العالمين ) استثناء منقطع وقيل

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ • وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ • وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ • وَأَغْفِرْ  
لَاَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ • وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ • يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ • إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ •  
وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ لِلتَّائِبِينَ • وَبَرَزَتْ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ • وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ • مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ  
يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ • فَكَبِكُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ • وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ • قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ  
تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ • إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ • وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْأَجْرُمُونَ • فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ  
وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ • فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ • إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ •  
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ • كَذَبَتْ قَوْمٌ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ • إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ • إِنِّي لَكُمْ  
رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ اللَّهِ • فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا • وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ • فَاتَّقُوا اللَّهَ

متصل لأن في آباؤهم من عبد الله تعالى ( وإذا مرضت فهو يشفين ) أسند المرض إلى نفسه وأسند الشفاء  
إلى الله تأدباً مع الله ( أن يغفر لي خطيئتي ) قيل أراد كذباته الثلاثة الواردة في الحديث وهي قوله في سارة زوجته  
هي أختي ، وقوله « إني سقيم » ، وقوله « بل فعله كبيرهم » ، وقيل أراد الجنس على الإطلاق ، لأن هذه الثلاثة  
من المعارض فلا إثم فيها ( لسان صدق ) ثناء جميلاً ( يوم لا ينفع ) وما بعده منقطع عن كلام إبراهيم ، وهو من  
كلام الله تعالى ، ويحتمل أن يكون أيضاً من كلام إبراهيم ( إلا من آتى الله بقلب سليم ، قيل سليم من  
الشرك والمعاصي ، وقيل الذي يلقى ربه وليس في قلبه شيئاً غيره وقيل بقلب لديغ من خشية الله ، والسليم  
هو اللديغ لغة ، وقال الزمخشري هذا من بدع التفاسير ، وهذا الاستثناء يحتمل أن يكون متصلاً فيكون من  
آتى الله مفعولاً بقوله لا ينفع ، والمعنى على هذا أن المسال لا ينفع إلا من أنفق في طاعة الله ، وأن البنين لا ينفعون  
إلا من علمهم الدين وأوصاهم بالحق ، ويحتمل أيضاً أن يكون متصلاً ، ويكون قوله من آتى الله بدلاً من قوله مال  
ولا بنون على حذف مضاف تقديره إلا مال من آتى الله وبنوه ويحتمل أن يكون منقطعاً بمعنى لا ينفع ( وأزلفت الجنة )  
أي قربت ( للغاوين ) يعني المشركين بدلالة ما بعده ( فكبكوا فيها ) كبكبوا مضاعف من كب كررت حروفه  
دلالة على تكرير معناه : أي كبههم الله في النار مرة بعد مرة ، والضمير للأصنام ، والغاوون هم المشركون ، وقيل  
الضمير للمشركين ، والغاوون هم الشياطين ( نسويكم برب العالمين ) أي نجعلكم سواء معه ( وما أضلنا إلا الجرمون )  
يعني كبراهم ، وأهل الجرم والجراة منهم ( حميم ) أي خالص الود ، قال الزمخشري جمع الشفعاء ووجد الصديق  
لسكثرة الشفعاء في العادة ، وقلة الأصدقاء ( كذبت قوم نوح المرسلين ) أسند الفعل إلى القوم ، وفيه علامة  
التأنيث ، لأن القوم في معنى الجماعة والأمة ، فإن قيل : كيف قال المرسلين بالجمع وإنما كذبوا نوحاً وحده ؟  
فالجواب من وجهين : أحدهما أنه أراد الجنس كقولك فلان يركب الخيل وإنما لم يركب إلا فرساً واحداً ،  
والآخر أن من كذب نبياً واحداً فقد كذب جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، لأن قولهم واحد ودعوتهم

وَأَطِيعُونَ • قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ • قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ • إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوَ تَشْعُرُونَ • وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ • إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ • قَالُوا لَنْ لَّمْ تَنْتَهَ يَنْبُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ • قَالَ رَبِّ إِنْ قَوْمِي كَذَّبُونِ • فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ • فَانجِنَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ • ثُمَّ اغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ • إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ • وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ • كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ • إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ • إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ • فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا • وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ • أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ • وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخَدُّونَ • وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ • فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا • وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ • أَمَدَّكُمْ بِالنَّعْمِ وَبَنِينَ • وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ • إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ • قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ • إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ • وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ • فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ • وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ • كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ • إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ • إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ • فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا • وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ • أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هُنَّآ أَمِينٌ • فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ • وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ • وَتَنْحُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا قَرِيرِينَ • فَاتَّقُوا اللَّهَ

سواء ، وكذلك الجواب في كذبت عاد المرسلين وغيره (واتبعك الأردلون) جمع أردل ، وقد تقدم الكلام عليه في قوله أراذلنا في هود (وما أنا بطارد المؤمنين) يعني الذين سموهم أردلين ، فإن الكفار أرادوا من نوح أن يطردهم كما أرادت قريش من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يطرد عمار بن ياسر وصهيبا وبلالا وأشباهم من الضمفاء (المرجومين) يحتمل أن يريدوا الرجم بالحجارة ، أو بالقول وهو الشتم (فافتح بيني وبينهم) أي احكم بيننا (في الفلك المشحون) أي المملوء (بكل ريح) الريح المكان المرتفع وقيل الطريق (آية) يعني المباني الطوال وقيل أبراج الحمام (مصانع) جمع مصنع وهو ما اتقن صنعه من المباني ، وقيل مأخذ الماء (أمدكم بأنعام) الآية تفسر لقوله أمدكم بما تعلمون فأنهم أولا ثم فسره (خلق الأولين) بضم الحاء واللام أي عادتهم والمعنى أنهم قالوا ما هذا الذي عليه من ديننا إلا عادة الناس الأولين ، وقرئ بفتح الحاء وإسكان اللام ، ويحتمل على هذا وجهين : أحدهما أنه بمعنى الخلقة والمعنى ما هذه الخلقة التي نحن عليها إلا خلقة الأولين والآخر أنها من الاختلاق بمعنى الكذب ، والمعنى ما هذا الذي جئت به إلا كذب الأولين (أتركون) تخويف لهم معناه أطمعون أن تتركوا في النعم على كفركم (ونخل طلعتها هضيم) الطلع عنقود التمر

وَاطِيعُونَ • وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ • الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ • قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ • مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ • قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شَرْبٌ وَلَكُمْ شَرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ • وَلَا تَمْسُوهَا بِسَوْءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ • فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدَمِينَ • فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ • وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ • كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ • إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ • إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ • فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا • وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ • أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ • وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ • قَالُوا لَنْ نَمُوتَ نَنْتَهَىٰ يَلُوطُ لَتَكُونَ مِنَ الْمُخْرَجِينَ • قَالَ إِنِّي لَعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ • رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ • فَجَنَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ • إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ • ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ • وَآمَطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ • مَطَرُ الْمُنذِرِينَ • إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ • وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ • كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ • إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ الْآتِقُونَ • إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ • فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا •

في أول نباته قبل أن يخرج من الكم، والهضم: اللين الرطب، فالمعنى طلعتها يتم ويرطب، وقيل هو الرخص أول ما يخرج، وقيل الذي ليس فيه نوى، فإن قيل: لم ذكر النخل بعد ذكر الجنات والجنات تحتوي على النخل؟ فالجواب: أن ذلك تجريد كقوله فأكهة ونخل ورمان، ويحتمل أنه أراد الجنات التي ليس فيها نخل ثم عطف عليها النخل (وتنحتون) ذكر في الأعراف (فارحين) قرئ بألف وبغير ألف وهو منصوب على الحال من الفاعل في تنحتون، وهو مشتق من الفراهة وهي الذشاط والسكيس، وقيل معناه أقوياء وقيل أشرين بطرين (من المسحورين) مبالغة في المسحورين، وهو من السحر بكسر السين، وقيل من السحر بفتح السين وهي الرؤية، والمعنى على هذا إنما أنت بشر (لها شرب) أي حظ من الماء (فأصبحوا نادمين) لما تغيرت ألوانهم حسبما أخبرهم صالح عليه السلام ندموا حين لا تنفعهم الندامة (فأخذتهم الصيحة) التي ماتوا منها وهي العذاب المذكور هنا (من القالين) أي من المبغضين، وفي قوله قال ومن القالين: ضرب من ضروب النجيس (مما يعملون) أي نجى من عقوبة عملهم أو اعصمى من عملهم والأول أرجح (الإعجوزا) يعني امرأة لوط (في الغابرين) ذكر في الأعراف وكذلك أمطرنا (أصحاب الأيكة) قرئ بالهمز وخفض التاء مثل الذي في الحجر وق، ومعناه الغيضة من الشجر، وقرئ هنا وفي ص: يفتح اللام والتاء، فقيل إنه مسهل من الهمز، وقيل إنه اسم بلد، ويقوى هذا: القول بأنه على هذه القراءة يفتح التاء غير منصرف، يدل على ذلك أنه اسم علم، وضعف ذلك الزمخشري، وقال إن الأيكة اسم لا يعرف (إذ قال لهم شعيب) لم يقل هنا أخوهم كما قال في قصة نوح وغيره، وقيل إن شعيبا بعث إلى مدين، وكان من قبيلتهم، فلذلك قال وإلى مدين أخاهم شعيبا، وبعث أيضا إلى أصحاب الأيكة ولم يكن منهم فلذلك لم يقل أخوهم، فكان شعيبا على هذا

وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ \*  
 وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ \* وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ \* وَاتَّقُوا الَّذِي  
 خَلَقَكُمْ وَالْجِبْلَةَ الْأُولَىٰ \* قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ \* وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ \*  
 فَاسْقُطْ عَلَيْنَا كَسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ \* قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ \* فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُم  
 عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ \* إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ \* وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ  
 الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ \* وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ \* عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ \*  
 بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ \* وَإِنَّهُ لَنبِيُّ ذُرِّ الْأُولَىٰ \* أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ \* وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ  
 عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ \* فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُّؤْمِنِينَ \* كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ \* لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ  
 حَتَّىٰ يُرَوُّوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ \* فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ \* فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ \* أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ \*

مبعوثا إلى القبيلتين وقيل إن أصحاب الأيكة مدين ولكنه قال أخوهم حين ذكرهم باسم قبيلتهم ، ولم يقل  
 أخوهم حين نسبهم إلى الأيكة التي هلكوا فيها تنزيها لشعيب عن النسبة إليها (من المخسرین) أى من الناقصين  
 للكيل والوزن (بالقسطاس) الميزان المعتدل (والجبلية) يعنى القرون المتقدمة (عذاب يوم الظلة) هى سخابة  
 من نار أحرقتهم ، فأهلك الله مدين بالصيحة ، وأهلك أصحاب الأيكة بالظلة ، فإن قيل : لم كرر قوله إن فى  
 ذلك لآية مع كل قصة ؟ فالجواب : أن ذلك أبلغ فى الاعتبار ، وأشد تنبيها للقلوب وأيضاً فإن كل قصة منها  
 كأنها كلام قائم مستقل بنفسه ، فحتمت بما ختمت به صاحبها (وإنه لتنزيل رب العالمين) الضمير للقرآن  
 (الروح الأمين) يعنى جبريل عليه السلام (على قلبك) إشارة إلى حفظه إياه ، لأن القلب هو الذى يحفظ  
 (بلسان عربى) يعنى كلام العرب هو متعلق بنزل أو المنذرین (وإنه لنبى ذر الأولين) المعنى أن القرآن  
 مذکور فى كتب المتقدمين فى ذلك دليل على صحته ثم أقام الحججة على قریش بقوله (أو لم يكن لهم آية أن  
 يعلمه علماء بنى إسرائيل) بأنه من عند الله آية لكم وبرهان ، والمراد من أسلم من بنى إسرائيل كعبدا لله بن سلام  
 وقيل الذين كانوا يبشرون بمبعثه عليه الصلاة والسلام (ولو نزلناه على بعض الأعجمين) الآية جمع أعجم ، وهو  
 الذى لا يتكلم سواء كان إنساناً أو بهيمة أو جماداً والأعجمى : المنسوب إلى الأعجم ، وقيل بمعنى الأعجم ، ومعنى  
 الآية : أن القرآن لو نزل على من لا يتكلم ، ثم قرأه عليهم لا يؤمنوا لإفراط عنادهم ، ففى ذلك تسلية للنبي  
 صلى الله عليه وسلم على كفرهم به مع وضوح برهانه (كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين) معنى سلكناه .  
 أدخلناه ، والضمير للتكذيب الذى دل عليه ما تقدم من الكلام . أو للقرآن أى سلكناه فى قلوبهم مكذبا  
 به ، وتقدير قوله : كذلك . مثل هذا السلك سلكناه ، والمجرمين : يَحتمل أن يريد به قریشاً أو الكفار المتقدمين  
 ولا يؤمنون : تفسير للسلك الذى سلكه فى قلوبهم (فيقولوا هل نحن منظرُونَ) تمنوا أن يؤخروا حين لم

أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ۖ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ۚ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ۚ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ  
 قَرِيْبَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ۚ ذِكْرَىٰ ۚ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ۚ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ۚ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۚ  
 إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ ۚ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ۚ وَأَنْذَرْتُكَ الْأَقْرَبِينَ ۚ  
 وَأَخْفَضَ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرَىٰ ۚ مَا تَعْمَلُونَ ۚ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ  
 الرَّحِيمِ ۚ الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ ۚ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِينَ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۚ هَلْ أَنْبَأَكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ  
 الشَّيَاطِينُ ۚ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۚ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَذِبُونَ ۚ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۚ أَلَمْ

ينفعهم التنبؤ (أبعدنا بنا يستعجلون) توبيخ لقريش على استعجالهم بالعذاب في قولهم «فأمطر علينا حجارة من  
 السماء» وشبه ذلك (أفرأيت إن متعناهم سنين) المعنى أن مدة إهمالهم لا تغني مع نزول العذاب بعدها، وإن طالت  
 مدة سنين، لأن كل ما هو آت قريب، قال بعضهم «سنين» يريد به عمر الدنيا (وما أهلكنا من قرية إلا لها  
 منذرون) المعنى أن الله لم يهلك قوما إلا بعد أن أقام الحجة عليهم بأن أرسل إليهم رسولا فأذنبهم فكذبوه  
 (ذكري) منصوب على المصدر من معنى الإنذار أو على الحال من الضمير في منذرون، أو على المفعول من  
 أجله، أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمر (وما تنزلت به الشياطين) الضمير للقرآن، وهو رد على من قال  
 إنه كهانة نزلت به الشياطين على محمد (وما ينبغي لهم وما يستطيعون) أي ما يمكنهم ذلك ولا يقدرون عليه  
 ولفظ ما ينبغي تارة يستعمل بمعنى لا يمكن وتارة بمعنى لا يليق (إنهم عن السمع لمعزولون) تعليل لكون الشياطين  
 لا يستطيعون الكهانة لأنهم منعوا من استراق السمع منذ بعث محمد صلى الله عليه وسلم، وقد كان أمر الكهان  
 كثيراً منتشراً قبل ذلك (وأندرتك الأقربين) عشيرة الرجل هم قرابته الأذنون، ولما نزلت هذه الآية  
 أذرت النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرابته فقال يابني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يابني عبد المطلب أنقذوا  
 أنفسكم من النار، ثم نادى كذلك ابنته فاطمة وعمته صفية، قال الزمخشري في معناه قولان أحدهما أنه أمر  
 أن يبدأ بإذراء أقاربه قبل غيرهم من الناس، والآخر أنه أمر أن لا يأخذه ما يأخذ القريب من الرافة بقريبه  
 ولا يخافهم بالإندار (واخفض جناحك) عبارة عن لين الجانب والرفق، وعن التواضع (الذي يراك حين  
 تقوم) أي حين تقوم في الصلاة، ويحتمل أن يريد سائر التصرفات (وتقلبك في الساجدين) معطوف على  
 الضمير المفعول في قوله يراك، والمعنى أنه يراك حين تقوم وحين تسجد، وقيل معناه يرى صلاتك مع  
 المصلين، ففي ذلك إشارة إلى الصلاة مع الجماعة، وقيل يرى تقلب بصرك في المصلين خلفك لأنه عليه الصلاة والسلام  
 كان يراهم من وراء ظهره (تنزل على كل أفَّاكٍ أَثِيمٍ) هذا جواب السؤال المتقدم وهو قوله هل أنبئكم على من تنزل الشياطين  
 والأفَّاك الكذاب، والأثيم الفاعل للإثم يعني بذلك الكهان، وفي هذا رد على من قال إن الشياطين تنزلت على  
 سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالكهانة، لأنها لا تنزل إلا على أفَّاكٍ أَثِيمٍ، وكان صلى الله عليه وآله وسلم على  
 غاية الصدق والبر (يلقون السمع) معناه يستمعون والضمير يحتمل أن يكون للشياطين بمعنى أنهم يستمعون  
 إلى الملائكة، أو يكون للكهان بمعنى أنهم يستمعون إلى الشياطين، وقيل يلقون بمعنى يلقون المسموع،

تَرَاهُمْ فِي كُلِّ وَاذِ يَهْمُونَ \* وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ \* إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا  
اللَّهَ كَثِيرًا وَاتَّقَوْا مِنَ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ \*

## سورة النمل

مكية وآياتها ٩٣ نزلت بعد سورة الشعراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* طَسَ تَلَكْ ءَايَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ \* هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ \* الَّذِينَ  
يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ \* إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَةً لَهُمْ  
أَعْمَلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ \* أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخِسُونَ \* وَإِنَّكَ لَتَلَقَّى  
الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ \* إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَاءَتِ كُفْرَتِي مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُمْ بِشَهَابٍ

والضمير يحتمل أيضا على هذا أن يكون للشياطين ، لأنهم يلقون الكلام إلى الكهان أو يكون للكهان  
لأنهم يلقون الكلام إلى الناس (وأكثرهم كاذبون) يعني الشياطين أو الكهان لأنهم يكذبون فيما يخبرون  
به عن الشياطين ( والشعراء يتبعهم الغاؤون) لما ذكر الكهان ذكر الشعراء ليبين أن القرآن ليس بكهانة  
ولا شعر لتبين ما بين أوصافه وأوصاف الشعر والكهانة ، وأراد الشعراء الذين يلقون من الشعر ما لا ينبغي  
كالهجاء والمدح بالباطل وغير ذلك ، وقيل أراد شعراء الجاهلية ، وقيل شعراء كفار قريش الذين كانوا يؤذون  
المسلمين بأشعارهم ، والغاؤون قيل هم رواة الشعر وقيل هم سفهاء الناس الذين تعجبهم الأشعار لما فيها من  
اللغو والباطل ، وقيل هم الشياطين ( في كل واديهيمون) استعارة وتمثيل أي يذهبون في كل وجه من الكلام  
الحق والباطل ، ويفرطون في التجوز حتى يخرجوا إلى الكذب (إلا الذين آمنوا) الآية : استثناء من الشعراء  
يعني بهم شعراء المسلمين كحسان بن ثابت وغيره ممن اتصف بهذه الأوصاف ، وقيل إن هذه الآية مدنية (ذكروا  
الله) قيل معناه ذكروا الله في أشعارهم ، وقيل يعني الذكر على الإطلاق (واتصروا من بعد ما ظلموا) إشارة  
إلى ما قاله حسان بن ثابت وغيره من الشعراء في هجو الكفار بعد أن هجوا الكفار النبي صلى الله عليه وسلم (وسيعلم  
الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) وعيد للذين ظلموا والظلم هنا بمعنى الاعتداء على الناس لقوله من بعد ما ظلموا  
وعمل ينقلبون في أي لتأخره ، وقيل : إن العامل في أي سيعلم

## سورة النمل

(تلك آيات القرآن وكتاب مبين) عطف الكتاب على القرآن كعطف الصفات بعضها على بعض ،  
وإن كان الموصوف واحدا (هدى وبشرى) في موضع نصب على المصدر أو في موضع رفع على أنه خبر  
ابتداء مضر (وهم بالآخرة هم يوقنون) تحتل هذه الجملة أن تكون معطوفة فتكون بقية صلة الذين أو تكون  
مستأنفة وتمت الصلة قبلها ، ورجح الزمخشري هذا (يعمهنون) يتحيرون (سوء العذاب) يعني في الدنيا وهو  
القتل يوم بدر ، ويحتمل أن يريد عذاب الآخرة ، والأول أرجح لأنه ذكر الآخرة بعد ذلك (لتلقى القرآن) أي

قَبَسَ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِنَ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝  
يَمُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌ وَلِيٌّ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ  
يَمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ۝ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حَسَنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝  
وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ يَيْضًا ۝ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ۝ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا  
فَاسِقِينَ ۝ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ وَجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً  
فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عَلِمَاءَ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ  
مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مِنْتُمْ أَنْ تَقُولُوا مِن كُلِّ شَيْءٍ

تغطاه (آنت) ذكر في طه ، وكذلك قبس ، والشهاب النجم شبه القبس به ، وقرئ بإضافة شهاب إلى قبس  
وبالتنوين على البدل أو الصفة ، فإن قيل : كيف قال هنا سأتيكم وفي الموضع الآخر لعل آتيكم ، والفرق بين  
الترجي والتسويف أن التسويف متيقن الوقوع بخلاف الترجي ؟ فالجواب أنه قد يقول الراجي : سيكون كذا ؛  
إذا قوى رجاءه (تصطلون) معناه تستدقون بالنار من النرد ، ووزنه تفعلون ، وهو مشتق من صلى بالنار والطاء  
بدل من التاء (أن بورك من في النار ومن حولها) أن مفسرة ، وبورك من البركة ، ومن في النار : يعني من في مكان النار  
ومن حولها : من حول مكانها يريد الملائكة الحاضرين وموسى عليه السلام ، قال الزمخشري : والظاهر أنه عام في كل  
من كان في تلك الأرض وفي ذلك الوادي وما حوله من أرض الشام (وسبحان الله) يحتمل أن يكون مما قيل في النداء  
لموسى عليه السلام ، أو يكون مستأنفاً وعلى كلا الوجهين قصد به تنزيه الله عما عسى أن يخطر ببال السامع من  
معنى النداء ، أو في قوله بورك من في النار لأن المعنى نودي أن بورك من في النار ، إذ قال بعض الناس فيه ما يجب  
تنزيه الله عنه (وألق عصاك) هذه الجملة معطوفة على قوله بورك من في النار ، لأن المعنى يؤدي إلى أن بورك  
من في النار ، وأن ألق عصاك وكلاهما تفسير للنداء (كأنها جان) الجان الحية ، وقيل الحية الصغيرة ، وعلى  
هذا يشكك قوله فإذا هي ثعبان ، والجواب : أنها ثعبان في جرهما ، جان في سرعة حركتها (ولم يعقب) لم  
يرجع أو لم يلتفت (إلا من ظلم) استثناء منقطع تقديره لكن من ظلم من سائر الناس ، لا من المرسلين ، وقيل  
إنه متصل على القول بتجويز الذنوب عليهم وهذا بعيد لأن الصحيح عصمتهم من الذنوب وأيضاً فإن تسميتهم  
ظالمين شنيع على القول بتجويز الذنوب عليهم (بدل حسناً) أي عمل صالحاً (في جيبك) ذكر في طه (في تسع  
آيات) متصل بقوله ألق وأدخل ، تقديره نيسرك ذلك في جملة تسع آيات ، وقد ذكرت الآيات التسع في  
الإسراء (إلى فرعون) متعلق بفعل محذوف يقتضيه الكلام تقديره اذهب بالآيات التسع إلى فرعون (مبصرة)  
أي ظاهرة واضحة الدلالة وأسد الإبصار لها مجازاً ، وهو في الحقيقة لمنأملها (واستيقنتها أنفسهم) يعني أنهم  
جحدوا بها مع أنهم يتقنوا أنها الحق فكفروهم عناد ، ولذلك قال فيه ظلماً ، والواو فيه واو الحال ، وأضمرت  
بعدها قد علوا يعني تكبروا (وورث سليمان داود) أي ورث عنه النبوة والعلم والملك (علما منطق الطير)  
أي فهمنا من أصوات الطير المعاني التي في نفوسها (وأوتينا من كل شيء) عموم معناه الخصوص ، والمراد

إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ۖ وَحُشْرٌ لِّسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۖ حَتَّىٰ إِذَا  
 اتَّوَا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۖ  
 فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي ۖ إِنَّ أَشْكُرَ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدِي وَإِنِّي أَعْمَلُ  
 صَالِحًا تَرْضَاهُ ۖ وَأَدْخَلَنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ۖ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ  
 مِنَ الْغَائِبِينَ ۖ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ ۖ فَفَكَّكَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ  
 بِمَا لَمْ حَطَّ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبِيٍّ يَقِينٍ ۖ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ

بهذا اللفظ التكثير : كقولك فلان يقصده كل أحد ، وقوله علمنا وأوتينا : يحتمل أن يريد نفسه وأباه أو نفسه  
 خاصة على وجه التعظيم ، لأنه كان ملكا (وحشر لسليمان جنوده) اختلف الناس في عدد جنود سليمان اختلفا  
 شديدا تركنا ذكره لعدم صحته (فهم يوزعون) أى يكفون ويراد أولهم إلى آخرهم ، ولا بد لكل ملك أو حاكم  
 من وزعة يدفعون الناس (حتى إذا أتوا على وادى النمل) ظاهر هذا أن سليمان وجنوده كانوا مشاة بالأرض  
 أو ركباناً حتى خافت منهم النمل ، ويحتمل أنهم كانوا فى الكرسى المحمول بالريح ، وأحست النملة بنزولهم فى وادى النمل  
 (قالت نملة) النمل حيوان فطن قوى الحس يدخر قوته ويقسم الحبة بقسمين . لثلاث نبت ، ويقسم حبة  
 الكسبرة على أربع قطع لأنها تنبت إذا قسمت قسمين ، وإفراط إدراكها قالت هذا القول ، وروى أن  
 سليمان سمع كلامها ، وكان بينه وبينها ثلاثة أميال ، وهذا لا يسمعه البشر إلا من خصه الله بذلك (ادخلوا)  
 خاطبتهم مخاطبة العقلاء لأنها أمرتهم بما يؤمر به العقلاء (لا يحطمنكم) يحتمل أن يكون جواباً للأمر أو نهياً بدلا  
 من الأمر لتقارب المعنى (وهم لا يشعرون) الضمير لسليمان وجنوده ، والمعنى اعتذار عنهم لو حطموا النمل أى  
 لو شعروا بهم لم يحطموهم (فتبسم ضاحكا) تبسم لأحد أمرين : أحدهما سروره بما أعطاه الله ؛ والآخر ثناء النملة  
 عليه وعلى جنوده ، فإن قولها وهم لا يشعرون : وصف لهم بالتقوى والتحفظ من مضرة الحيوان (وتفقد الطير)  
 اختلف الناس فى معنى تفقده للطير ، فقليل ذلك لعنايته بأور ملكه ، وقيل لأن الطير كانت تظله فعاب الهدهد فدخلت  
 الشمس عليه من موضعه (أم كان من الغائبين) أم منقطعة فإنه نظر إلى مكان الهدهد فلم يبصره ، فقال ما لى لا أرى  
 الهدهد أى لا أراه ولعله حاضر وستره ساتر ، ثم علم بأنه غائب فأخبر بذلك (لأعذبنه) روى أن تعذبه  
 للطير كان بنتف ريشه (بسلطان مبین) أى حجة بينة (فمكك) أى أقام ، ويجوز فتح المكاف وضمها ،  
 وبالفتح قرأعاصم ، والفعل يحتمل أن يكون مسنداً إلى سليمان عليه السلام أو إلى الهدهد وهو أظهر (غير  
 بعيد) يعنى زمان قريب (أحطت) أى أحطت علماً بما لم تعلمه (من سبأ) يعنى قبيلة من العرب ، وجدتهم الذى  
 يعرفون به : سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، ومن صرفه أراد الحى أو الأب ، ومن لم يصرفه أراد  
 القبيلة أو البلدة ، وقرئ بالتسكين لتوالى الحركات ، وعلى القراءة بالتثوين يكون فى قوله من سبأ بنياضرب من  
 أدوات البيان ، وهو التجنيس (وجدت امرأة تملكهم) المرأة بلقيس بنت شراحيل : كان أبوها ملك اليمن  
 ولم يكن له ولد غيرها ، فغلبت بعده على الملك ، والضمير فى تملكهم يعود على سبأ ، وهم قومها (من كل

عَظِيمٌ ۖ وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۚ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ \* قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتُمْ كُنْتُمْ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۚ أَذْهَبَ بِكُتُبِي هَذَا فَالِقَهُ لِيهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ \* قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنِّي أَتِيَّتُكِ كِتَابٌ كَرِيمٌ ۚ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ \* قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَفَتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونَهُ ۚ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ \* قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْزَةَ أَهْلِهَا آذَنًا وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ \* وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ \* فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرًا مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ

شيء) عموم يراد به الخصوص فيما يحتاجه الملك (ولها عرش عظيم) يعني سرير ملكها، ووقف بعضهم على عرش ثم ابتداء عظيم وجدتها على تقدير: عظيم أن وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله، وهذا خطأ، وإنما حمله عليه الفرار من وصف عرشها بالعظمة (أن لا يسجدوا لله) من كلام الهدهد أو من كلام الله، وقرأ الجمهور بالتشديد، وأن في موضع نصب على البدل من أعمالهم، أو في موضع خفض على البدل من السبيل، أو يكون التقدير لا يهتدون لأن يسجدوا بحذف اللام، وزيادة لا، وقرئ بالتخفيف على أن تكون لا حرف تنبيه وأن تكون الباء حرف نداء فيوقف عليها بالالف على تقدير يا قوم ثم يبتدأ أسجدوا (يخرج الخبء) الخبء في اللغة الخفي وقيل معناه هنا الغيب، وقيل يخرج النبات من الأرض واللفظ يعم كل خفي، وبه فسر ابن عباس (ثم تول عنهم) أي تنح إلى مكان قريب لتسمع ما يقولون، وروى أنه دخل عليها من كوة فألقى إليها الكتاب وتوارى في الكوة، وقيل إن التقدير انظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم فهو من المقلوب والاول أحسن (ماذا يرجعون) من قوله يرجع بعضهم إلى بعض القول (قالت يا أيها الملأ) قبل هذا الكلام محذوف تقديره: فألقى الهدهد إليها الكتاب فقرأته، ثم جمعت أهل ملكها فقالت لهم يا أيها الملأ (كتاب كريم) وصفته بالكرم لأنه من عند سليمان، أو لأن فيه اسم الله، أو لأنه مختم كما جاء في الحديث كرم الكتاب ختمه (من سليمان) يحتمل أن يكون هذا نص الكتاب بدأ فيه بالعنوان، وأن يكون من كلامها: أخبرتهم أن الكتاب من سليمان (وأتوني مسلمين) يحتمل أن يكون من الانقياد بمعنى مستسلمين، أو يكون من الدخول في الإسلام (أولو قوة) يحتمل أن يريد قوة الأجساد أو قوة الملك والعدد (وكذلك يفعلون) من كلام الله عز وجل تصديقا لقولها فيوقف على ما قبله، أو من كلام بلقيس تأكيذا للبعث الذي أرادته، وتعنى كذلك يفعل هؤلاء بنا (وإني مرسلَةٌ إليهم بهدية) قالت لقومها إني أجرب هذا الرجل بهدية من نفائس الأموال، فإن كان ملكاً دنيوياً: أرضاه المال، وإن كان نبياً لم يرضه المال، وإنما يرضيه دخولنا في دينه فبعثت إليه هدية عظيمة وصفها الناس واختصروا وصفها لعدم صحته (أتمدون بمال) إنكار للهدية لأن الله أغناها عنها بما أعطاه (بل أتمم بهديتكم تفرحون) أي أتمم محتاجون إليها ففرحون بها وأنا لست

أَتَمَّ بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرُحُونَ \* أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ \*  
قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ \* قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجَنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ  
تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِي أَمِينٌ ۝ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ  
طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ  
لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌ كَرِيمٌ ۝ قَالَ نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرُ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ \*  
فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوْتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ \* وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ

كذلك (ارجع اليهم) خطاب للرسول ، وقيل للهدد ، والأول أرجح ، لأن قوله فلما جاء سليمان مسند  
إلى الرسول (لا قبل لهم بها) أى لاطاقة لهم بها (قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني  
مسلمين) القائل سليمان ، والملا جماعة من الجن والإنس ، وطلب عرشها قبل أن يأتوه مسلمين ، لأنه وصف  
له بعظمة فأراد أن يأخذه قبل أن يسلموا فيمنع إسلامهم من أخذ أموالهم ، فمسلمين على هذا من الدخول  
في دين الإسلام ، وقيل إنما طلب عرشها قبل أن يأتوه مسلمين ليظهر لهم قوته ، فمسلمين على هذا بمعنى  
منقادين (قال عفريت) روى عن وهب بن منبه أن اسم هذا العفريت الكودن (قبل أن تقوم من مقامك) قبل  
أن تقوم من موضع الحكم ، وكان يجلس من بكرة إلى الظهر ، وقيل معناه قبل أن تستوى من جلوسك قائما (قال  
الذي عنده علم من الكتاب) هو آصف بن برخيا ، وكان رجلا صالحا من بني إسرائيل كان يعلم اسم الله الأعظم  
وقيل هو الخضر ، وقيل هو جبريل ، والأول أشهر ، وقيل سليمان وهذا بعيد (آتيك به) في الموضوعين : يحتمل أن  
يكون فعلا مستقبلا أو اسم فاعل (قبل أن يرتد إليك طرفك) الطرف العين فالمعنى على هذا قبل أن تغض  
بصرك إذا نظرت إلى شيء وقيل الطرف تحريك الأجنان إذا نظرت (فلما رآه مستقرا عنده) قيل هنا  
مخدوف تقديره : فجاءه الذي عنده علم من الكتاب بعرشها ، ومعنى مستقرا عنده حاصله عنده وليس هذا  
بمستقر الذي يقدر النحويون تعلق المجرورات به خلافا لمن فهم ذلك (يشكر لنفسه) أى منفعة الشكر لنفسه (قال  
نكروا لها عرشها) تنكيهه تغيير وصفه وستر بعضه ، وقيل الزيادة فيه والنقص منه ، وقصد بذلك اختبار عقلها  
وفهمها (أتهتدي) يحتمل أن يريد تهتدي لمعرفة عرشها ، أو للجواب عنه إذا سئلت أو للإيمان (فلما جاءت  
قيل أهكذا عرشك) كان عرشها قد وصل قبلها إلى سليمان فأمر بتنكيهه ، وأن يقال لها أهكذا عرشك  
أى أمثل هذا عرشك لثلاث تفتن أنه هو ، فأجابته بقولها : كأنه هو جوابا عن السؤال ، ولم تقل هو تحرزا  
من الكذب أو من التحقيق في محل الاحتمال (وأوتينا العلم من قبلها) هذا من كلام سليمان وقومه لما رأوها  
قد آمنت قالوا ذلك اعترافا بنعمة الله عليهم في أن آتاهم العلم قبل بلقيس وهداهم الإسلام قبلها ، والجملة معطوفة  
على كلام مخدوف تقديره قد أسلمت هي وعلمت وحدانية الله وصحة النبوة وأوتينا نحن العلم قبلها (وصدها  
ما كانت تعبد من دون الله) هذا يحتمل أن يكون من كلام سليمان وقومه ، أو من كلام الله تعالى ، ويحتمل أن يكون  
وما كانت تعبد، فاعلا أو مفعولا ، فإن كان فاعلا : فالمعنى صدها ما كانت تعبد عن عبادة الله والدخول في الإسلام

تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ۖ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُرْدٌ مِنْ قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ۚ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۖ قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَبَيْنَ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُتَعَمِّدُونَ ۖ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ۖ قَالُوا نَقَاسِمُوا بِاللَّهِ لَئِن تَبَدَّلْنَا آهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۖ وَمَكْرُؤًا مَسْكُورًا وَمَكْرَئًا مَكْرًا وَهُمْ

حتى إلى هذا الوقت ، وإن كان مفعولا : فهو على إسقاط حرف الجر ، والمعنى صدها الله أو سليمان عن ما كانت تعبد من دون الله فدخلت في الإسلام (قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبتة لجة وكشفت عن ساقها) الصرح في اللغة هو القصر ، وقيل صحن الدار ، روى أن سليمان أمر قبل قدومه فبنى له على طريقها قصرا من زجاج أبيض وأجرى الماء من تحته ، وألقى فيه دواب البحر من السمك وغيره ووضع سيره في صدره فجلس عليه فلما رأته حسبتة لجة ، واللجة الماء المتجمع كالبحر ، فكشفت عن ساقها لتدخله لما أمرت بدخوله ، وروى أن الجن كرهوا تزوج سليمان لها ، فقالوا له إن عقلها مجنون ، وإن رجلها كخافر الحمار فاختر عقلها بتكبير العرش فوجدها عاقلة واختبر ساقها بالصرح فلما كشفت عن ساقها وجدها أحسن الناس ساقا فتزوجها وأقرها على ملكها باليمن ، وكان يأتيها مرة في كل شهر ، وقيل أسكنها معه بالشام (قال إنه صرح بمزد من قوارير) لما ظنت أن الصرح لجة ماء وكشفت عن ساقها لتدخل الماء قال لها سليمان إنه صرح بمزد ، والممزد الأملس ، وقيل الطويل ، والقوارير جمع قارورة وهي الزجاجية (قالت رب إنى ظلمت نفسي) تعنى بكفرها فيما تقدم (وأسلمت مع سليمان) هذا ضرب من ضروب التجنيس (فريقين يختصمون) الفريقان من آمن ومن كفر ؛ واختصاصهم : اختلافهم وجدالهم في الدين (لم تستعجلون) أى لم تطلبون العذاب قبل الرحمة ، أو المعصية قبل الطاعة (قالوا اطيروا بك) أى تشاء منا بك وكانوا قد أصابهم القحط (قال طائرکم عند الله) أى السبب الذى يحدث عنه خيركم أو شرکم : هو عند الله وهو قضاؤه وقدره ، وذلك رد عليهم فى تطيرهم ونسبتهم ما أصابهم من القحط إلى صالح عليه السلام (وكان فى المدينة) يعنى مدينة ثمود (يفسدون فى الأرض) قيل لأنهم كانوا يقرضون الدنانير والدرهم ولفظ الفساد أعم من ذلك (تقاسموا بالله) أى حلفوا بالله ، وقيل إنه فعل ماض وذلك ضعيف ، والصحيح أنه فعل أمر قاله بعضهم لبعض وتعاقدوا عليه (لئيبته وأهله) أى لئقتلته وأهله بالليل وهذا هو الفعل الذى تحالفوا عليه (ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله) أى تبرأ من دمه إن طلبنا به ولية ، ومهلك يحتمل أن يكون اسم مصدر أو زمان أو مكان فإن قيل إن قولهم ما شهدنا مهلك أهله يقتضى التبرى من دم أهله دون التبرى من دمه ، فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول أنهم أرادوا ما شهدنا مهلكه ومهلك أهله ، وحذف مهلكه لدلالة قولهم لئيبته وأهله ، والثانى أن أهل الإنسان قد يراد به هو وهم لقوله «وأغرقتنا آل فرعون» ، يعنى فرعون وقومه ، الثالث : أنهم قالوا مهلك أهله خاصة ليكونوا صادقين ، فإنهم شهدوا مهلكه ومهلك أهله معا ، وأرادوا التعريض فى كلامهم لتلا

لَا يَشْعُرُونَ • فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ • فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا  
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ • وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ • وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ  
 وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ • أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرَّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّجْهَلُونَ • فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ  
 إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوآءَالَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظُرُونَ • فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنَ  
 الْغَابِرِينَ • وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ • قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ  
 خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ • أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَادٍ تَقِي ذَاتَ  
 بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِقَوْمٍ يَعْدِلُونَ • أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلَالَهَا  
 أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَكْثَرُمْ لَا يَعْلَمُونَ • أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ

يكذبوا (وإن الصادقون) يحتمل أن يكون قولهم وإن الصادقون مغالطة مع اعتقادهم أنهم كاذبون ، ويحتمل أنهم  
 قصدوا وجهان التعريض ليخرجوا به عن الكذب وقد ذكرناه في الجواب الثالث عن مهلك أهله ، وهو أنهم  
 قصدوا أن يقتلوا أصحاب آلهم معاً ، ثم يقولون ما شهدنا مهلك أهله وحدهم وإنما لصادقون في ذلك بل يعنون أنهم  
 شهدوا مهلكه ومهلك أهله معاً وعلى ذلك حمله الزمخشري (أنادمرناهم وقومهم) روى أن الرهط الذين تقاسموا  
 على قتل صالح اختفوا ليلاً في غار قريباً من داره ليخرجوا منه إلى داره بالليل فوقعت عليهم صخرة فأهلكتهم  
 ثم هلك قومهم بالصيحة ولم يعلم بعضهم بهلاك بعض ، ونجا صالح ومن آمن به (وأنتم تبصرون) قيل معناه  
 تبصرون بقلوبكم أنها معصية وقيل تبصرون بأبصاركم لأنهم كانوا ينكشفون بفعل ذلك ولا يستتر بعضهم  
 من بعض ، وقيل تبصرون آثار الكفار قبلكم وما نزل بهم من العذاب « يتطهرون ، والغابرين ،  
 وأمطرنا ، قد ذكر (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) أمر الله رسوله أن يتلو الآيات المذكورة  
 بعد هذا ، لأنها براهين على وحدانيته وقدرته ، وأن يستفتح ذلك بحمده ، والسلام على من اصطفاه من  
 عباده كما تستفتح الخطب والكتب وغيرها بذلك تيمناً بذكر الله ، قال ابن عباس يعني بعباده الذين اصطفى  
 الصحابة ، واللفظ يعم الملائكة والأنبياء والصحابة والصالحين (آله خير مما يشركون) على وجه الرد على المشركين  
 فدخلت خير التي يراد بها التفضيل لتبكيهم وتعنيفهم مع أنه معلوم أنه لا خير فيما أشركوا أصلاً ، ثم أقام عليهم  
 الحجة بأن الله هو الذي خلق السموات والأرض وبغير ذلك مما ذكره إلى تمام هذه الآيات ، وأعقب كل برهان  
 منها بقوله إله مع الله على وجه التقرير لهم على أنه لم يفعل ذلك كله إلا الله وحده فقامت عليهم الحجة بذلك وفيها أيضاً  
 نعم يجب شكرها فقامت بذلك أيضاً وأم في قوله خير مما يشركون متصلة عاطفة ، وأم في المواضع التي بعده منقطعة  
 بمعنى بل والهزمة (قوم يعدلون) أي يعدلون عن الحق والصواب أو يعدلون بالله غيره أي يجعلون له عديلاً  
 ومثيلاً (رواسي) يعني الجبال (البحرين) ذكر في الفرقان (يجيب المضطر) قيل هو المجهود ، وقيل الذي

إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خَلَفاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ قَلِيلًا مَاتِدَ كُرُونَهُ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلْمَتِ  
الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يَرْسِلُ الرِّيحَ بَشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ  
ثُمَّ يَعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ قَلِيلًا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ لَا يَعْلَمُ  
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يَبْعَثُونَ بَلِ ادْرِكْ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ

لا حول له ولا قوة ، واللفظ مشتق من الضرر : أى الذى أصابه الضرر أو من الضرورة أى الذى أوجبه  
الضرورة إلى الدعاء (خلفاء الأرض) أى خلفاء فيها تتوارثون سكنها (أمن يهديكم) يعنى الهداية بالنجوم  
والطرقات (بشرا) ذكر فى الأعراف (من السماء والأرض) الرزق من السماء المطر ومن الأرض النبات  
(هاتوا برهانكم) تعجيز للمشركين (قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله) هذه الآية تقتضى  
انفراد الله تعالى بعلم الغيب ، وأنه لا يعلمه سواه ، ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها من زعم أن محمداً يعلم  
الغيب فقد أعظم الفرية على الله ، ثم قرأت هذه الآية ، فإن قيل : فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم  
يخبر بالغيوب وذلك معدود فى معجزاته ، فالجواب : أنه صلى الله عليه وسلم قال إنى لا أعلم الغيب إلا  
ما علمنى الله ، فإن قيل : كيف ذلك مع ما ظهر من إخبار الكهان والمنجمين وأشباهم ، بالأمور المغيبة ؟  
فالجواب : أن إخبارهم بذلك عن ظن ضعيف أو عن وهم لا عن علم ، وإنما اقتضت الآية نفي العلم ، وقد قيل  
إن الغيب فى هذه الآية يراد به متى تقوم الساعة ، لأن سبب نزولها أنهم سألوا عن ذلك ، ولذلك قال وما  
يشعرون أيان يبعثون ، فعلى هذا يندفع السؤال الأول ، والثانى لأن علم الساعة انفراد به الله تعالى لقوله  
تعالى «قل إنما علمها عند الله» ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم : فى خمس لا يعلمها إلا الله ، ثم قرأ «إن الله  
عنده علم الساعة» ، إلى آخر السورة ، فإن قيل : كيف قال إلا الله بالرفع على البدل والبديل لا يصح إلا إذا  
كان الاستثناء متصلاً ويكون ما بعد إلا من جنس ما قبلها والله تعالى ليس بمن فى السموات والأرض باتفاق  
فإن القائلين بالجهة والمكان يقولون إنه فوق السموات والأرض ، والقائلين بنفى الجهة يقولون إن الله  
تعالى ليس بهما ولا فوقهما ولا داخلهما ولا خارجاً عنهما فهو على هذا استثناء منقطع ، فكان يجب أن  
يكون منصوباً ؟ فالجواب من أربعة أوجه : الأول أن البدل هنا جاء على لغة بنى تميم فى البدل ، وإن كان  
منقطعاً كقولهم ما فى الدار أحد إلا حمار بالرفع والحمار ليس من الأحدين وهذا ضعيف ، لأن القرآن أنزل  
بلغة الحجاز لا بلغة بنى تميم ، والثانى أن الله فى السموات والأرض بعلمه كما قال وهو معكم أينما كنتم ، يعنى  
بعلمه ، فجاء البدل على هذا المعنى وهذا ضعيف ، لأن قوله فى السموات والأرض وقعت فيه لفظة فى الظرفية  
الحقيقية ، وهى فى حق الله على هذا المعنى للظرفية المجازية ولا يجوز استعمال لفظة واحدة فى الحقيقة والمجاز  
فى حالة واحدة عند المحققين ، الجواب الثالث أن قوله من فى السموات والأرض يراد به كل موجود  
فكأنه قال من فى الوجود فيكون الاستثناء على هذا متصلاً ، فيصح الرفع على البدل ، وإنما قال من  
فى السموات والأرض جرياً على منهاج كلام العرب فهو لفظ خاص يراد به ما هو أعم منه : الجواب الرابع أن  
يكون الاستثناء متصلاً على أن يتأول من فى السموات فى حق الله كما يتأول قوله ما منتم من فى السماء وحديث

فِي شَكِّ مَنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ . وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَاَبَاءُ وَاُنَا اَتْنَا لَمَحْرُجُونَ . لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا  
 نَحْنُ وَاَبَاءُ وَاُنَا مِنْ قَبْلُ اِنْ هَذَا اِلَّا اَسْطِيرُ الْاَوَّلِينَ . قُلْ سِيرُوا فِي الْاَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ  
 الْمُجْرِمِينَ . وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ . وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ .  
 قُلْ عَسَى اَنْ يَكُونَ رَدْفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ . وَاِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ  
 لَا يَشْكُرُونَ . وَاِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ . وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْاَرْضِ اِلَّا فِي  
 كِتَابٍ مُبِينٍ . اِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ نَبِيِّ اِسْرَائِيلَ اَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ . وَاِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةٌ  
 لِلْمُؤْمِنِينَ . اِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ . فَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللّٰهِ اِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ . اِنَّكَ  
 لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ اِذَا وَاَلَوْ اَمْدَبَّرِينَ . وَمَا اَنْتَ بِهَادِيَ الْعَمَىٰ عَنْ ضَلٰلَتِهِمْ اِنْ تَسْمَعُ  
 اِلَّا اَمَنْ يُوْمِنُ بِاٰيٰتِنَا فَهُمْ مُّسْلِمُونَ . وَاِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ اَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْاَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ اِنَّ النَّاسَ

الجارية وشبه ذلك (وما يشعرون أيان يبعثون) أي لا يشعرون من في السموات والأرض متى يبعثون ، لأن  
 علم الساعة مما انفرد به الله ، روى أن سبب نزول هذه الآية أن قريشا سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم  
 متى الساعة (بل اذارك عليهم في الآخرة) وزن اذارك تفاعل ثم سكنت التاء وأدغمت في الدال واجتلبت  
 ألف الوصل ، والمعنى تتابع علمهم بالآخرة وتناهى إلى أن يكفروا بها ، أو تناهى إلى أن لا يعلموا وقتها  
 وقرئ أدرك بهمزة قطع على وزن أفعل ، والمعنى على هذا يدرك علمهم في الآخرة أى يعلمون فيها الحق ،  
 لأنهم يشاهدون حينئذ الحقائق ، فقوله في الآخرة على هذا ظرف ، وعلى القراءة الأولى بمعنى الباء  
 (عمون) جمع عم ، وهو من عمى القلوب (ردف لكم) أى تبعكم ، واللام زائدة ، أو ضمن معنى قرب وتعدى  
 باللام ، ومعنى الآية أنهم استعجلوا العذاب بقولهم متى هذا الوعد ، فقيل لهم عسى أن يكون قرب لكم  
 بعض العذاب الذى تستعجلون وهو قتلهم يوم بدر (غائبة) الهاء فيه للبالغة : أى ما من شيء في غاية الخفاء  
 إلا وهو عند الله في كتاب (إنك لا تسمع الموتى) شبه من لا يسمع ولا يعقل بالموتى في أنهم لا يسمعون  
 وإن كانوا أحياء ، ثم شبههم بالصم وبالعمى وإن كانوا صحاح الحواس ، وأكدهم عدم سماعهم بقوله إذا ولوا  
 مدبرين ، لأن الأصم إذا أدبر وبعد عن الداعى زاد صممه وعدم سماعه بالكلية (وإذا وقع القول عليهم) أى  
 إذا حان وقت عذابهم الذى تضمنه القول الأزلى من الله في ذلك وهو قضاؤه ، والمعنى إذا قربت الساعة  
 أخرجنا لهم دابة من الأرض ، وخروج الدابة من أسراط الساعة ، وروى أنها تخرج من المسجد الحرام ،  
 وقيل من الصفا ، وأن طولها ستون ذراعا ، وقيل هى الجساسة التى وردت في الحديث (تكلمهم) قيل  
 تكلمهم يبطلان الأديان كلها إلا دين الإسلام ، وقيل تقول لهم ألا لعنة الله على الظالمين ، وروى أنها تسم  
 الكافر وتخطم أنفه وتسود وجهه وتبيض وجه المؤمن (إن الناس) من قرأ بكسر الهمزة فهو ابتداء كلام ،

كَانُوا بَيِّنَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ . وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بَيِّنَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ . حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ  
قَالَ أَكذَّبْتُمْ بَيِّنَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عَلِيمًا مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ .  
أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنَا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ  
فَنُزِعَ مِنَ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ . وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً  
وَهِيَ مَرْمَرٌ مِّنَ السَّحَابِ صَنَعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَخَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ . مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا  
وَهُمْ مِّنْ فَرْعٍ يَوْمْتَذَّامُونَ . وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يَجْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ .  
إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنَّ أَعْبَدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنَّ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَأَنْ أَتَلُوا  
الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَأَيُّهَا يَهْتَدَىٰ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ . وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِيكُمْ آيَاتِهِ  
فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ .

ومن قرأ بالفتح فهو مفعول تكلمهم : أى تقول لهم إن الناس كانوا بآتنا لا يوقنون ، أو مفعول من أجله تقديره  
تكلمهم ، لأن الناس لا يوقنون ثم حذفت اللام ، ويحتمل قوله لا يوقنون بخروج الدابة ، ولا يوقنون بالآخرة  
وأموال الدين ، وهذا أظهر (فهم يوزعون) أى يساقون بعنف (أما إذا كنتم تعملون) أم استفهامية ، والمعنى إقامة  
الحجة عليهم كأنه قيل لهم إن كان لكم عمل أو حجة فهاؤها (ووقع القول عليهم) أى حق العذاب عليهم  
أو قامت الحجة عليهم (فهم لا ينطقون) إنما يسكتون لأن الحجة قد قامت عليهم وهذا فى بعض مواطن  
القيامة ، وقد جاء أنهم يتكلمون فى مواطن (ليسكنوا فيه) ذكر فى يونس (ينفخ فى الصور) ذكر فى الكهف  
(إلا من شاء الله) قيل هم الشهداء ، وقيل جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل عليهم السلام (داخرين) صاغرین  
متذللين (تحسبها جامدة) أى قائمة ثابتة (وهى تمر) يكون مرورها فى أول أحوال يوم القيامة ، ثم ينسفها  
الله فى خلال ذلك فتكون كالعهن ثم تصير هباء منبثا (صنع الله) مصدر ، والعامل فيه محذوف ، وقيل هو  
منصوب على الإغراء : أى انظروا صنع الله (من جاء بالحسنة فله خير منها) قيل إن الحسنة لا إله إلا الله ،  
واللفظ أعم ، ومعنى خير منها أنه بالحسنة الواحدة عشر (من فزع يومئذ) من نون فزع فتح الميم من يومئذ  
ومن أسقط التنوين للإضافة قرأ بفتح الميم على البناء أو بكسرهما على الإعراب (ومن جاء بالسئنة) السئنة هنا  
الكفر والمعاصى التى قضى الله بتعذيب فاعلها (هذه البلدة) يعنى مكة (الذى حرّمها) أى جعلها حرما آمنا  
لا يقاتل فيها أحد ولا ينتهك حرمتها ، ونسب تحريمها هنا إلى الله لأنه بسبب قضائه وأمره ، ونسب النبى صلى  
الله تعالى عليه وآله وسلم إلى إبراهيم عليه السلام فى قوله إن إبراهيم حرم مكة . لأن إبراهيم هو الذى  
أعلم الناس بتحريمها ، فليس بين الحديث والآية تعارض وقد جاء فى حديث آخر أن مكة حرّمها الله يوم  
خلق السموات والأرض (ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين) أى إنما على الإنذار والتبليغ (سيرىكم

## سورة القصص

مكية إلا من آية ٥٢ إلى غاية آية ٥٥ فمدنية وآية ٨٥ فالجحفة أثناء الهجرة وآياتها ٨٨ نزلت بعد النمل  
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* طَسَمَ \* تَلَّكَ \* آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ \* تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ  
 بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ \* إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي  
 نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ \* وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ \*  
 وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ \* وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ  
 أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ \*  
 فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ \* وَقَالَتْ  
 أُمَّرَاتُ فِرْعَوْنَ قَرَّتْ عَيْنِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ \* وَأَصْبَحَ فُؤَادُ  
 أُمِّ مُوسَىٰ اقْرَءًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدَىٰ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ \* وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِيهِ

آياته) وعيد بالعذاب الذي يضطرهم إلى معرفة آيات الله إمامي الدنيا أو في الآخرة

## سورة القصص

(علا في الأرض) أي تكبر وطغنا (شيعا) أي فرقا مختلفين فجعل فرعون القبط ملوكا وبنى إسرائيل  
 خداما لهم ، وهم الطائفة الذين استضعفهم ، وأراد الله أن يمين عليهم ويجعلهم أئمة : أي ولاية في الأرض  
 أرض فرعون وقومه (هامان) هو وزير فرعون (وأوحينا إلى أم موسى) اختلف هل كان هذا الوحي بإلهام  
 أو منام أو كلام بواسطة الملك ، وهذا أظهر لثقتها بما أوحى إليها وامثالها ما أمرت به (فإذا خفت عليه)  
 أي إذا خفت عليه أن يذبحه فرعون لأنه كان يذبح أبناء بني إسرائيل لما أخبره الكهان أن هلاكه على يد  
 غلام منهم (فالتقطه آل فرعون) الالتقاط اللقاء من غير قصد ، روى أن آسية امرأة فرعون رأت التابوت  
 في البحر وهو النيل فأمرت أن يساق لها ففتحتته فوجدت فيه صبيا فأحبته ، وقالت لفرعون : هذا فترة عين لي  
 ولك (ليكون لهم عدوا) اللام لام العاقبة وتسمى أيضا لام الصيرورة (لا تقتلوه) روى أن فرعون هم بذبجه  
 إذ توسم أنه من بني إسرائيل ، فقالت امرأته لا تقتلوه (وهم لا يشعرون) أي لا يشعرون أن هلاكهم يكون  
 على يديه ، والضمير الفاعل لفرعون وقومه (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) أي ذاهلا لاعقل معها ، وقيل فارغا  
 من الصبر وقيل فارغا من كل شيء إلا من هم موسى ، وقيل فارغا من وعد الله : أي نسيت ما أوحى إليها ، وقيل فارغا من  
 الحزن إذ لم يعرفق وهذا بعيد لما بعده وقيل فارغا من كل شيء إلا من ذكر الله وقرئ فزعا بالزاي من الفزع (إن  
 كادت لتبدي به) أي تظهر أمره ، وفي الحديث كادت أم موسى أن تقول والبناء وتخرج صائحة على وجهها  
 (ربطنا على قلبها) أي رزقناها الصبر (لتكون من المؤمنين) أي من المصدقين بالوعد الذي وعدها الله (وقالت

فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۖ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ۖ فَرُدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَمَا تَقَرَّبَ إِلَيْهَا لِتُحْزِنَ وَلَا تُحْزَنَ لِنَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۖ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ۖ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۖ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۖ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَىٰ الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ اقْتَصِي عَلَيْهِ قَالِ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ۖ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۖ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ۖ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اُسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ

لأخته قصيه) أى اتبعيه ، والقص طلب الأثر ، فخرجت أخته تبحث عنه فى خفية (فبصرت به عن جنب) أى رآته من بعيد ولم تقرب منه لئلا يعلموا أنها أخته ، وقيل معنى عن جنب : عن شوق إليه ، وقيل معناه أنها نظرت إليه كأنها لا تريد (وهم لا يشعرون) أى لا يشعرون أنها أخته (وحرمنا عليه المراضع) أى منع منها بأن بغضها الله له ، والمراضع جمع مرضعة ، وهى المرأة التى ترضع ، أو جمع مرضع بفتح الميم والضاد : وهو موضع الرضاع يعنى الثدي (من قبل) أى من أول مرة (فقال هل أدلكم) القائلة أخته تخاطب آل فرعون (فرددناه إلى أمه) لما منعه الله من المراضع وقالت أخته هل أدلكم على أهل بيت الآية : جاءت بأمه فقبل ثديها ، فقال لها فرعون ومن أنت منه فما قبل ثدى امرأة إلا ثديك ؟ فقالت إني امرأة طيبة اللبن ، فذهبت به إلى بيتها وقزت عينها بذلك وعلمت أن وعد الله حق فى قوله إنا رادوه إليك (بالغ أشده) ذكر فى يوسف (واستوى) أى كمل عقله ، وذلك مع الأربعين سنة (ودخل المدينة) يعنى مصر وقيل قرية حو لها ، والأول أشهر (على حين غفلة) قيل فى القائلة وقيل بين العشامين ، وقيل يوم عيد ، وقيل كان قد جفا فرعون وخاف على نفسه فدخل محتفياً متخوفاً (هذا من شيعته) الذى من شيعته من بنى إسرائيل ، والذى من عدوه من القبط (فوكزه موسى) أى ضربه ، والوكز الدفع بأطراف الأصابع وقيل بجمع الكف (فقتضى عليه) أى قتله ، ولم يرد أن يقتله ولكن وافقت وكزته الأجل ، فندم وقال هذا من عمل الشيطان أى إن الغضب الذى أوجب ذلك كان من الشيطان ، ثم اعترف واستغفر فغفر الله له ، فإن قيل : كيف استغفر من القتل وكان المقتول كافراً ؟ فالجواب أنه لم يؤذن له فى قتله ولذلك يقول يوم القيامة إني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها (قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيراً للمجرمين) الظهير المعين ، والباء سببية ، والمعنى بسبب إنعامك على لا أكون ظهيراً للمجرمين ، فهى معاهدة عاهد موسى عليها به ، وقيل الباء باء القسم وهذا ضعيف لأن قوله فلن أكون لا يصلح لجواب القسم ، وقيل جواب القسم محذوف تقديره وحق نعمتك لا توبن فلن أكون ظهيراً للمجرمين ، وقيل الباء للتحليف : أى اعصمى بحق نعمتك على فلن أكون ظهيراً للمجرمين ويحتاج به - هذه الآية على المنع من صحبة ولاية الجور (يتربص) فى الموضوعين أى يستحس هل يطلبه أحد (يستصرخه) أى

إِنَّكَ لَعَوَى مَبِينٌ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمُوسَى أَتْرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الضَّالِّينَ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَمَا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدِينٍ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ وَمَا وَرَدَ مَاءَ مَدِينٍ وَجَدَ عَلَيْهِ أَمَةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدَرَ الرَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ

يستغيث به ، لقي موسى الإسرائيلي الذي قاتل القبطي بالأمس يقاتل رجلا آخر من القبط فاستغاث بموسى لينصره كما نصره بالأمس فعظم ذلك على موسى وقال له إنك لعوى مبين (فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لها) الضمير في أراد وفي يبطش لموسى ، وفي قال الإسرائيلي ، والمعنى لما أراد موسى أن يبطش بالقبطي الذي هو عدو له والإسرائيلي : ظن الإسرائيلي أنه يريد أن يبطش به إذ قال له إنك لعوى مبين ، فقال الإسرائيلي لموسى : أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس ، وقيل الضمير في أراد الإسرائيلي ، والمعنى فلما أراد الإسرائيلي أن يبطش موسى بالقبطي ولم يفعل موسى ذلك لندامته على قتله الآخر بالأمس فنصح الإسرائيلي ، فقال له أتريد أن تقتلني فاشتهر خبر قتله للآخر إلى أن وصل إلى فرعون (وجاء رجل) قيل إنه مؤمن آل فرعون ، وقيل غيره (يسعى) أى يسرع فى مشيه ليدرك موسى فينصحه (إن الملأ يأتمرون بك) يتشاورون وقيل يأمر بعضهم بعضاً بقتلك كما قتلت القبطي (ولما توجه تلقاء مدين) أى قصد بوجهه ناحية مدين وهى مدينة شعيب عليه السلام (قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل) أى وسط الطريق يعنى طريق مدين إذ كان قد خرج فازاً بنفسه ، وكان لا يعرف الطريق ، وبين مصر ومدين مسيرة ثمانية أيام وقيل أراد سبيل الهدى وهذا أظهر ، ويدل كلامه هذا على أنه كان عارفاً بالله قبل نبوته (ولما ورد ماء مدين) أى وصل إليه وكان برأ (يسقون) أى يسقون مواشيهم (امرأتين) روى أن اسمهما ليا وصفوريا ، وقيل صفيرا وصفرا (تذودان) أى تمنعان الناس عن غنمهما ، وقيل تذودان غنمهما عن الماء حتى يسقى الناس ، وهذا أظهر لقولهما لا نسقى حتى يصدر الرعاء : أى كانت عادتهما ألا يسقيا غنمهما إلا بعد الناس لقوة الناس واضعهما ، أو لكراهتهما التزاحم مع الناس (يصدر) بضم الياء وكسر الدال فعل متعدّد ، والمفعول محذوف تقديره حتى يصدر الرعاء مواشيهم ، وقرئ بفتح الياء وضم الدال أى ينصرفون عن الماء (وأبونا شيخ كبير) أى لا يستطيع أن يباشر سقى غنمه ، وهذا الشيخ هو شعيب عليه السلام فى قول الجمهور ، وقيل ابن أخيه ، وقيل رجل صالح ليس من شعيب بنسب (فسقى لها) أى أدركته شفقتة عليهما فسقى غنمهما ، وروى أنه كان على فم البئر صخرة لا يرفعها إلا ثلاثون رجلا فرفعها وحده (تولى إلى الظل) أى جلس فى الظل ، وروى أنه كان ظل سمرة (إنى لما أنزلت إلى من خير فقير) طلب من الله ما يأكله وكان قد

وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا بَتُّ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ  
 اسْتَجَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينَ \* قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتِي هَاتَيْنِ عَلِيٌّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِجٍ فَإِنْ  
 أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْسُقَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ \* قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي  
 وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَيَّ مَانِعٌ وَقِيلَ لَهُ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ  
 بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ  
 النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ \* فَلَمَّا آتَتْهَا نُودِيَ مِنَ شَاطِئِ الْأَوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوَسَىٰ  
 إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ \* وَأَنْتَ لَقِيَ عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهَيَّأَتْ كَأَنَّهُ جَانٌّ وَلِيٌّ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسَىٰ أَقْبَلَ

اشتد عليه الجوع ( فجاءته إحداهما ) قبل هذا كلام محذوف تقديره فذهبتا إلى أبيهما سريعتين ، وكانت  
 عادتهما الإبطاء في السقي فأخبرته بما كان من أمر سقي الرجل لهما فأمر إحداهما أن تدعوه له فجاءته ،  
 واختلف هل التي جاءته الصغرى أو الكبرى ( على استحياها ) روى أنها سترت وجهها بكم ذرعها  
 والمجورور يتعلق بما قبله وقيل بما بعده وهو ضعيف ( وقصص عليه القصص ) أي ذكر له قصته ( لا تخف )  
 أي قد نجوت من فرعون وقومه لأن بلد مدين لم يكن من ملك فرعون ( استأجره ) أي اجعله أجيرا لك ( إن  
 خير من استأجرت القوى الأمين ) هذا الكلام حكمة جامعة بليغة ، روى أن أباهما قال لهما من أين عرفت  
 قوته وأماتته ، قالت أماتوته ففي رفعه الحجر عن فم البئر : وأما أماتته فإنه لم ينظر إلى ( قال إنني أريد أن أنكحك  
 إحدى ابنتي ) زوجته التي دعت ، واختلف هل زوجته الكبرى أو الصغرى ، واسم التي زوجها صفور ، وقيل  
 صفوريا ، ومن لفظ شعيب حسن أن يقال في عقود الأنكحة : أنكحه إياها أكثر من أن يقال أنكحها إياه ( على  
 أن تأجرني ثمانى حبيج ) أي أزوجك بنتي على أن تأجرني ثمانية أعوام ، قال مكي : في هذه الآية خصائص في  
 النكاح ، منها أنه لم يعين الزوجة ، ولا حد أول الأمد ، وجعل المهر إجارة ، قلت فأما التعيين فيحتمل أن يكون  
 عند عقد النكاح بعد هذه المارودة ، وقد قال الزمخشري إن كلامه معه لم يكن عقد نكاح ، وإنما كان مواعدة وأما ذكر  
 أول الأمد ، فالظاهر أنه من حين العقد ، وأما النكاح بالإجارة فظاهر من الآية ، وقد قرره شرعنا حسبا  
 ورد في الحديث الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم للرجل قد زوجتكها على مامعك من القرآن : أي  
 على أن تعلمها ما عندك من القرآن ، وقد أجاز النكاح بالإجارة الشافعي وابن حنبل وابن حبيب للآية  
 والحديث ، ومنعه مالك ( فإن أتممت عشر آف من عندك ) جعل الأعوام الثمانية شرطا ، وكل العامين إلى مروة  
 موسى ، فوفى له العشر ، وقيل وفي العشرة وعشرا بعدها ، وهذا ضعيف لقوله ( فلما قضى موسى الأجل )  
 أي الأجل المذكور ( وسار بأهله ) الأهل هنا الزوجة مشى بها إلى مصر ( جذوة ) أي قطعة ، ويجوز كسر  
 الجيم وضمها ، وقد ذكر آنس ، والطور ، وتصطلون ( شاطئ الواد ) جانبه والأيمن صفة للشاطئ اليمين ،  
 ويحتمل أن يكون من اليمن فيكون صفة للوادي ( من الشجرة ) روى أنها كانت عوسجة ( جان ) ذكر في النمل

وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ \* أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ \* قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ \* وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ \* قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَجَعَلُ لَكَ سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكَ بِآيٰتِنَا إِنَّتَا وَمَنْ اتَّبَعَكَ الْغٰلِبُونَ \* فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيٰتِنَا بَيِّنٰتٍ قَالُوا مَا هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرٍ وَمَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي ءَابَآئِنَا الْاَوَّلِينَ \* وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي اَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُوْنُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ اِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ \* وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا اَيُّهَا الْمَلَا مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ اِلٰهٍ غَيْرِي فَاَوْقَدْ لِي يَهْمٰنٍ عَلٰى الطَّيْنِ فَاَجْعَلْ لِي صِرْحًا لَعَلِّي اَطَّلِعُ اِلَى الْاِلٰهِ مُوسَىٰ وَاِنِّي لَآظِنُهٗ مِنَ الْكٰذِبِيْنَ \* وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُوْدُهٗ فِى الْاَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُوْا اَنَّهُمْ اِلٰنَا لَا يَرْجِعُوْنَ \* فَاَخَذْنَاهُ وَجُنُوْدَهٗ فَنَسَبْنٰهُمْ فِى السِّمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِيْنَ \* وَجَعَلْنٰهُمْ اُمَّةً يَدْعُوْنَ اِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ لَا يَنْصُرُوْنَ \* وَاتَّبَعْنٰهُمْ فِى هٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوْحِيْنَ \* وَلَقَدْ اٰتَيْنَا مُوسَى الْكِتٰبَ مِنْ بَعْدِ مَا اَهْلَكْنَا الْقُرُوْنَ الْاُولٰى بِصَآئِرٍ لِّلنَّاسِ وَهٰدٰى

(اسلك يدك في جيبك) أى أدخلها فيه ، والجيب هو فتح الجبة من حيث يخرج الإنسان رأسه (واضمم إليك جناحك) الجناح اليد أو الإبط أو العضد أمره الله لما خاف من الحية أن يضمه إلى جنبه ليخف بذلك خوفه فإن من شأن الإنسان إذا فعل ذلك في وقت فزعه أن يخف خوفه ، وقيل ذلك على وجه المجاز ، والمعنى أنه أمر بالعمز على ما أمر به : كقوله اشدد حيازتك واربط جأشك (من الرهب) أى من أجل الرهب ، وهو الخوف ، وفيه ثلاثة لغات فتح الرام والهاء ، وفتح الراء وإسكان الهاء ، وضم الراء وإسكان الهاء (فذانك برهانان) أى حجتان والإشارة إلى العصا واليد (إلى فرعون) يتعلق بفعل محذوف يقتضيه الكلام (ردءاً) أى معينا ، وقرئ بالهمز وبغير همز على التسهيل من المهموز أو يكون من أردت أى زدت (سنشد عضدك بأخيك) استعارة في المعونة (بآياتنا) يحتمل أن يتعلق بقوله نجعل أو يصلون أو بالغالبون (فاوقد لي يهمان على الطين) أى اصنع الآجر لبنيان الصرح الذى رام أن يصعد منه إلى السماء ، وروى أنه أول من عمل الآجر ، وكان هامان وزير فرعون وانظر ضعف عقولهما وعقول قومهما وجهلهم بالله تعالى في كونهم طمعوا أن يصلوا إلى السماء ببنيان الصرح ، وقد روى أنه عمله وصعد عليه ورمى بسهم إلى السماء فرجع مخضوبا بدم وذلك فتنة له ولقومه وتهكم بهم ، ثم قال (وإني لأظنه من الكاذبين) يعنى في دعوى الرسالة والظن هنا يحتمل أن يكون على بابه ، أو بمعنى اليقين (أمة يدعون إلى النار) أى كانوا يدعون الناس إلى الكفر الموجب للنار (من المقبوحين) أى من المطرودين المبعدين ، وقيل قبحت وجوههم ، وقيل

وَرَحْمَةً لِّعَلَّهِمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۝  
 وَالْكَفَّاءُ أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا  
 مُرْسِلِينَ ۝ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحِمَةً مِّن رَّبِّكَ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ  
 لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ لَفِيقُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ  
 ءَايَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْ لَمَّا  
 يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَيْفُورٍ ۝ قُلْ فَأْتُوا بِكُتُبٍ مِّن  
 عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ ءَهْوَاهُمْ وَمَنْ

قبح ما يفعل بهم وما يقال لهم (وما كنت بجانب الغربي) خطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والمراد به إقامة حجة لإخباره بحال موسى وهو لم يحضره والغربي المكان الذي في غربي الطور ، وهو المكان الذي كلم الله فيه موسى والأمر المقضى إلى موسى هو النبوة ومن الشاهدين معناه من الحاضرين هنالك (ولكننا أنشأنا قرونًا فتطاول عليهم العمر) المعنى لم تحضريا محمد للاطلاع على هذه الغيوب التي تخبر بها ، ولكنها صارت إليك بوحيها فكان الواجب على الناس المسارعة إلى الإيمان بك ، ولكن تطاول الأمر على القرون التي أنشأناها فغابت عقولهم واستحكمت جهالتهم فكفروا بك ، وقيل المعنى لكننا أنشأنا قرونًا بعد زمان موسى فتطاول عليهم العمر وطالت الفترة فأرسلناك على فترة من الرسل (ثاويًا) أي مقيما (إذ نادينا) يعني تكليم موسى ، والمراد بذلك إقامة حجة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لإخباره بهذه الأمور مع أنه لم يكن حاضرا حينئذ (ولكن رحمة) اتصب على المصدر ، أو على أنه مفعول من أجله والتقدير : ولكن أرسلناك رحمة منا لك ورحمة للخلق بك (ولولا أن تصيبهم مصيبة) لو هنا حرف امتناع ولولا الثانية عرض وتحضيض ، والمعنى لولا أن تصيبهم مصيبة بكفرهم لم نرسل الرسل ، وإنما أرسلناهم على وجه الإعذار وإقامة الحجة عليهم ، لتلايقولوا : ربنا لولا أرسلناك إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين (فلما جاءهم الحق) يعني القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى) يعنون إنزال الكتاب عليه من السماء جملة واحدة ، وقلب العصا حية وفاق البحر وشبه ذلك (أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل) هذا رد عليهم فيما طلبوه ، والمعنى أنهم كفروا بما أوتى موسى فلو آتينا محمدا مثل ذلك لكفروا به ، ومن قبل على هذا يتعلق بقوله أوتى موسى ، ويحتمل أن يتعلق بقوله أولم يكفروا ، إن كانت الآية في نبي إسرائيل ، والأول أحسن (قالوا ساحران تظاهرا) يعنون موسى وهارون ، أو موسى ومحمدا صلى الله عليه وسلم والضمير في أولم يكفروا وفي قالوا الكفار قريش وقيل لا بائهم ، وقيل لليهود والأول أظهر وأصح لأنهم المقصودون بالرد عليهم (فأتوا بكتاب) أمر على وجه التعجيز لهم (أهدى منهما) الضمير يعود على كتاب موسى وكتاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (فإن لم يستجيبوا لك) قد علم أنهم لا يستجيبون للإتيان بكتاب هو أهدى منهما أبدا ، ولكنه ذكره بحرف إن مبالغة في إقامة الحجة عليهم :

أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بغير هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ  
يَتَذَكَّرُونَ ۝ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن  
رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ۝ أُولَٰئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا  
رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي  
الْجَاهِلِينَ ۝ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۝ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝ وَقَالُوا إِن نَّبَعِ  
الْهُدَىٰ مَعَكَ نَتَّخِطُّفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمَسِّكْ لَهُمْ حَرَمًا ؕ آمَنَّا بِحُجَّتِكَ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رَّزَقًا مِّن لَّدُنَّا

كقوله : فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا ، فاعلم أنما يتبعون أهواهم : المعنى إن لم يأتوا بكتاب فاعلم أن كفرهم عناد واتباع  
أهوائهم لاجبحة وبرهان (ولقد وصلناهم القول) الضمير لكفار قريش ، وقيل لليهود والاول أظهر ؛ لأن الكلام  
من أوله معهم ، والقول هنا القرآن ، ووصلناهم : أبلغناهم ، أو جعلناه موصلا بعضه ببعض (الذين آتيناهم  
الكتاب من قبله) يعنى من أسلم من اليهود ، وقيل النجاشى وقومه ، وقيل نصارى نجران الذين قدموا على رسول الله  
صلى الله عليه وآله وسلم بمكة وهم عشرون رجلا فأمنوا به ، والضمير في قبله للقرآن ، وقولهم إنه الحق :  
تعليلا لإيمانهم ، وقولهم إنا كنا من قبله مسلمين : بيان لأن إسلامهم قديم لأنهم وجدوا ذكر سيدنا محمد  
صلى الله عليه وسلم في كتبهم قبل أن يبعث (أولئك يؤتون أجرهم مرتين) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب ثم آمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ورجل يملك  
أدى حق الله وحق مواليه ، ورجل كانت له أمة فأعتقها وتزوجها (بما صبروا) يعنى صبرهم على إذابة قومهم  
لهم لما أسلبوا أو غير ذلك من أنواع الصبر (ويدرءون بالحسنة السيئة) أى يدفعون ، ويحتمل أن يريد  
بالسيئة ما يقال لهم من الكلام القبيح ، وبالحسنة ما يجابون به من الكلام الحسن ، أو يريد سيئات أعمالهم  
وحسناتها كقوله إن الحسنات يذهبن السيئات (وإذا سمعوا اللغو) يعنى ساقط الكلام (لنا أعمالنا ولكم  
أعمالكم) هذا على وجه التبرى والبعد من القائلين للغو (سلام عليكم) معناه هنا المتاركة والمباعدة لا التحية  
أو كأنه سلام الانصراف والبعد (لا نبتغي الجاهلين) أى لا نطلبهم للجدال والمراجعة في الكلام (إنك لا تهدي  
من أحببت) نزلت في أبى طالب إذ دعاه النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول عند موته لا إله إلا الله فقال  
لولا أن يعايرنى بها قريش لأقررت بها عينك ومات على الكفر ، ولفظ الآية مع ذلك على عمومته (ولكن  
الله يهدي من يشاء) لفظ عام ، وقيل أراد به العباس بن عبد المطلب (وقالوا إن تتبع الهدى معك تتخطف  
من أرضنا) القائلون لذلك قريش ، وروى أن الذى قالها منهم الحارث بن عامر بن نوفل ، والهدى هو  
الإسلام ، ومعناه الهدى على زعمك ، وقيل إنهم قالوا قد علمنا أن الذى تقول حق ، ولكن إن اتبعناك  
تخطفتنا العرب : أى أهلكونا بالقتال لخالفه دينهم (أو لم نمسك لهم حرما آمنا) هذا رد عليهم فيما اعتذروا  
به من تخطف الناس لهم ، والمعنى أن الحرم لا تعرض له العرب بقتال ولا يمكن الله أحدا من إهلاك أهله  
فقد كانت العرب يغير بعضهم على بعض ، وأهل الحرم آمنون من ذلك (يجي إليه ثمرات كل شيء) أى

وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ • وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسْكَنُهُمْ لَمَّا تَسْكَنُ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ • وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رُسُلًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ • وَمَا أَوْتَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَسَّعِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ \* أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدَا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ • وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ • قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ • وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَمَدَعُوهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ • وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ

تجلب إليه الأرزاق مع أنه واد غير ذى زرع ( بطرت معيشتها ) معنى بطرت طغت وسفحت ، ومعيشتها : نصب على التفسير مثل سفه نفسه ، أو على إسقاط حرف الجز تقديره بطرت في معيشتها أو يتضمن معنى بطرت كفرت (إلا قليلا) يعنى قليلا من السكى ، أو قليلا من الساكنين : أى لم يسكنها بعد إسلامها كها إلا ما زاد على الطريق ساعة ( وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمهات رسولاً ) أم القرى مكة لأنها أول ما خلق الله من الأرض ، ولأن فيها بيت الله ، والمعنى أن الله أقام الحججة على أهل القرى بأن بعث سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم في أم القرى ، فإن كفروا أهلكتهم بظلمهم بعد البيان لهم وإقامة الحججة عليهم ( وما أوتيتم من شيء ) الآية : تحقير للدنيا وتزهيد فيها وترغيب في الآخرة ( أفمن وعدناه ) الآية : إيضاح لما قبلها من البون بين الدنيا والآخرة ، والمراد بمن وعدناه المؤمنين ، وبمن متعناه الكافرين ، وقيل سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وأبو جهل ، وقيل حمزة وأبو جهل ، والعموم أحسن لفظاً ، ومعنى من المحضرين أى من المحضرين في العذاب ( ويوم يناديهم ) العامل في الظرف مضمرة وفاعل ينادى الله تعالى ، ويحتمل أن يكون نداؤه بواسطة أو بغير واسطة ، والمفعول به المشركون ( أين شركائى ) توبيخ للمشركين ونسبهم إلى نفسه على زعمهم ، ولذلك قال الذين كنتم تزعمون ، فحذف المفعول وتقديره تزعمون أنهم شركاء لى أو تزعمون أنهم شفعاء لكم ( قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا ) معنى حق عليهم القول وجب عليهم العذاب ، والمراد بذلك رؤساء المشركين وكبرائهم ، والإشارة بقولهم هؤلاء الذين أغوينا : إلى أتباعهم من الضعفاء ، فإن قيل : كيف الجمع بين قولهم أغوينا وبين قولهم تبرأنا إليك ، فإنهم اعترفوا بأغوائهم ، وتبرؤا مع ذلك منهم ؟ فالجواب أن إغوائهم لهم هو أمرهم لهم بالشرك ، والمعنى أنا حملناهم على الشرك كما حملنا أنفسنا عليه ولكن لم يكونوا يعبدوننا إنما كانوا يعبدون غيرنا من الأصنام وغيرها ففترأنا إليك من عبادتهم لنا ، فتحصل من كلام هؤلاء الرؤساء أنهم اعترفوا أنهم أغووا الضعفاء وتبرؤا من أن يكونوا هم آلهتهم فلا تناقض في الكلام ، وقد قيل في معنى الآية غير هذا ما هو تكلف بعيد ( لو أنهم كانوا يهتدون ) فيه أربعة أوجه : الأول أن المعنى لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا لم يعبدوا الأصنام ، والثانى لو أنهم كانوا يهتدون لم يعذبوا

مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ۖ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ ۖ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ۚ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا  
فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ۚ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۖ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا  
يُشْرِكُونَ ۚ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تَكْتُمُ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ  
وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۚ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ  
بِضْيَاءٍ أَمْ لَا تَسْمَعُونَ ۚ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ  
يَأْتِيكُمْ بِاللَّيْلِ تَسْكُونُونَ فِيهِ أَمْ لَا تُبْصِرُونَ ۚ وَمَنْ رَحِمْتَهُ جَعَلْ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ  
فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۚ وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ۚ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ  
شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۚ إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ

والثالث لو أنهم كانوا يهتدون في الآخرة لحيلة يدفعون بها العذاب لفعلوا فلو على هذه الأقوال حرف  
امتناع وجوابها محذوف ، والرابع أن يكون لو للتمنى : أى تمنوا لو كانوا مهتدين (ماذا أجبتهم المرسلين) أى  
أهل صدقتهم المرسلين أو كذبتموهم (فعميت عليهم الأنباء يومئذ) عميت عبارة عن حيرتهم ، والأنباء الأخبار  
أى أظلمت عليهم الأمور فلم يعرفوا ما يقولون (فهم لا يتساءلون) أى لا يسأل بعضهم بعضاً عن الأنباء لأنهم  
قد تساووا في الخيرة والعجز عن الجواب (وربك يخلق ما يشاء ويختار) قيل سببها استغراب قريش لاختصاص  
سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة ، فالمعنى أن الله يخلق ما يشاء ، ويختار لرسالته من يشاء من عباده ،  
ولفظها أعم من ذلك ، والأحسن حملها على عمومها : أى يختار ما يشاء من الأمور على الإطلاق ، ويفعل ما يريد (ما كان  
لهم الخيرة) مانافية ، والمعنى ما كان للعباد اختيار إنما الاختيار والإرادة لله وحده . فالوقف على قوله ويختار ،  
وقيل إن مامفعولة يختار ، ومعنى الخيرة على هذا الخير والمصلحة ، وهذا يجرى على قول المعتزلة ، وذلك  
ضعيف لرفع الخيرة على أنها اسم كان ، ولو كانت مامفعولة : لكان اسم كان مضمرا يعود على ما ؛ وكانت  
الخيرة منصوبة على أنها خبر كان ، وقد اعتذر عن هذا من قال إن مامفعولة بأن يقال تقدير الكلام يختار  
ما كان لهم الخيرة فيه ، ثم حذف الجار والمجرور وهذا ضعيف ، وقال ابن عطية يتجه أن تكون مامفعولة  
إذا قدرنا كان تامة ، ويوقف على قوله ما كان : أى يختار كل كائن ، ويكون لهم الخيرة جملة مستأنفة ، وهذا  
بعيد جدا (يعلم ماتكتن صدورهم) أى ماتخفيه قلوبهم وعبر عن القلب بالصدر ، لأنه يحتوى عليه (له الحمد  
في الأولى والآخرة) قيل إن الحمد في الآخرة قولهم الحمد لله الذى صدقنا وعده أو قولهم الحمد لله الذى  
أذهب عنا الحزن ، وفى ذكر الأولى مع الآخرة مطابقة (سرمدا) أى دائما ، والمراد بالآيات لإثبات الوجدانية  
وإبطال الشرك ، فإن قيل كيف قال يأتىكم بضياء ، وهلا قال يأتىكم بنهار فى مقابلة قوله يأتىكم بليل ؟ فالجواب  
أنه ذكر الضياء جملة ما فيه من المنافع والعبر (لتسكنوا فيه) أى فى الليل (ولتبتغوا من فضله) أى فى النهار ،  
فى الآية لف ونشر (ونزعنا من كل أمة شهيدا) أى أخرجنا من كل أمة شهيدا ~~لهم~~ عليهم أعمالهم

فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ \* وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ \* قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا وَلَا يَسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ الْمُجْرِمُونَ \*

وهو نبهم ، لأن كل نبي يشهد على أمته (هاتوا برهانكم) أى هاتوا حججتكم على ما كنتم عليه من الكفر ، وذلك إعدار لهم وتوبيخ وتعجيز (إن قارون كان من قوم موسى) أى من بنى إسرائيل ، وكان ابن عم موسى وقيل ابن عمته ، وقيل ابن خالته (فبغى عليهم) أى تكبر وطغى ومن ذلك كفره بموسى عليه السلام (وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة) المفاتح هى التى يفتح بها ، وقيل هى الخزائن ، والأول أظهر ، والعصبة جماعة الرجال من العشرة إلى الأربعين ، وتنوء معناه تنقل ، يقال نأه به الحمل : إذا أثقله ، وقيل معنى تنوء تنهض بتحمل وتكاف والوجه على هذا أن يقال إن العصبة تنوء بالمفاتح لكنته قلب كما جاء قلب الكلام عن العرب كثيرا ، ولا يحتاج إلى قلب على القول الأول (لا تفرح) الفرح هنا هو الذى يقود إلى الإعجاب والطغيان ، ولذلك قال إن الله لا يحب الفرحين ، وقيل السرور بالدنيا ، لأنه لا يفرح بها إلا من غفل عن الآخرة ويدل على هذا قوله ولا تفرحوا بما آتاكم (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) أى اقصد الآخرة بما أعطاك الله من المال ، وذلك بفعل الحسنات والصدقات (ولا تنس نصيبك من الدنيا) أى لا تضع حظك من دنياك وتمتع بها مع عمالك الآخرة ، وقيل معناه لا تضع عمرك بترك الأعمال الصالحات ، فإن حظ الإنسان من الدنيا إنما هو بما يعمل فيها من الخير ، فالكلام على هذا وعظ ، وعلى الأول إباحة للتمتع بالدنيا لتلايف عن قبول الموعدة (وأحسن كما أحسن الله إليك) أى أحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك بالغنى قال إنما أُوتيته على علم عندى) لما وعظه قومه أجابهم بهذا على وجه الرد عليهم والروغان عما ألزموه من الموعدة ، والمعنى أن هذا المال إنما أعطاه الله بالاستحقاق له بسبب علم عندى استوجبته به واختلف فى هذا العلم فقيل إنه علم الكيمياء ، وقيل التجارب للأموور والمعرفة بالمكاسب ، وقيل حفظه التوراة ، وهذا بعيد ، لأنه كان كافرا ، قيل المعنى إنما أُوتيته على علم من الله وتخصيص خصنى به ، ثم جعل قوله عندى كما تقول فى ظنى واعتقادى (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون) هذاردة عليه فى اغتراره بالدنيا وكثرة جمعه للمال أو جمعه للخدم ، والأول أظهر (ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) فى معناه قولان : أحدهما أنه متصل بما قبله ، والضمير فى ذنوبهم يعود على القرون المتقدمة والمجرمون من بعدهم أى لا يسأل المجرمون عن ذنوب من تقدمهم من الأمم الهالكه لأن كل أحد إنما يسأل عن ذنوبه خاصة ، والثانى أنه إخبار عن حال المجرمين فى الآخرة ؛ وأنهم لا يسألون عن ذنوبهم لكونهم يدخلون النار من غير حساب ، والصحيح أنهم يحاسبون على ذنوبهم ويسألون عنها لقوله فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ، وأن هذا السؤال المنفى السؤال على وجه الاختيار وطلب التعريف ، لأنه لا يحتاج إلى سؤالهم على هذا الوجه لكن يسألون على وجه التوبيخ ، وحيثما ورد فى القرآن إثبات السؤال فى الآخرة ، فهو على معنى المحاسبة والتوبيخ ، وحيثما ورد نفيه فهو على وجه

فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يلبت لنا مثل ما أوتى قرون إنه لذو حظ عظيم  
وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقها إلا الصابرون \* نخسفنا  
به وبداره الأرض فما كان له من فته ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين \* وأصبح الذين تمنوا  
مكانه بالأمس يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لحسف  
بنا ويكانه لا يفلح الكفرون \* تلك الدار الآخرة جعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا  
والعقبة للبتقين \* من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزي الذين عملوا السيئات إلا  
ما كانوا يعملون \* إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد قل ربى أعلم من جاء بالهدى ومن هو  
في ضلل مبين \* وما كنت ترجوا أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين  
ولا يصدنك عن آيت الله بعد إذ أنزلت إليك وأدع إلى ربك ولا تكونن من المشركين ولا تدع

الاستخبار والتعريف ، ومنه قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان (فخرج على قومه في زينته) في  
ثياب حر ، وقيل في عبيده وحاشيته ، واللفظ أعم من ذلك (ويلكم) زجر للذين تمنوا مثل حال قارون (ولا  
يلقها إلا الصابرون) الضمير عائذ على الحاصل التي دل عليها الكلام المتقدم ، وهي الإيمان والعمل الصالح ، وقيل  
على الكلمة التي قالها الذين أوتوا العلم : أى لا تصدر الكلمة إلا عن الصابرين ، والصابر هنا إمساك النفس عن الدنيا  
وزينتها (نخسفنا به وبداره الأرض) روى أن قارون لما بغى على بنى إسرائيل وآذى موسى دعا موسى عليه السلام  
عليه فأوحى الله إليه أن قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه وفي أتباعه ، فقال موسى : يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى  
الركب فاستغاثوا بموسى فقال يا أرض خذيهم حتى تم بهم الحسف (مكانه) أى منزلته في المال والعزة (بالأمس)  
يحتمل أن يريد به اليوم الذى كان قبل ذلك اليوم أو ما تقدم من الزمان القريب (ويكان) مذهب سيديويه أن وى  
حرف تنبيه ، ثم ذكرت بعدها كأن ، والمعنى على هذا أنهم تنهبوا الحطيم في قولهم ياليت لنا مثل ما أوتى قارون ، ثم  
قالوا كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر : أى ما أشبه الحال بهذا ، وقال الكوفيون ويك هو ويك حذف  
منها اللام لكثرة الاستعمال ، ثم ذكرت بعدها أن ، والمعنى ألم يعلموا أن الله وقيل ويكان كلمة واحدة معناها  
ألم تعلم (علوا في الأرض) أى تكبرا وطغيانا لارفعة المنزلة ، فإن إرادتها جائزة (فرض عليك القرآن) أى  
أنزله عليك وأثبتته ، وقيل المعنى أعطاك القرآن ، والمعنى متقارب ، وقيل فرض عليك أحكام القرآن ، فهى  
على حذف مضاف (لرأذك إلى معاد) المعاد الموضع الذى يعاد إليه ، فقيل يعنى مكة ، والآية نزلت حين الهجرة ،  
ففيها وعد بالرجوع إلى مكة وفتحها ، وقيل يعنى الآخرة فعناها إعلام بالحشر ، وقيل يعنى الجنة (وما كنت ترجو  
أن يلقى إليك الكتاب) أى ما كنت تطمع أن تنال النبوة ، ولا أن ينزل عليك الكتاب ولكن الله رحمك بذلك  
ورحم الناس بنبوتك ، والاستثناء بمعنى لكن فهو منقطع . ويحتمل أن يكون متصلا . والمعنى ما أنزل عليك الكتاب  
إلا رحمة من ربك لك ورحمة للناس ، ورحمة على هذا مفعول من أجله أو حال ، وعلى الأول منصوب على

مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لِإِلَهِ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

## سورة العنكبوت

مكية إلا من آية ١ إلى غاية ١١ فصدية وآياتها ٦٩ نزلت بعد الروم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ۝ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا

الاستثناء (وادع إلى ربك) يحتمل أن يكون من الدعاء بمعنى الرغبة ، أو من دعوة الناس إلى الإيمان بالله ، فالمفعول محذوف على هذا تقديره ادع الناس (ولا تدع) أى لا تعبد (مع الله إلها آخر لاله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه) الآية . أى إلا إياه والوجه هنا عبارة عن الذات

## سورة العنكبوت

(الم) ذكر في البقرة (أحسب الناس أن يتركوا) نزلت في قوم من المؤمنين كانوا بمكة مستضعفين منهم عمار بن ياسر وغيره ، وكان كفار قريش يؤذونهم وبعذبونهم على الإسلام فضاقت صدورهم بذلك فأنسهم الله بهذه الآية ووعظهم وأخبرهم أن ذلك اختيار ليوطنوا أنفسهم على الصبر على الأذى والثبوت على الإيمان فأعلمهم الله تعالى أن تلك سيرته في عباده يساط الكفار على المؤمنين ليحصمهم بذلك ، ويظهر الصادق في إيمانه من الكاذب ، ولنظها مع ذلك عام ، فحكما على العموم في كل من أصابته فتنة من مصيبة أو مضرة في النفس والمال وغير ذلك ، ومعنى حسب ظن ، وأن يتركوا مفعولها ، والهمزة للإنكار وهم لا يفتنون في موضع الحال من الضمير في يتركوا تقديره غير مفتونين ، وأن يقولوا : تعليل في موضع المفعول من أجله ( فليعلمن الله الذين صدقوا ) أى يعلم صدقهم علما ظاهرا في الوجود ، وقد كان عليه في الأزل والصدق والكذب في الآية يعنى بهما صحة الإيمان والثبوت عليه ، أو ضد ذلك ( أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ) أم معادلة لقوله أحسب الناس ، والمراد بالذين يعملون السيئات الكفار الذين يعذبون المؤمنين ، ولفظها مع ذلك عام في كل كافر أو عاص ، ومعنى يسبقونا يفوتون من عقابنا ويعجزوننا ، فعنى الكلام نفى سبقهم كما أن معنى الآية قبلها نفى ترك المؤمنين بغير فتنة (من كان يرجو لقاء الله) الآية : تسلية للمؤمنين ، ووعدهم بالخير في الدار الآخرة ، والرجاء هنا على بابه ، وقيل هو بمعنى الخوف ، وأجل الله هو الموت ، ومعنى الآية من كان يرجو ثواب الله فليصبر في الدنيا على المجاهدة في طاعة الله حتى يلقى الله فيجازيه فإن لقاء الله قريب الإتيان وكل ما هو آت قريب (ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه) أى منفعة جهاده فإنما هي لنفسه ، فإن الله لا تنفعه طاعة العباد ، والجهاد هنا يحتمل أن يراد به القتال ، أو جهاد

تُطْعَمًا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَنْبِئِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ۝  
 وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ  
 لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ۗ وَلَيَعْلَنَ اللَّهُ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَنَ الْمُنَافِقِينَ ۗ  
 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ  
 لَكَاذِبُونَ ۗ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْفَالًا مَعَهُمْ ۗ وَلَيْسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتُرُونَ ۗ \* وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا  
 حَا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ۗ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ  
 وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ \* وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ \*  
 إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا

النفس (حسنا) منصوب بفعل مضمرة تقديره ووصينا الإنسان أن يفعل بوالديه حسنا ، أوه صدرا من معنى  
 وصينا أى وصية حسنة (وإن جاهداك لتشرك بى) الآية نزلت فى سعد بن أبى وقاص ، وأنه لما أسلم حلفت  
 أمه أن لا تستظل بظل حتى يكفر ، وقيل نزلت فى غيره ممن جرى له مثل ذلك فأمرهم الله بالثبات على الإسلام  
 وألا يطيعوا الوالدين إذا أمرهم بالكفر ، وعبر عن أمر الوالدين بالجهاد مبالغة (ومن الناس من يقول  
 آمنا بالله) نزلت فى قوم كانوا مؤمنين بألسنتهم ، فإذا عذبهم الكفار رجعوا عن الإيمان ، فإذا نصر الله  
 المؤمنين قالوا ! إنا كنا معكم ، فعنى أودى فى الله أودى بسبب إيمانه بالله ، وفتنة الناس ، تعذيبهم وقيل نزلت  
 فى عياش بن أبى ربيعة أختى أبى جهل لأمه (اتبعوا سبيلنا) أى قال الكفار للمؤمنين اكفروا كما كفرنا  
 ونحمل نحن عنكم الإثم والعقاب إن كان ، وروى أن قائل هذه المقالة الوليد بن المغيرة حكاه المهدوى ، وقولهم  
 ولنحمل خطاياكم : جزاء قولهم اتبعوا سبيلنا ، ولكنهم ذكروه على وجه الأمر للمبالغة ولما كان معنى الخبر  
 صحة تكذيبهم فيه أخبره الله أنهم كاذبون : أى لا يحملون أوزار هؤلاء ، بل يحملون أوزار أنفسهم وأوزار  
 أتباعهم من الكفار (فلبث فىهم ألف سنة إلا خمسين عاما) الظاهر أنه لبث هذه المدة بعد بعثه ، ويحتمل أن يكون  
 ذلك من أول ولادته ، وروى أنه بعث وهو ابن أربعين سنة ، وأنه عمر بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة  
 فإن قيل : لم قال ألف سنة ، ثم قال إلا خمسين عاما ، فاختلف اللفظ مع اتفاق المعنى ؟ فالجواب أن ذلك كراهة  
 لتكرار لفظ السنة ، فإن التكرار مكروه إلا إذا قصد به تفخيم أو تهويل (وجعلناها آية) يحتمل أن يعود  
 الضمير على السفينة ، أو على النجاة ، أو على القصة ، بكاملها (وتخلقون إفكاً) هو من الخلقة يريد به نحت  
 الأصنام فسماه خلقة على وجه التجوز ، وقيل هو من اختلاق الكذب (لا يملكون لكم رزقا) الآية :  
 احتجاج على الوحدانية ونفى الشركاء ، فإن قيل : لم نكر الرزق أولا ، ثم عرفه فى قوله فاتبعوا عند الله الرزق ؟  
 فالجواب : أنه نكره فى قوله لا يملكون لكم رزقا لقصد العموم فى النفى فإن النكرة فى سياق النفى تقتضى  
 العموم ثم عرفه بعد ذلك لقصد العموم فى طلب الرزق كله من الله ، لأنه لا يقتضى العموم ، فى سياق

فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ \* وَإِن تَكْذَبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ  
وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ \* أَو لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ \*  
قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \*  
يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ \* وَمَا أُنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا  
لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ \* وَالَّذِينَ كَفَرُوا بآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي  
وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي  
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ \* وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ \* فَمَا مَن لَّهُ لُوطٌ  
وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ \* وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ

الإثبات لإامع التعريف فكأنه قال ابتغوا الرزق كله عند الله (وإن يكذبوك) الآية يحتمل أن تكون من كلام إبراهيم أو من كلام الله تعالى ، ويحتمل مع ذلك أن يراد به وعيد الكفار وتهديدهم ، أو يراد به تسليية النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن تكذيب قومه له بالتأسي بغيره من الأنبياء الذين كذبهم قومه (أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق) يقال بدأ الله الخلق وأبداه بمعنى واحد ، وقد جاءت اللغتان في هذه السورة ، والمعنى أو لم ير الكفار أن الله خالق الخلق فيستدلون بالخالقة الأولى على الإعادة في الحشر ، فقوله ثم يعيده ليس بمعطوف على يبدأ ، لأن المعنى فيهما مختلف لأن رؤية البداية بالمشاهدة ، بخلاف الإعادة فإنها تعلم بالنظر والاستدلال ، وإنما هو معطوف على الجملة كلها وقد قيل إنه يريد إعادة النبات ، وإبدائه ، وعلى هذا يكون ثم يعيده عطفاً على يبدئ لاتفاق المعنى ، والأول أحسن وأليق بمقاصد الكلام (إن ذلك على الله يسير) بمعنى إعادة الخلق وهي حشرهم ثم أمرهم بالسير في الأرض ليروا مخلوقات الله فيستدلوا بها على قدرته على حشرهم ، ولذلك ختمها بقوله إن الله على كل شيء قدير (وإليه تقلابون) أي ترجعون (وما أتم بمعجزين) أي لا تفوتون من عذاب الله وليس لكم مهرب في الأرض ولا في السماء (أولئك يئسوا من رحمتي) يحتمل أن يكون بأسهم في الآخرة ، أو يكون وصف لحالم في الدنيا ، لأن الكافرين يئسوا من رحمة الله ، والمؤمن راج خائف ، وهذا الكلام من قوله : أولم يروا ، إلى هنا : يحتمل أن يكون خطاباً لمحمد صلى الله عليه وسلم معترضاً بين قصة إبراهيم ، ويحتمل أن يكون خطاباً لإبراهيم وبعد ذلك ذكر جواب قومه له (مودة بينكم) نصب مودة على أنها مفعول من أجله أو مفعول ثان لاتخذتم ، ورفعها على أنها خبر ابتداء مضمرة أو خبر إن وتكون ما ووصولة ونصب بينكم على الظرفية ، وخفضه بالإضافة (فأمن له لوط) تضمن آمن معنى انقاد ، ولذلك تعدى باللام (وقال إنى مهاجر إلى ربى) القائل لذلك إبراهيم ، وقيل لوط ، وهاجرا من بلادها بأرض بابل إلى الشام (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) أكثر الأنبياء من ذرية إبراهيم ،

وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَلَوْ طَآ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّا لَنُؤْتِيكُمْ  
 الْفَحْشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ \* أَتَيْتُمْ لَتَاتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ  
 الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ \* قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى  
 الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا  
 ظَالِمِينَ ۝ قَالَ إِنْ فِيهَا لُوطًا قَالُوا لَنْ نَجِدَ فِيهَا لَنْجَيْنَهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتُكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ۝ وَلَمَّا  
 أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرًا تَكُنَّ  
 كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ۝ إِنَّا نُنزِلُكَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝ وَلَقَدْ تَرَكْنَا  
 مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَإِلَىٰ مَدِينِ آخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الآخِرَ وَلَا  
 تَعْشُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذْتُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ \* وَعَادًا وَثمودًا وَقَدْ  
 تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَّسْكِنِهِمْ وَزِينَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فُصِّدَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ۝ وَقَرُونِ  
 وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ۝ فَكَلَّا أَخَذْنَا  
 بِذُنُوبِهِمْ مِنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنِ أَخَذَتُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنِ اخْسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنِ اغْرَقْنَا

وعلى ذريته أنزل الله التوراة والإنجيل والفرقان (وتقطعون السبيل) قيل أراد قطع الطرق للساب  
 والقتل، وقيل أراد قطع سبيل النسل بترك النساء وإتيان الرجال (وتأتون في ناديكم المنكر) النادي المجلس  
 الذي يجتمع فيه الناس والمنكر فعلهم بالرجال، وقيل إذا ذابتهم للناس (ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى)  
 الرسل هنا الملائكة والبشرى بشارة إبراهيم بالولد وهو قوله «فبشروه بغلام حليم، أو بشارته بنصر سيدنا لوط  
 والأول أظهر (أهل هذه القرية) يعني قرية سيدنا لوط (قال إن فيه لوطاً) ليس إخباراً بأنه فيها وإنما قصد نجاته  
 سيدنا لوط من العذاب الذي يصيب أهل القرية وبراءته من الظلم الذي وصفوه به، فكأنه قال: كيف تهلكون  
 أهل القرية وفيها لوط، وكيف تقولون إنهم ظالمون وفيهم لوط (من الغابرين) قد ذكر وكذلك سيء بهم (رجزاً  
 من السماء) أي عذاباً (وارجوا اليوم الآخر) قيل الرجاء هنا الخوف، وقيل هو على بابه (ولا تعشوا في  
 الأرض) يعني نقصهم المكيال والميزان (الرجفة) هي الصيحة (وقد تبين لكم من مساكنهم) أي آثار مساكنهم  
 باقية تدل على ما أصابهم (وكانوا مستبصرين) قيل معناه لهم بصيرة في كفرهم وإعجاب به، وقيل لهم بصيرة في  
 الإيمان، ولكنهم كفروا وعنادا، وقيل معنى مستبصرين عقلاء متمكنين من النظر والاستدلال ولكنهم لم يفعلوا  
 (وما كانوا سابقين) أي لم يفوتونا (فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً) الحاصب الحجارة، والحاصب أيضاً الريح الشديدة،  
 ويحتمل عندي أنه أراد به المعنيتين، لأن قوم سيدنا لوط أهلكوا بالحجارة، وعاد أهلكوا بالريح، وإن حملناه

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ • مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ  
 الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ • إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ  
 مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ • وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ • خَلَقَ  
 اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا • وَأَتْلُ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ  
 الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ • وَلَا تَجِدُوا  
 أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْنَا

على المعنى الواحد نقص ذكر الآخر ، وقد أجاز كثير من الناس استعمال اللفظ الواحد في معنيين كقوله  
 إن الله وملائكته يصلون على النبي ، ويقوى ذلك هنا لأن المقصود هنا ذكر عموم أخذ أصناف الكفار  
 (ومنهم من أخذه الصيحة) يعنى ثمود ومدين (ومنهم من خسفناه الأرض) يعنى قارون (ومنهم من أغرقنا)  
 يعنى قوم نوح وفرعون وقومه (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) شبه الله  
 الكافرين في عبادتهم للأصنام بالعنكبوت في بنائها بيتا ضعيفا ، فكان ما اعتمدت عليه العنكبوت في بيتها  
 ليس بشيء فكذلك ما اعتمدت عليه الكفار من آلهتهم ليس بشيء لأنهم لا ينفعون ولا يضررون (أوهن  
 البيوت) أى أضعفها (لو كانوا يعلمون) أى لو كانوا يعلمون أن هذا ما لهم (إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء)  
 ما موصولة بمعنى الذى مفعولة للفعل الذى قبلها وقيل هى نافية ، والفعل معلق عنها والمعنى على هذا لستم  
 تدعون من دون الله شيئا له بال ، فلا يصلح أن يسمى شيئا (بالحق) أى بالواجب لا على وجه العبث  
 واللعب (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) إذا كان المصلى خاشعا فى صلاته متذكرا لعظمة من وقف  
 بين يديه حمله ذلك على التوبة من الفحشاء والمنكر فكان الصلاة ناهية عن ذلك (ولذکر الله أكبر) قيل  
 فيه ثلاثة معان : الأول أن المعنى أن الصلاة أكبر من غيرها من الطاعات ، وسماها بذكر الله ، لأن  
 ذكر الله أعظم ما فيها ، كأنه أشار بذلك إلى تعليل نهىها عن الفحشاء والمنكر ، لأن ذكر الله فيها هو الذى  
 ينهى عن الفحشاء والمنكر : الثانى أن ذكر الله على الدوام أكبر فى النهى عن الفحشاء والمنكر من الصلاة  
 لأنها فى بعض الأوقات دون بعض : الثالث أن ذكر الله أكبر أجرا من الصلاة ومن سائر الطاعات ، كما ورد  
 فى الحديث ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، قالوا بلى قال ذكر الله (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن)  
 أى لا تجادلوا كفار أهل الكتاب إذا اختلفتم معهم فى الدين إلا بالتى هى أحسن ، لا يضرب ولا قتال ،  
 وكان هذا قبل أن يفرض الجهاد ، ثم نسخ بالسيف ، ومعنى إلا الذين ظلموا : أى ظلموكم ، وصرحوا بإذابة  
 نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل معنى الآية : لا تجادلوا من أسلم من أهل الكتاب فيما حدثوكم به من  
 الأخبار إلا بالتى هى أحسن ، ومعنى إلا الذين ظلموا على هذا من بقى منهم على كفره ، والمعنى الأول أظهر  
 (وقولوا آمنا) هذا وما بعده يقتضى مواعدة ومسألة ، وهى منسوخة بالسيف ، ويقتضى أيضا الإعراض  
 عن مكالمتهم ، وفى الحديث : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل

وَاللَّهُمَّ وَاحِدٌ وَحْنٌ لَهُ مُسَلُّونَ ۖ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ  
 وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ \* وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ  
 وَلَا تَخِطُ يَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطُلُونَ ۖ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ  
 بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ \* وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ  
 مُبِينٌ ۖ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۖ  
 قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَطْلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ  
 أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ \* وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلِيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ  
 لَا يَشْعُرُونَ ۖ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ \* يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ  
 تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ \* يَعْبَادُوا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعِبُدُونِ ۖ

إليكم ، فإن كان باطلا لم تصدقوهم ، وإن كان حقا لم تكذبوهم (وكذلك أنزلنا إليك الكتاب) أي كما أنزلنا  
 الكتاب على من قبلك أنزلناه عليك ( فالذين آتيناهم الكتاب ) يعني عبد الله بن سلام وأمثاله ممن أسلم من  
 اليهود والنصارى (ومن هؤلاء من يؤمن به) أراد بالذين أوتوا الكتاب أهل التوراة والإنجيل وأراد بقوله  
 من هؤلاء من يؤمن به كفار قريش، وقيل أراد بالذين أوتوا الكتاب المتقدمين من أهل التوراة والإنجيل  
 وأراد بهؤلاء المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم منهم كعبدالله بن سلام (وما كنت تتلوا من قبله من كتاب)  
 هذا احتجاج على أن القرآن من عند الله ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يقرأ ولا يكتب ، ثم جاء  
 بالقرآن ، فإن قيل : ما فائدة قوله يمينك ؟ فالجواب أن ذلك تأكيد للكلام ، وتصوير للمعنى المراد ( إذا  
 لارتاب المبطلون ) أي لو كنت تقرأ أو تكتب لتطرق الشك إلى الكفار فكانوا يقولون لعله تعلم هذا  
 الكتاب أو قرأه ، وقيل وجه الاحتجاج أن أهل الكتاب كانوا يجدون في كتبهم أن النبي صلى الله عليه وسلم  
 أمى لا يقرأ ولا يكتب ، فلما جعله الله كذلك قامت عليهم الحجة ، ولو كان يقرأ أو يكتب لكان مخالفا  
 للصفة التي وصفه الله بها عندهم ، والمذهب الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقرأ قط ولا كتب  
 وقال الباجي وغيره : أنه كتب لظاهر حديث الحديبية ، وهذا القول ضعيف ( بل هو آيات )  
 الضمير للقرآن ، والإضراب بيل عن كلام محذوف تقديره ليس الأمر كما حسب الظالمون والمبطلون (أو لم  
 يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب) المعنى كيف يطلبون آية والقرآن أعظم الآيات وأوضحها دلالة على صحة النبوة فهلا  
 اكتفوا به عن طلب الآيات (قل كفى بالله) ذكر معناه في الرد في الأنعام (ويستعجلونك بالعذاب) الضمير  
 للكفار يعني قولهم اتتنا بما تعدنا ، وقولهم فأطر علينا حجارة من السماء وشبه ذلك (ولولا أجل مسمى) أي  
 لولا أن الله قدر لعذابهم أجلا مسمى لجاءهم به حين طلبوه (ولياتيهم بغتة) يحتمل أن يريد القتل الذي أصابهم  
 يوم بدر أو الجوع الذي أصابهم بتوالي القحط ، أو يريد عذاب الآخرة ، وهذا أظهر لقوله : وإن جهنم  
 لمحيطة بالكافرين (يوم يغشاهم العذاب) أي يحيط بهم ، والعامل في الظرف محذوف ، أو محيطة (إن أرضي

كُلُّ نَفْسٍ ذَا نَفْسٍ ذَا ثِقَةٍ الْمَوْتِ ثُمَّ إِنَّا نَرْجِعُونَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئُهُنَّ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ \* الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ \* وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ \* وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَنَحَرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ \* اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمٌ \* وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ \* وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ \* فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ \* لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ \* أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبَالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ \* وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ \* وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ \*

واسعة) تحريض على الهجرة من مكة إذ كان المؤمنون يلقون فيها أذى الكفار، وترغيباً في غيرها من أرض الله حيث هاجروا إلى أرض الحبشة، ثم إلى المدينة (لنبوتهم أي نزلهم، وقرئ ثوبتهم بالهاء المثلثة من الثوب وهو الإقامة في المنزل) (وكأين من دابة لا تحمل رزقها) أي كم من دابة ضعيفة لا تقدر على حمل رزقها، ولكن الله يرزقها مع ضعفها والقصد بالآية تقوية لقلوب المؤمنين إذ خافوا الفقر والجوع في الهجرة إلى بلاد الناس: أي كما يرزق الله الحيوانات الضعيفة كذلك يرزقكم إذا هاجرتم من بلدكم (ولئن سألتهم) في الموضوعين: إقامة حجة عليهم (فأنى يؤفكون) أي كيف يصرفون عن الحق (قل الحمد لله) حمد الله على ظهور الحجة، ويكون المعنى إلزامهم أن يحمدا الله لما اعترفوا أنه خالق السموات والأرض (بل أكثرهم لا يعقلون) (إضراب عن كلام محذوف تقديره يجب عليهم أن يعبدوا الله لما اعترفوا به ولكنهم لا يعقلون (لهي الحيوان) أي الحياة الدائمة التي لا موت فيها، ولفظ الحيوان مصدر كالحياة (فاذا ركبوا في الفلك) الآية: إقامة حجة عليهم بدعائهم حين الشدائد، ثم يشركون به في حال الرخاء. (ليكفروا) أمر على وجه التهديد أو على وجه الخذلان والتخليّة كما تقول لمن تنصحه فلا يقبل نصحك اعلم ما شئت (أو لم يروا أنا جعلنا حراماً آمناً) (الضمير لكفار قريش، والحرم الآمن: مكة، لأنها كانت لا تغير عليها العرب كما تغير على سائر البلاد ولا ينتهك أحد حرمتها) (ويتخطف الناس من حولهم) عبارة عما يصيب غير أهل مكة من القتال أو أخذ الأموال (والذين جاهدوا فينا) يعني جهاد النفس من الصبر على إذابة الكفار واحتمال الخروج عن الأوطان وغير ذلك، وقيل يعني القتال، وذلك ضعيف، لأن القتال لم يكن مأموراً به حين نزول الآية (لنهديهم سبلنا) أي لنوفقهم لسبيل الخير (وإن الله لمع المحسنين) المعنى أنه معهم بإيعازته ونصره

## سورة الروم

مكية إلا آية ١٧ فمدنية وآياتها ٦٠ نزلت بعد الانشقاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلَمْ يَغْلِبْ الرُّومُ ۝ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلِ وَمَن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بَنَصْرَ اللَّهِ يَنْصُرُ مَن يَشَاءُ ۝ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّا كَثُرَ النَّاسُ لَا يَعْلَمُونَ ۝ يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ۝ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بَلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ۝ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ

## سورة الروم

(غلبت الروم) أى هزم كسرى ملك الفرس جيش ملك الروم ، وسميت الروم باسم جددهم وهو روم ابن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم ( فى أدنى الأرض ) قيل هى الجزيرة ، وهى بين الشام والعراق وهى أدنى أرض الروم إلى فارس ، وقيل فى أدنى أرض العرب منهم وهى أطراف الشام ( وهم من بعد غلبهم سيغلبون ) إخبار بأن الروم سيغلبون الفرس ( فى بضع سنين ) البضع ما بين الثلاث إلى التسع ( ويومئذ يفرح المؤمنون ) روى أن غلب الروم فارس وقع يوم بدر ، وقيل يوم الحديبية ، وفرح المؤمنون بنصر الله لهم على كفار قريش وقيل فرح المؤمنون بنصر الروم على الفرس ، لأن الروم أهل كتاب فهم أقرب إلى الإسلام ، كذلك فرح الكفار من قريش بنصر الفرس على الروم لأن الفرس ليسوا بأهل كتاب فهم أقرب إلى كفار قريش ، وروى أنه لما فرح الكفار بذلك خرج إليهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، فقال إن نبينا صلى الله عليه وسلم قد أخبرنا عن الله تعالى أنهم سيغلبون وراهنهم على عشرة قلاص إلى ثلاث سنين وذلك قبل أن يحرم القمار ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم زدتم فى الرهن واستزدهم فى الأجل ، فجعل القلاص مائة ، والأجل تسعة أعوام وجعل معه أبى ابن خلف مثل ذلك ، فلما وقع الأمر على ما أخبر به أخذ أبو بكر القلاص من ذرية أبى بن خلف ، إذ كان قد مات وجاءها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تصدق بها ( وعد الله ) مصدر مؤكد كقول له على ألف درهم عرفا ، لأن معناه اعترفت لها بها اعترافا ( يعلمون ظاهرا ) قيل معناه يعلمون ما يدرك بالحواس دون ما يدرك بالعقول فهم فى ذلك مثل البهائم ، وقيل الظاهر ما يعلم بأوائل العقول ، والباطن ما يعلم بالنظر والدليل ، وقيل هو من الظهور بمعنى العلو فى الدنيا ، وقيل ظاهر بمعنى زائل ذاهب ، والأظهر أنه أراد بالظاهر المعرفة بأمر الدنيا ومصالحها لأنه وصفهم بعد ذلك بالغفلة عن الآخرة ، وذلك يقتضى عدم معرفتهم بها ، وانظر كيف نفي العلم عنهم أولا ، ثم أثبت لهم العلم بالدنيا خاصة ، وقال بعض أهل البيان : إن هذا من المطابقة لاجتماع النفي والإثبات ، وجعل بعضهم العلم المثبت كالعدم لقلة منفعتة فهو على هذا بيان للنفي ( أولم يتفكروا فى أنفسهم ) يحتمل معنيين : أحدهما أن تكون النفس ظرفا للفكرة فى خلق السموات والأرض كأنه قال أولم يتفكروا بعقولهم فاعلموا أن الله ما خلق السموات والأرض إلا بالحق ، والثانى أن يكون المعنى أولم يتفكروا فى ذواتهم

مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ  
 فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ \* ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوْءَىٰ أَن كَذَّبُوا  
 بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ \* اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ \* وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ  
 الْمُجْرِمُونَ \* وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ \* وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ  
 يُؤْمِنُ الَّذِينَ يَتَفَرَّقُونَ \* فَمَا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِهِمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ \* وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا  
 بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ \* فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ \*  
 وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ \* يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ  
 وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ \* وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يَخْلُقَ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ إِذَا آتَيْتُمُ بَشَرًا  
 تَنَتَشَرُونَ \* وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يَخْلُقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً  
 إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ \* وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفِ الْأَلْوَانِكُمْ  
 إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ \* وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

وخلقهم ليستدلوا بذلك على الخالق ، ويكون قوله ما خلق الآية : استئناف كلام ، والمعنى الأول أظهر  
 ( وأثاروا الأرض ) أي حرثوها ( ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوآى ) معنى السوآى : هلاك الكفار ، ولفظ  
 السوآى تأنيث الأسوأ : كما أن الحسنى تأنيث الأحسن ، وقرئى عاقبة بالرفع على أنه اسم كان ، والسوآى  
 خبرها ، وقرئى بنصب عاقبة على أنها خبر كان ، والسوآى اسمها ، وأن كذبوا مفعول من أجله ، وبمحتمل  
 أن تكون السوآى مصدر أساءوا ( يبلس المجرون ) الإبلاس الكون فى شرمع اليأس من الخير ( يتفرقون )  
 معناه فى المنازل والجزء ( تجبرون ) تنعمون من الجبور وهو السرور والنعيم ، وقيل تكرمون ( سبحان الله )  
 هذا تعليم للعباد أى قولوا سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ( وعشيا وحين تظهورون ) أى حين تدخلون  
 فى وقت الظهيرة وهى وسط النهار ، وقوله وله الحمد فى السموات والأرض : اعتراض بين المعطوفات ،  
 وقيل أراد بذلك الصلوات الخمس ، فحين تمسون : المغرب والعشاء ، وحين تصبحون : الصبح ، وعشيا :  
 العصر ، وحين تظهورون الظهر ( يخرج الحي ) ذكر فى آل عمران ( ويحيى الأرض ) أى ينبت فيها النبات  
 ( وكذلك تخرجون ) أى كما يخرج الله النبات من الأرض كذلك يخرجكم من الأرض للبعث يوم القيامة  
 ( تنتشرون ) أى تنصرفون فى الدنيا ( من أنفسكم أزواجا ) أى صنفكم وكنسكم ، قيل أراد خلقه حواء من  
 ضلع آدم ، وخاطب الناس بذلك لأنهم ذرية آدم ( مودة ورحمة ) قيل المودة الجماع ، والرحمة الولد ، والعموم  
 أحسن وأبلغ ( واختلاف ألوانكم ) أى لغاتكم ( وألوانكم ) أى البياض والسواد ، وقيل يعنى أصنافكم .

يَسْمَعُونَ ۚ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۚ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ۚ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلِّ لَهٌ قَنَاطُونَ ۚ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۚ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَارَزَقْتِكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۚ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ ۚ فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فطَرَتِ اللَّهُ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لِاتَّبَعِدِلَ لِحَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۚ مُبِينٌ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا

والأول أظهر (خوفا وطمعا) ذكر في الرعد (أن تقوم السماء والأرض) معناه ثبت أو يقوم تدبيرها (ثم) إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أتم تخرجون (إذا الأولى شرطية ، والثانية فجائية وهي جواب الأولى ، والدعوة في هذه الآية قوله للهوتى قوموا بالنفخة الثانية في الصور ، ومن الأرض يتعلق بقوله تخرجون أو بقوله دعاكم ، على أن تكون الغاية بالنظر إلى المدعو كقولك دعوتك من الجبل إذا كان المدعو في الجبل (قانتون) ذكر في البقرة (وهو أهون عليه) أى الإعادة يوم القيامة أهون عليه من الخلق الأولى ، وهذا تقريب لفهم السامع وتحقيق للبعث ، فإن من صنع صنعة أول مرة كانت أسهل عليه ثانيا مرة ، ولكن الأمور كلها متساوية عند الله ، فإن كل شئ على الله يسير (وله المثل الأعلى) أى الوصف الأعلى الذى يصفه به أهل السموات والأرض (هل لكم بما ملكت أيانكم من شركاء) هذا هو المثل المضروب معناه أنكم أيها الناس لا يشاركم عبيدكم فى أموالكم ولا يستون معكم فى أحوالكم ، فكذلك الله تعالى لا يشارك عبيده فى ملكه ، ولا يماثله أحد فى ربوبيته ، فذكر حرف الاستفهام ومعناه التقرير على النفي ودخل فى النفي قوله «فأنتم فيه سواء تخافونهم كيفتكم أنفسكم : أى لستم فى أموالكم سواء مع عبيدكم ، ولستم تخافونهم كما تخافون الأحرار مثلكم ، لأن العبيد عندهم أقل وأذل من ذلك (بل اتبع الذين ظلموا أهواهم) الإضراب بيل عما تضمنه معنى الآية المتقدمة كأنه يقول ليس لهم حجة فى إشراكهم بالله بل اتبعوا فى ذلك أهواهم بغير علم (فأقم وجهك للدين) هو دين الإسلام ، وإقامة الوجه فى الموضوعين من السورة عبارة عن الإقبال عليه والإخلاص فيه فى قوله أقم ، والقيم ضرب من ضروب التجنيس (فطرت الله) منصوب على المصدر : كقوله صبغة الله أو مفعولا بفعل مضمير تقديره الزموا فطرة الله ، أو عليكم فطرة الله ، ومعناه خلقه الله ، والمراد به دين الإسلام ، لأن الله خالق الخلق عليه ، إذ هو الذى تقتضيه عقولهم السليمة ، وإنما كفر من كفر لعارض أخرجه عن أصل فطرته ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه (لاتبدل لخلق الله) يعنى بخلق الله الفطرة التى خلق الناس عليها من الإيمان ، ومعنى أن الله لا يبدلها أى لا يخلق الناس على غيرها ولكن يبدلها شياطين الإنس والجن بعد الخلق الأولى ، أو

الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَاعًا كُلِّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ .  
 وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةٌ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ .  
 لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ \* أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَسْتَكْبِرُ بِمَا كَانُوا بِهِ  
 يُشْرِكُونَ \* وَإِذَا آذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ \*  
 أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . فَتَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ  
 حَقَّهُ وَالْمَسْكِينُ وَابْنُ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ  
 رَبِّا لِيُرَبُّوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ

يكون المعنى أن تلك الفطرة لا ينبغي للناس أن يبدلوها ، فالنبي على هذا حكم لا خبر وقيل إنه على الخصوص في المؤمنين  
 أى لا تبديل لفطرة الله في حق من قضى الله أنه يثبت على إيمانه ، وقيل إنه نهي عن تبديل الخلفة كخصاه  
 الفحول من الحيوان وقطع آذانها وشبه ذلك (منيبين إليه) منصوب على الحال من قوله أقم وجهك لأن الخطاب  
 للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو أمته ، ولذلك جمعهم في قوله منيبين ، وقيل هو حال من ضمير الفاعل المستتر في  
 الزموا فطرة الله ، وقيل هو حال من قوله فطر الناس وهذا بعيد (واتقوه) وما بعده معطوف على أقم وجهك أو  
 على العامل في فطرة الله وهو الزموا المضمرة (من الذين فرقوا دينهم) المجرور بدل من المجرور قبله ، ومعنى فرقوا  
 دينهم : جعلوه فرقا أى اختلفوا فيه ، وقرئ : فرقوا من المفارقة أى تركوه ، والمراد بالمشركين هنا أصناف  
 الكفار ، وقيل هم المسلمون الذين تفرقوا فرقا مختلفة ، وفي لفظ المشركين هنا تجوز بعيد ، ولعل قائل هذا  
 القول إنما قاله في قول الله في الأنعام : إن الذين فرقوا دينهم ، فإنه ليس هناك ذكر المشركين (وإذا مس الناس  
 ضر) الآية : إنحاء على المشركين ، لأنهم يدعون الله في الشدائد ويشركون به في الرخاء (ليكفروا) ذكر  
 في النحل (أم أنزلنا عليهم سلطانا) أم هنا منقطعة بمعنى بل ، والسلطان الحجة ، وكلامه مجاز كما تقول نطق  
 بكذا ، والمعنى ليس لهم حجة تشهد بصحة شركهم (وإذا آذقنا الناس رحمة) إنحاء على من يفرح ويبطر إذا  
 أصابه الخير ، ويقنط إذا أصابه الشر ، وانظر كيف قال هنا إذا ، وقال في الشر إن تصبهم سيئة ، لأن إذا  
 للقطع بوقوع الشرط ، بخلاف إن فإنها للشك في وقوعه ، ففي ذلك إشارة إلى أن الخير الذي يصيب به  
 عباده أكثر من الشر (بما قدمت أيديهم) المعنى أن ما يصيب الناس من المصائب ، فإنه بسبب ذنوبهم  
 (فأت ذا القربى حقه) يعنى صلة رحم القرابة بالإحسان والمودة ، ولو بالكلام الطيب (وما آتيتم من ربا  
 ليربو في أموال الناس) الآية : معناها كقوله : يمحى الله الربا ويربى الصدقات ، أى ما أعطيتم من أموالكم  
 على وجه الربا فلا يزكو عند الله ، وما آتيتم من الصدقات : فهو الذي يزكو عند الله وينفعكم به ، وقيل المراد  
 أن يهب الرجل للرجل أو يهدى له ليعوض له أكثر من ذلك فهذا وإن كان جائزا فإنه لا ثواب فيه وقرئ  
 «وما آتيتم» بالمد بمعنى أعطيتم وبالقصر يعنى جتتم أى فعلتموه ، وقرئ لتربو بالياء المضمومة وليربو بالياء

المضعفون \* الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلکم من شیء سبحانه وتعالى عما یشرکون \* ظهر الفساد فی البر والبحر بما کسبت ایدی الناس لیذیقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون \* قل سیروا فی الارض فانظروا کیف کان عاقبة الذين من قبل کان اکثرهم مشرکین \* فاقم وجهک للدين القیم من قبل ان یأتی یوم لا مرد له من الله یومئذ ینصدعون \* من کفر فعليه کفره ومن عمل صالحا فلا لنفسهم یمهدون \* لیجزی الذين امنوا وعملوا الصالحات من فضله انه لا یحب الکافرين \* ومن آيته ان یرسل الرياح مبشرات ولیديقکم من رحمته ولتجرى الفلک بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلکم تشکرون \* ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبینات فاتقننا من الذين أجمروا وكان حقا علينا نصر المؤمنین \* الله الذي یرسل الريح فثیر سبحابا فیسطه فی السماء کیف یشاء ویجعله کسفا فترى الودق ینخرج من خلاله فإذا أصاب به من یشاء من عباده إذا هم یتسبشرون \* وإن كانوا من قبل ان ینزل علیهم من قبله لمبلسین \* فانظر إلى آثر رحمت الله کیف یحیی

مفتوحة ونصب الواو (فأولئك هم المضعفون) المضعف ذوا الإضعاف من الحسنات ، وفي هذه الجملة التفات لخروجه من الغيبة إلى الخطاب ، وكان الاصل أن يقال وما آتیتم من زكاة فأتتم المضعفون ، وفيه أيضا حذف ، لأنه لا بد من ضمير يرجع إلى ما ، وتقديره المضعفون به أو فمؤتوه هم المضعفون (ظهر الفساد في البر والبحر) قيل البر البلاد البعيدة من البحر ، والبحر هو البلاد التي على ساحل البحر ، وقيل البر اللسان والبحر القلب وهذا ضعيف ، والصحيح أن البر والبحر المعروفان ، فظهور الفساد في البر بالقحط والفتن وشبه ذلك ، وظهور الفساد في البحر بالفرق وقلة الصيد وكساد التجارات وشبه ذلك ، وكل ذلك بسبب ما يفعله الناس من الكفر والعصيان (لامردله) أي لارجوع له ولا بد من وقوعه (من الله) يتعلق بقوله يأتي أو بقوله لا مرد له أي لا يرده الله (يومئذ يصدعون) من الصدع وهو الفرقة أي يتفرقون : فريق في الجنة ، وفريق في السعير (فلا أنفسهم يمهدون) أي يوطنون وهو استعارة من تمهيد الفراش ونحوه ، والمعنى أنهم يعملون ما ينتفعون به في الآخرة (ليجزى) يتعلق يمهدون أو يصدعون ، أو بمحذوف (مبشرات) أي تبشر بالمطر (وليديقكم) عطف على مبشرات كأنه قال لبشركم ولیديقکم ويحتمل أن يتعلق بمحذوف تقديره لیديقکم (من رحمته) أرسلها (وكان حقا) انتصب حقا لأنه خبر كان واسمها نصر المؤمنین ، وقيل اسمها مضمير يعود على مصدر اتقننا : أي وكان الانتقام حقا ، فعلى هذا يوقف على حقا ويكون نصر المؤمنین مبتدأ وهذا ضعيف (ثیر سبحابا) أي تحركها وتنشرها (كسفا) أي قطعا ، وقرئ بإسكان السين وهما بناءان للجمع ، وقيل معنى الإسكان أن السحاب قطعة واحدة (الودق) هو المطر (من خلاله) الخلال الشقاق الذي بين بعضه وبعض لأنه متخلل الأجزاء والضمير يعود على السحاب (من

الأرض بعد موتها إن ذلك لمحى الموتى وهو على كل شيء قدير \* ولئن أرسلنا ريحا فإراه مصفرا ظلوا  
من بعده يكفرون \* فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين \* وما أنت بهد  
العمى عن ضللتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون \* الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من  
بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير \* ويوم تقوم الساعة  
يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون \* وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتب  
الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث وإكنكم كنتم لا تعلمون \* فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم  
يستعتبون \* ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جثتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن  
أتم إلا مبطلون \* كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون \* فأصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك  
الذين لا يؤقنون \*

قبله) كرر للتأكيد وليفيد سرعة تقلب قلوب الناس من القنوط إلى الاستبشار (المبلسين) أى قانطين كقوله  
ينزل الغيث من بعد ما قنطوا (فراه مصفرا) الضمير للنبات الذى ينبتة الله بالمطر ، والمعنى لئن أرسل الله ريحا  
فاصفر به النبات لكفر الناس بالقنوط والاعتراض على الله ، وقيل الضمير للريح ، وقيل للسحاب والأول  
أحسن فى المعنى (فإنك لا تسمع الموتى) الآية : استعارة فى عدم سماع الكفار للمواعظ والبراهين ، فشبه الكفار  
بالموتى فى عدم إحساسهم (خلقكم من ضعف) الضعف الأول كون الإنسان من مائه ميهين ، وكونه ضعيف فى حال  
الطفولية ، والضعف الثانى الأخير الهرم ، وقرئ بفتح الصاد وضمها وهما لغتان (مالبثوا غير ساعة) هذا  
جواب القسم ، ومعناه أنهم يحلفون أنهم مالبثوا فى القبور تحت التراب إلا ساعة أى مالبثوا فى الدنيا إلا  
ساعة ، وذلك لاستقصار تلك المدة (كذلك كانوا يؤفكون) أى مثل هذا الصنف كانوا يصرفون فى الدنيا  
عن الصدق والتحقيق حتى يروا الأشياء على ما هى عليه (وقال الذين أوتوا العلم والإيمان) هم الملائكة  
والأنبياء والمؤمنون ردوا مقالة الكفار التى حلقوا عليها (فى كتاب الله) يعنى اللوح المحفوظ أو علم الله ،  
والمجروح على هذا يتعلق بقوله لبثتم ، وقيل يعنى القرآن ، فعلى هذا يتعلق هذا المجروح بقوله أوتوا العلم ،  
وفى الكلام تقديم وتأخير ، وتقديره على هذا قال الذين أوتوا العلم فى كتاب الله أى العلماء بكتاب الله  
وقولهم لقد لبثتم : خطاب للكفار ، وقولهم فهذا يوم البعث : تقرير لهم ، وهو فى المعنى جواب لشرط  
مقدر تقديره إن كنتم تنكرون البعث فهذا يوم البعث (ولا هم يستعتبون) من العتبي بمعنى الرضا : أى  
ولا يرضون وليست استفعل هنا للطلب (إن وعد الله حق) يعنى ما وعد من النصر على الكفار (ولا يستخفك  
من الخفة : أى لا تضرب لكلاههم

## سورة لقمان

مكية إلا الآيات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ فمدنية وآياتها ٣٤ نزلت بعد الصفات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلَمْ تَكُنْ أَتَىٰ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْحَسَنِينَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ النَّاسَ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝ وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَانَ لَمْ يَسْمَعَهَا كَانَ فِي أذْنِهِ وَقَرَأَ فِيهِ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ۝ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالَّتِي فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝ هَٰذَا خَلَقَ اللَّهُ فَرَاوَنِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ

## سورة لقمان

(الكتاب الحكيم) ذكر في يونس (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) هو الغناء ، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : شراء المغنيات وبيعهن حرام ، وقرأ هذه الآية ، وقيل نزلت في قرشي اشترى جارية مغنية تغني بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالشراء على هذا حقيقة ، وقيل نزلت في النضر ابن الحارث وكان قد تعلم أخبار فارس ، فذلك هو لهو الحديث ، وشراء لهو الحديث استحبابه وسماعه ، فالشراء على هذا مجاز ، وقيل لهو الحديث : الطبل ، وقيل الشرك ، ومعنى اللفظ يعم ذلك كله ، وظاهر الآية أنه هو مضاف إلى الكفر بالدين واستخفاف ، لقوله تعالى وليضل عن سبيل الله ، الآية ، وأن المراد شخص معين لوصفه بعد ذلك بجملة أوصاف (بغير عمد ترونها) ذكر في الرعد (أن تميد بكم) أى لكلا تميد بكم (لقمان) رجل ينطق بالحكمة واختلف هل هو نبي أم لا ؟ وفي الحديث لم يكن لقمان نبياً ، ولكن كان عبداً حسن اليقين أحب الله فأحبه ، فمن عليه بالحكمة ، روى أنه كان ابن أخت أيوب أو ابن خالته ، وروى أنه كان قاضي بني إسرائيل ، واختلف في صناعته ، فقيل كان نجاراً ، وقيل خياطاً ، وقيل راعي غنم ، وكان ابنه كافراً فسا زال يوصيه حتى أسلم ، وروى أن اسم ابنه ثاران (ووصينا الإنسان) هذه الآية والتي بعدها اعتراض في أثناء وصية لقمان لابنه على وجه التأكيد لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك بالله ، ونزلت الآية في سعد بن أبي وقاص وأمه حسبا ذكرنا في العنكبوت (حملته أمه وهنا على وهن) أى ضعفاً على ضعف ، لأن الحمل كلما عظم ازدادت الحامل به ضعفاً ، واتصاب وهنا بفعل مضمر تقديره تهن وهنا (وفصاله) أى فطامه ، وأشار بذلك إلى غاية مدة الرضاع (أن اشكر) تفسير للوصية واعترض بينها وبين تفسيرها بقوله وفصاله في عامين

حَمِيدٌ ۖ وَإِذْ قَالَ لِقَمْنُنٍ لِأَبْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۖ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ  
 بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ۖ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ  
 أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ نَمٍ إِلَىٰ  
 مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۖ يَبْنِي إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي  
 السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۖ يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ  
 الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۖ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ  
 مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۖ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ  
 الْحَمِيرِ ۖ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ تَخَرَّكُمْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةً وَبَاطِنَةً وَمَنْ  
 النَّاسُ مِنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ۖ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ  
 نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَان الشَّيْطَانُ يُدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ۖ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ  
 مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ

ليبين ماتكابه الأم بالولد بما يوجب عظيم حقها، ولذلك كان حقها أعظم من حق الأب (يأبني) الآية :  
 رجع إلى كلام لقمان، والتقدير: وقال لقمان يابني (مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ) أى وزنها، والمراد بذلك أن الله  
 يأتي بالقليل والكثير من أعمال العباد فعبر بحبة الخردل ليدل على ما هو أكثر (في صخرة) قيل المراد  
 الصخرة التي عليها الأرض، وهذا ضعيف، وإنما معنى الكلام أن مِثْقَالُ خَرْدَلٍ من الأعمال أو من الأشياء  
 ولو كانت في أخفى موضع كجوف صخرة، فإن الله يأتي بها يوم القيامة وكذلك لو كانت في السموات أو  
 في الأرض (واصبر على ما أصابك) أمر بالصبر على المصائب عموماً، وقيل المعنى ما يصيب من يأمر بمعروف  
 أو ينهى عن منكر (من عزم الأمور) يحتتمل أن يريد بما أمر الله به على وجه العزم والإيجاب أو من مكارم  
 الأخلاق التي يعزم عليها أهل الحزم والجد ولفظ العزم مصدر يراد به المفعول أى من معزومات الأمور  
 (ولا تصعر خدك للناس) الصعر في اللغة الميل أى لاتول الناس خدك وتعرض عنهم تكبراً عليهم (مرحاً)  
 ذكر في الإسراء (مختالاً) من الخيلاء (واقصد في مشيك) أى اعتدل فيه ولا تتسرع إسراعاً يدل على البطش  
 والحفة، ولا تطع إبطاء يدل على الفخر والكبر (نعمة ظاهرة وباطنة) الظاهرة الصحة والمال وغير ذلك،  
 والباطنة النعم التي لا يطلع عليها الناس ومنها ستر الفيض من الأعمال، وقيل الظاهرة نعم الدنيا، والباطنة نعم  
 العقبى، واللفظ أعم من ذلك كله (ومن الناس من يجادل) نزلت في النضر بن الحارث وأمثاله (أولو كان الشيطان  
 يدعوهم إلى عذاب السعير) معناه أيدعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم إلى النار (ومن يسلم وجهه إلى الله) يسلم أى

فَنبِئْهُمْ بِمَا عَمَلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۖ مُتَعَمَّرَةً قَلِيلًا ثُمَّ نَضَّطُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۖ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ  
 مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۖ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۖ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةَ آبْحَرٍ مَّافِدَتْ كُلَّتُ  
 اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۖ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۖ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ  
 فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۖ  
 ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۖ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي  
 فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۖ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ  
 دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ۖ يَا أَيُّهَا

يُخَاصُّ أَوْ يَسْتَسَلِّمُ أَوْ يَنْقَادُ، وَالْوَجْهَ هُنَا عِبَارَةٌ عَنِ الْقَصْدِ (بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى) ذَكَرَ فِي الْبَقْرَةِ (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ) وَمَا بَعْدَهُ  
 ذَكَرَ فِي الْعَنْكَبُوتِ (وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ) الْآيَةُ إِخْبَارٌ بِكَثْرَةِ كَلِمَاتِ اللَّهِ وَالْمُرَادُ اتِّسَاعُ عِلْمِهِ  
 وَمَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ شَجَرَ الْأَرْضِ لَوْ كَانَتْ أَقْلَامًا، وَالْبَحْرُ لَوْ كَانَ مَدَادًا يَصُبُّ فِيهِ سَبْعَةُ آبْحَرٍ صَادًا تَمَّا وَكُتِبَتْ بِذَلِكَ  
 كَلِمَاتُ اللَّهِ لَنَفَدَتْ الْأَشْجَارُ وَالْبَحَارُ وَلَمْ تَنْفَدِ كَلِمَاتُ اللَّهِ، لِأَنَّ الْأَشْجَارَ وَالْبَحَارَ مُتَنَاهِيَةٌ، وَكَلِمَاتُ اللَّهِ غَيْرُ  
 مُتَنَاهِيَةٌ، فَإِنَّ قِيلَ: لِمَ لَمْ يَقُلْ وَالْبَحْرُ مَدَادًا كَمَا قَالَ فِي الْكَهْفِ قُلِ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّهُ أَغْنَىٰ عَنِ  
 ذَلِكَ قَوْلُهُ لِأَنَّهُ مِنْ قَوْلِكَ مَدَّ الدَّوَاءَ وَأَمَدَّهَا، فَإِنَّ قِيلَ لِمَ قَالَ مِنْ شَجَرَةٍ وَلَمْ يَقُلْ مِنْ شَجَرٍ بِاسْمِ الْجِنْسِ  
 الَّذِي يَقْتَضِي الْعُمُومَ؟ فَالْجَوَابُ أَنَّهُ أَرَادَ تَفْصِيلَ الشَّجَرِ إِلَى شَجَرَةٍ شَجَرَةٍ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهَا وَاحِدَةٌ، فَإِنَّ قِيلَ: لِمَ قَالَ  
 كَلِمَاتُ اللَّهِ وَلَمْ يَقُلْ كَلِمَ اللَّهُ بِجَمْعِ الْكَثْرَةِ؟ فَالْجَوَابُ أَنَّ هَذَا أَبْلَغُ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ تَنْفَدِ الْكَلِمَاتُ مَعَ أَنَّهُ جَمْعٌ قَلَّةٌ،  
 فَكَيْفَ يَنْفَدُ الْجَمْعُ الْكَثِيرُ وَرَوَى أَنَّ سَبَبَ الْآيَةِ أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا قَدْ أَوْتَيْنَا التَّوْرَةَ وَفِيهَا الْعِلْمُ كُلُّهُ فَهَلْ نَزَلَتْ الْآيَةُ  
 لِتَدُلَّ أَنَّ مَا عِنْدَهُمْ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ، وَالْآيَةُ عَلَى هَذَا مَدِينَةٌ، وَقِيلَ إِنَّ سَبَبَهَا أَنَّ قَرِيشًا قَالُوا إِنَّ الْقُرْآنَ سَيَنْفَدُ (مَا خَلَقَكُمْ  
 وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً) بَيَانٌ لِّقُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى بَعْثِ النَّاسِ وَرَدِّ عَلَى مَنْ اسْتَبَعَدَ ذَلِكَ (يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ)  
 أَيْ يَدْخُلُ كَلَامُهُمَا فِي الْآخِرِ بِمَا يَزِيدُ فِي أَحَدِهِمَا وَيَنْقُصُ مِنَ الْآخِرِ أَوْ يَدْخُلُ ظِلْمَةُ اللَّيْلِ عَلَى ضَوْءِ النَّهَارِ  
 وَإِدْخَالُ ضَوْءِ النَّهَارِ عَلَى ظِلْمَةِ اللَّيْلِ (إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ (ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ) يَحْتَمِلُ أَنَّ تَكُونُ الْبَاءُ  
 سَبَبِيَّةً، أَوْ يَكُونُ الْمَعْنَى ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ شَاهِدٌ هُوَ الْحَقُّ (بِنِعْمَةِ اللَّهِ) يَحْتَمِلُ أَنَّ يَرِيدُ بِذَلِكَ مَا تَحْمِلُهُ السَّفِينُ مِنَ  
 الطَّعَامِ وَالتَّجَارَاتِ وَالبَاءُ لِلِإِصْطِقِ أَوْ الدِّصَاحِبَةِ، أَوْ يَرِيدُ الرِّيحَ فَتَكُونُ الْبَاءُ سَبَبِيَّةً (صَبَّارٍ شَكُورٍ) مَبَالِغَةٌ فِي  
 صَابِرٍ وَشَاكِرٍ (كَالظُّلَلِ) جَمْعُ ظِلْمَةٍ وَهُوَ مَا يَمْلُوكُ مِنْ فَوْقِ شَيْءٍ بِشَبِّهِ الْمَوْجِ بِذَلِكَ إِذَا ارْتَفَعَ وَعَظُمَ حَتَّى عُلَا فَوْقَ  
 الْإِنْسَانِ (فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ) الْمُقْتَصِدُ الْمُتَوَسِّطُ فِي الْأَمْرِ، فَيَحْتَمِلُ أَنَّ يَرِيدُ كَافِرًا مُتَوَسِّطًا فِي كُفْرِهِ لَمْ يَسْرِفْ فِيهِ  
 أَوْ مُؤْمِنًا مُتَوَسِّطًا فِي إِيمَانِهِ، لِأَنَّ الْإِخْلَاصَ الَّذِي عَلَيْهِ فِي الْبَحْرِ كَانَ يَزُولُ عَنْهُ وَقِيلَ مَعْنَى مُّقْتَصِدٌ مُؤْمِنٌ ثَبَتَ  
 فِي الْبَرِّ عَلَى مَا عَاهَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الْبَحْرِ (خَتَّارٍ) أَيْ غَدَّارٌ شَدِيدُ الْغَدْرِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ جَحَدَ نِعْمَةَ اللَّهِ غَدْرًا (لَا يَجْزِي

النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدَ عَنِ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٌ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ \*

## سورة السجدة

مكية إلا من آية ١٦ إلى غاية ٢٠ فمدنية وآياتها ٣٠ نزلت بعد المؤمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَارِيبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝ ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ

والد عن ولده) أى لا يقضى عنه شيئاً ، والمعنى أنه لا ينفعه ولا يدفع عنه مضرة (ولا مولود) أى ولد فكما لا يقدر الوالد لولده على شيء كذلك لا يقدر الولد لوالده على شيء (الغرور) الشيطان وقيل الأمل والتسويق (علم الساعة) أى متى تكون ، فإن ذلك مما انفرد الله بعلمه ، ولذلك جاء في الحديث : مفاتيح الغيب خمس وتلاهذه الآية (ماذا تكسب غدا) يعنى من خير أو شر أو مال أو ولد أو غير ذلك

## سورة السجدة

(تنزيل الكتاب) يعنى القرآن (لاريب فيه) أى لاشك أنه من عند الله عز وجل ، ونفى الريب على اعتقاد أهل الحق وعلى ما هو الأمر فى نفسه لا على اعتقاد أهل الباطل (من رب العالمين) يتعلق بتنزيل (أم يقولون) الضمير لقريش وأم بمعنى بل والهمزة (لتنذر) يتعلق بما قبله أو محذوف (مأتاهم من نذير) يعنى من الفترة من زمن عيسى وقد جاء الرسل قبل ذلك إبراهيم وغيره ، ولما طالت الفترة على هؤلاء أرسل الله رسولا ينذرهم ليقيم الحججة عليهم (استوى على العرش) قد ذكر فى الأعراف (مالككم من دونه من ولي ولا شفيع) نفى الشفاعة على وجهين أحدهما الشفاعة للكفار وهى معدومة على الإطلاق ، والآخر : أن الشفاعة للمؤمنين لا تكون إلا بإذن الله كقوله «ما من شفيع إلا من بعد إذنه» (يدبر الأمر) أى واحد الأمور ، وقيل المأمور به من الطاعات ، والأول أصح (من السماء إلى الأرض) أى ينزل مادبره وقضاه من السماء إلى الأرض (ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) قال ابن عباس المعنى ينفذ الله ما قضاه من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه خبر ذلك فى يوم من أيام الدنيا مقداره لو سير فيه السير المعروف من البشر ألف سنة لأن ما بين السماء والأرض خمسمائة عام فالألف ما بين نزول الأمر إلى الأرض وعروجه إلى السماء ، وقيل إن الله يلقى إلى الملائكة أمور ألف سنة من أعوام البشر وهو يوم من أيام الله ، فإذا

وَالشَّهَادَةَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ  
 مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۝ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝  
 وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ۝ قُلْ يَتَوَفَّكُم مَلَكُ الْمَوْتِ  
 الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا  
 وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًىٰ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ  
 جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا  
 كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝  
 تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ  
 لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ۝ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

فرغت ألقى إليهم مثلها ، فالمعنى أن الأمور تنفذ عنده لهذه المدة ، ثم تصير إليه آخراً لأن عاقبة الأمور  
 إليه ، فالعروج على هذا عبارة عن مصير الأمور إليه (عالم الغيب والشهادة) الغيب ماغاب عن المخلوقين ،  
 والشهادة ما شاهدوه (أحسن كل شيء خلقه) أى أتمن جميع المخلوقات ، وقرئ يأسكان اللام على البدل (وبدأ  
 خلق الإنسان من طين) يعنى آدم عليه السلام (نسله) يعنى ذريته (من سلالة من ماء مهين) يعنى المنى ،  
 والسلالة مشتقة من سل يسل ، فكأن الماء يسل من الإنسان ، والمهين الضعيف (ثم سواه) أى قومه (ونفخ  
 فيه من روجه) عبارة عن إيجاد الحياة فيه ، وأضيفت الروح إلى الله إضافة ملك إلى ملك ، وقد يراد بها  
 الاختصاص ، لأن الروح لا يعلم كنهه إلا الله (أإذا ضللنا فى الأرض) أى تلفنا وصرنا تراباً ، ومعنى هذا  
 الكلام المحكى عن الكفار استبعاد البعث ، والعامل فى إذا معنى قولهم إنا لفي خلق جديد تقديره نبعث  
 (يتوفاكم ملك الموت) اسمه عزرائيل وتحت يده ملائكة (ولو ترى) يحتمل أن تكون لولتمنى وتأويله فى حق الله  
 كتأويل النرجى ، وقد ذكر ، أو تكون للامتناع وجوابها محذوف تقديره ولو ترى حال المجرمين فى الآخرة  
 لرأيت أمراً مهولاً (ناكسوا رؤوسهم) عبارة عن الذل والغم والندم (ربنا أبصرنا وسمعنا) تقديره يقولون  
 ربنا قد علمنا الحقائق (لوشدأنا لآتينا كل نفس هداها) يعنى أنه لو أراد أن يهدى جميع الخلائق لفعل ، فإنه قادر  
 على ذلك بأن يجعل الإيمان فى قلوبهم ويدفع عنهم الشيطان والشهوات ، ولكن يضل من يشاء ويهدى من  
 يشاء (فذوقوا بما نسيتم) أى يقال لهم ذوقوا ، والنسيان هنا بمعنى الترك (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) أى ترتفع  
 والمعنى يتركون مضاجعهم بالليل من كثرة صلاتهم النوافل ، ومن صلى العشاء والصبح فى جماعة فقد أخذ  
 بحظه من هذا (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين) يعنى أنه لا يعلم أحد مقدار ما يعطيهم الله من النعيم  
 وقرئ أخفى يأسكان الياء على أن يكون فعل المتكلم وهو الله تعالى (أفمن كان مؤمناً) الآية : يعنى المؤمنين

الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۝ وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّكَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ۝ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً مُّهْتَدٍ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ \* إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْضِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأَفَلَا يَسْمَعُونَ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ

والفاسقين على العموم ، وقيل يعني علي بن أبي طالب وعقبة بن أبي معيط (فذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) الذي نعت بالعذاب ، ولذلك أعاد عليه الضمير المذكور في قوله به ، فإن قيل : لم وصف هنا العذاب وأعاد عليه الضمير ، ووصف في سبأ النار وأعاد عليها الضمير ، وقال عذاب النار التي كنتم بها تكذبون ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول أنه خص العذاب في السجدة بالوصف اعتناء به لما تكرر ذكره في قوله ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر ، والثاني أنه قدم في السجدة ذكر النار ، فكان الأصل أن يذكرها بعد ذلك بلفظ الضمير ، لكنه جعل الظاهر مكان المضمرة فكما لا يوصف المضمرة لم يوصف ما قام مقامه وهو النار ، ووصف العذاب ولم يوصف النار ، الثالث وهو الأقوى أنه امتنع في السجدة وصف النار فوصف العذاب ، وإنما امتنع وصفها لتقدم ذكرها ، فإنك إذا ذكرت شيئاً ثم كررت ذكره لم يجوز وصفه ، كقولك رأيت رجلاً فأكرمت الرجل ، فلا يجوز وصفه لثلاث يفهم أنه غيره (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى) يعني الجوع ومصائب الدنيا وقيل القتل يوم بدر ، وقيل عذاب القبر وهذا بعيد لقوله ولعلمهم يرجعون ، (إنا من المجرمين منتقمون) هذا وعيد لمن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ، وكان الأصل أن يقول إنا منه منتقمون ، ولكنه وضع المجرمين موضع المضمرة ليصفهم بالإجرام ، وقدم المجرور على منتقمون للبالغة ( فلا تكن في مريّة من لقائه ) المريّة الشك ، والضمير لموسى : أي لا تتر في لقائك موسى ليلة الإسراء وقيل المعنى لا تشك في لقاء موسى والكتاب الذي أنزل عليه ، والكتاب على هذا التوراة ، وقيل الكتاب هنا جنس ، والمعنى : لقد آتينا موسى الكتاب فلا تشك أنت في لقائك الكتاب الذي أنزل عليك ، وعبر بالآتاء عن إزال الكتاب كقوله « وإنك لتلقى القرآن ، (يفصل بينهم) الضمير لجميع الخلق ، وقيل لبني إسرائيل خاصة (أولم يهد لهم) ذكر في طه (يمشون في مساجدكم) الضمير في مشون لأهل مكة : أي يمشون في مساجد القوم المهلكين : كقوله « وقد تبين لكم من مساكنهم ، وقيل الضمير للمهلكين : أي أهلكناهم وهم يمشون في مساجدكم ، والأول أحسن ، لأن فيه حجة على أهل مكة (الأرض الجرّز) يعني التي لا نبات فيها من شدة العطش

وَأَنْفُسَهُمْ أَفَلَا يَبْصُرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتظَرُونَ ۝

## سورة الاحزاب

مدينة وآياتها ٧٣ نزلت بعد آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَأَتَّبِعْ مَا يوحىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّاتِي تُظَاهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ

(متى هذا الفتح) أى الحكم بين المسلمين والكفار فى الآخرة ، وقيل يعنى فتح مكة ، وهذا بعيد لقوله (قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ، وذلك فى الآخرة ، وقيل يعنى فتح مكة ، لأن من آمن يوم فتح مكة نفعه إيمانه (فأعرض عنهم) منسوخ بالسيف (وانتظر إنهم منتظرون) أى انتظرها لكهم إنهم ينتظرون هلاكك ، وفى هذا تهديد لهم

## سورة الاحزاب

(يا أيها النبي) نداء فيه تكريم له ، لأنه ناداه بالنبوة ، ونادى سائر الأنبياء بأسمائهم (اتق الله) أى دم على التقوى وزد منها (ولا تطع الكافرين والمنافقين) أى لا تقبل أقوالهم وإن أظهروا أنها نصيحة ، ويعنى بالكافرين المظهرين للكفر وبالمنافقين الذين يظهرون الإسلام ويخفون الكفر وروى أن الكافرين هنا . أبى بن خلف ، والمنافقين هنا : عبد الله بن أبى بن سلول ، والعموم أظهر (ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) قال ابن عباس ، كان فى قريش رجل يقال له ذو القلبين لشدة فهمه ، فنزلت الآية نفياً لذلك ، ويقال إنه ابن أخطا ، وقيل جميل بن معمر ، وقيل إنما جاء هذا اللفظ توطئة لما بعده من النفي أى كما لم يجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه كذلك لم يجعل أزواجكم أمهاتكم ولا أدعياءكم أبناءكم (اللاتى تظاهرون منهن) أى تقولون للزوجة : أنت على كظهر أمى ، وكانت العرب تطلق هذا اللفظ بمعنى التحريم ويأتى حكمه فى المجادلة وإنما تعدى هذا الفعل بمن لأنه يتضمن معنى يتباعدون منهن (وما جعل أدعياءكم أبناءكم) الادعياء جمع دعوى ، وهو الذى يدعى ولد فلان وليس بولده ، وسببها أمر زيد بن حارثة : وذلك أنه كان قتي من كلب فسباه بعض العرب وباعه من خديجة فوهبته للنبي صلى الله عليه وسلم فتبناه ؛ فكان يقال له زيد بن محمد حتى أنزلت هذه الآية (ذلكم قولكم) الإشارة إلى نسبة الدعى إلى غير أبيه ، أو إلى كل ما تقدم من المنفيات ، وقوله (بأفواهكم) تأكيد لبطلان القول (ادعوهم لأبائهم) الضمير للأدعياء أى انسبواهم لأبائهم الذين ولدوهم

اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ  
بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ  
مَسْطُورًا ۝ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا  
مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ۝ لَيْسَلِ الصَّادِقِينَ عَنْ صَدَقَتِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا  
نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝  
إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ ۝

( النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ) يقتضى أن يحبوه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أكثر مما يحبون  
أنفسهم وأن ينصروا دينه أكثر مما ينصرون أنفسهم ( وأزواجه أمهاتهم ) جعل الله تعالى لأزواج  
النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم حرمة الأمهات فى تحريم نكاحهن ووجوب مسيرتهن ، ولكن  
أوجب حجبهن عن الرجال ( وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض ) هذا نسخ لما كان فى صدر الإسلام من  
التوارث بأخوة الإسلام ، وبالهجرة وقد تكلمنا عليها فى الأنفال ( فى كتاب الله ) يحتمل أن يريد القرآن  
أو اللوح المحفوظ ( من المؤمنين ) يحتمل أن يكون بيانا لاولى الأرحام أو يتعلق بأولى : أى أولوا الأرحام  
أولى بالميراث من المؤمنين الذين ليسوا بذوى أرحام ( إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا ) يريد الاحسان  
إلى الأولياء الذين ليسوا بقراة و نفعهم فى الحياة ، والوصية لهم عند الموت ، فذلك جائز و مندوب إليه ،  
وإن لم يكونوا قراة ، وأما الميراث فللقراة خاصة ، واختلف هل يعنى بالأولياء المؤمنين خاصة أو المؤمنين  
و الكافرين ( فى الكتاب مسطورا ) يعنى القرآن أو اللوح المحفوظ ( وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ) هو الميثاق بتبليغ  
الرسالة والقيام بالشرائع ، وقيل هو الميثاق الذى أخذه حين أخرج نبي آدم من صلب آدم كالذر ، والأول  
أرجح لأنه هو المختص بالأنبياء ( ومنك ومن نوح ) قد دخل هؤلاء فى جملة النبيين ولكنه خصهم بالذكر  
تشريفا لهم ، و قدم محمدا صلى الله عليه وآله وسلم تفضيلا له ( ميثاقا غليظا ) يعنى الميثاق المذكور ، وإنما  
كرره تأكيدا وليصفه بأنه غليظ أى وثيق ثابت يجب الوفاء به ( ليسأل الصادقين ) اللام تحتمل أن تكون لام كي أو  
لام الصيرورة ، والصدق هنا يحتمل أن يكون الصدق فى الأقوال أو الصدق فى الأفعال والعزائم ويحتمل أن يريد  
بالصادقين الأنبياء وغيرهم من المؤمنين ( إذ كررنا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود ) هذه الآية وما بعدها نزلت فى قصة  
غزوة الخندق ، والجنود المذكورة هم قريش ومن كان معهم من الكفار ، وسماهم الله فى هذه السورة الأحزاب  
وكانوا نحو عشرة آلاف حاصروا المدينة وحفر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخندق حولها لينبئهم من  
دخولها ( فأرسلنا عليهم ريحا ) أرسل الله عليهم ريح الصبا فأطفأت نيرانهم وأكفأت قلوبهم ولم يمكنهم معها  
قرار فانصرفوا خائبين ( و جنودا لم تروها ) يعنى الملائكة ( إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم ) أى حصروا  
المدينة من أعلاها ومن أسفلها ، وقيل معنى من فوقكم أهل نجد لأن أرضهم فوق المدينة ومن أسفل منكم  
أهل مكة رسائر تهامة ( وإذ زاعت الأبصار ) أى مالت عن مواضعها وذلك عبارة عن شدة الخوف ( وبلغت

هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا ۖ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۖ وَإِذْ قَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۖ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوهُا وَمَا تَلَبَّوْا بِهَا إِلَّا سِيرًا ۖ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْتُوا الْآدَبَ ۖ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ۖ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۖ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِن أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهْم مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۖ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْوِقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ۖ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ ينظرون

القلوب الحناجر) جمع حنجرة وهي الحلق وبلوغ القلب إليها مجاز، وهو عبارة عن شدة الخوف، وقيل بل هي حقيقة لأن الرثة تنتفع من شدة الخوف قتربو ويرتفع القلب بارتفاعها إلى الحنجرة (وتظنون بالله الظنونا) أى تظنون أن الكفار يغلبونكم وقد وعدكم الله بالنصر عليهم، فأما المنافقون فظنوا ظن السوء وصرحوا به، وأما المؤمنون فربما خطرت لبعضهم خطرة مما لا يمكن البشر دفعها ثم استبصروا ووثقوا بوعد الله، وقرأ نافع: الظنونا، والرسولا، والسبيلا، بالألف في الوصل وفي الوقف، وقرئ بإسقاطها في الوصل والوقف، وبإثباتها في الوقف دون الوصل فأما إسقاطها فهو الأصل وأما إثباتها فلتعديل رهوس الآي لأنها كالتقوافي، وتقتضى هذه العلة أن تثبت في الوقف خاصة، وأما من أثبتا في الحالين، فإنه أجرى الوصل مجرى الوقف هنالك ابتلى المؤمنون) أى اختبروا أو أصابهم بلاء، والعامل في الظرف ابتلى وقيل ما قبله (وزلزلوا) أصل الزلزلة شدة التحريك وهو هنا عبارة عن اضطراب القلوب (وإذ يقول المنافقون) روى أنه معتب بن قشير (وإذ قالت طائفة) قال السهيلي الطائفة تقع على الواحد فما فوقه والمراد هنا أوس بن قبطي (يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا) يثرب اسم المدينة وقيل اسم البقعة التي المدينة في طرف منها، ومقام اسم موضع من القيام أى لا قرار لكم هنا يعنون موضع القتال وقرئ بالضم وهو اسم موضع من الإقامة وقولهم فارجعوا أى إلى منازلكم بالمدينة ودعوا القتال (ويستأذن فريق منهم النبي) أى يستأذنه في الانصراف والمستأذن أوس بن قبطي وعشيرته وقيل بنو حارثة (إن بيوتنا عورة) أى منكشفة للعدو وقيل خالية للسراق فكذبهم الله في ذلك (ولو دخلت عليهم من أقطارها) أى لو دخلت عليهم المدينة من جهاتها (ثم سئلوا الفتنة) يريد بالفتنة الكفر أو قتال المسلمين (لآتوها) قرئ بالقصر بمعنى جاؤا إليها وبالمد بمعنى أعطوها من أنفسهم (وما تلبثوا بها) الضمير للمدينة (قد يعلم الله) دخلت قد على الفعل المضارع بمعنى التهديد وقيل للتعليل على وجه التهكم (المعوقين منكم) أى الذين يعوقون الناس عن الجهاد ويمنعونهم منه بأقوالهم وأفعالهم (والقائلين لإخوانهم هلم إلينا) هم المنافة الذين وعدوا بالمدينة عن الجهاد وكانوا يقولون لقرابتهم أول للمنافقون مثلهم هلم إلى الجلوس معنا بالمدينة وترك القتال، وقد ذكر هلم في الأنعام (ولا يأتون البأس إلا قليلا) البأس القتال، وقليل صفة لمصدر محذوف تقديره إلا إتيانا قليلا، أو مستثنى من فاعل يأتون: أى إلا قليلا منهم

إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْحَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حَدَادٍ أَشْحَةً عَلَىٰ الْخَيْرِ  
 أَوْلَيْتِكُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرًا ۖ يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ  
 الْأَحْزَابَ يُوَدُّوهُمُ الْوَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتُلُونَ عَنْ آبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ۗ لَقَدْ  
 كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۗ وَلَمَّا رَأَى  
 الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ۗ مِنْ  
 الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ۗ لِيَجْزِيَ

(أشحة عليكم) أشحة جمع شحيح بوزن فعيل معناه يشحون بأنفسهم فلا يقا تلون ، وقيل يشحون بأموالهم ،  
 وقيل معناه أشحة عليكم وقت الحرب أي يشفقون أن يقتلوا ونصب أشحة على الحال من القائلين ، أو على  
 المعوقين ، أو من الضمير في يأتون ، أو نصب على الذم (فإذا جاء الحوف رأيتهم ينظرون إليك ) أي إذا  
 اشتدت الخوف من الأعداء نظر إليك هؤلاء في تلك الحالة ولاذوا بك من شدة خوفهم ( تدور أعينهم  
 كالذي يغشى عليه من الموت ) عبارة عن شدة خوفهم ( فإذا ذهب الحوف سلقوكم بالسنة حداد ) السلق  
 بالالسنة عبارة عن الكلام بكلام مستكره ، ومعنى حداد فصحاء قادرين على الكلام وإذا نصركم الله فزال  
 الخوف رجع المنافقون إلى إذائتكم بالسب وتقيص الشريعة ، وقيل إذا غنمتم طلبوا من الغنائم ( أشحة على  
 الخير ) أي يشحون بفعل الخير وقيل يشحون بالمعاني ، وانتصابه هنا على الحال من الفاعل في سلقوكم ( لم  
 يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم ) ليس المعنى أنها حبطت بعد ثبوتها ، وإنما المعنى أنها لم تقبل لأن الإيمان شرط  
 في قبول الأعمال ، وقيل إنهم نافقوا بعد أن آمنوا ، فالإحباط على هذا حقيقة ( يحسبون الأحزاب لم يذهبوا )  
 الأحزاب هنا هم كفار قريش ومن معهم ، فالعنى أن المنافقين من شدة جزعهم يظنون أن الأحزاب لم ينصرفوا  
 عن المدينة وهم قد انصرفوا ( وإن يأت الأحزاب يودوا والوأنهم بادون في الأعراب ) معنى يودوا ياتمنوا ، وبادون  
 خارجون في البادية والأعراب هم أهل البوادي من العرب فعنى الآية أنه إن أتى الأحزاب إلى المدينة مرة أخرى تمنى  
 هؤلاء المنافقون من شدة جزعهم أن يكونوا في البادية مع الأعراب وأن لا يكونوا في المدينة بل غائبين عنها يسألون  
 من ورد عليهم عن آبائكم ( لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ) أي قدوة تقتدون به صلى الله عليه وسلم  
 في اليقين والصبر وسائر الفضائل ، وقرئ أسوة بضم الهمزة والمعنى واحد ( هذا ما وعدنا الله ورسوله ) قيل  
 إن هذا الوعد ما أعلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمر بحفر الخندق من أن الكفار ينزلون ، وأنهم  
 ينصرفون خائبين ، وقيل إنه قول الله تعالى ۗ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من  
 قبلكم مستهم البأساء والضراء ، الآية ، فعلوا أنهم يبتلون ثم ينصرون ( فمنهم من قضى نحبه ) يعني قتل شهيدا  
 قال أنس بن مالك يعني عمي أنس بن النضر ، وقيل يعني حمزة بن عبدالمطلب ، وقضاء النحب عبارة عن الموت  
 عند ابن عباس وغيره ، وقيل قضى نحبه : وفي العهد الذي عاهد الله عليه ، وبدل على هذا ماورد أن  
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « طلحة من قضى نحبه ، وهو لم يقتل حينئذ (ومنهم من ينتظر) المفعول

اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصَدَقِهِمْ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ بِكُمْ رَحِيمًا ۖ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۖ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۖ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۖ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمْتَعَنَّ وَأَسْرَحْنَ سَرًا حَسْبُكِ الدُّنْيَا وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ

مخدوف : أى ينظر أن يقضى نجه ، أو ينتظر الشهادة فى سبيل الله على قول ابن عباس ، أو ينتظر الحصول فى أعلى مراتب الإيمان والصلاح على القول الآخر (وأزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيمهم) الصياصى هى الحصون ، ونزلت الآية فى يهود بنى قريظة ، وذلك أنهم كانوا معاهدين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنقضوا عهده وصاروا مع قريش فلما انصرفت قريش عن المدينة حصر رسول الله بنى قريظة حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم بأن يقتل رجالهم ويسبي نساؤهم وذريتهم (فريقا تقتلون) يعنى الرجال وقتل منهم يومئذ كل من أنبت وكانوا بين ثمانمائة أو تسعمائة (وتأسرون فريقا) يعنى النساء والذرية (أورثكم أرضهم) يعنى أرض بنى قريظة قسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين (وأرضا لم تطؤها) هذا وعد بفتح أرض لم يكن المسلمون قد وطؤها حينئذ وهى مكة واليمن والشام والعراق ومصر ، فأورث الله المسلمين جميع ذلك وماوراءها إلى أقصى المشرق والمغرب ، ويحتمل عندى أن يريد أرض بنى قريظة ، لأنه قال أورثكم بالفعل الماضى وهى التى كانوا أخذوها حينئذ ، وأما غيرها من الأرضين ، فإنما أخذها بعد ذلك فلما أرادها لقال يورثكم إنما كررها بالعطف ليصفها بقوله لم تطؤها : أى لم تدخلوها قبل ذلك (بأيها النبى قل لأزواجك إن كنن تردن الحياة الدنيا وزينتها) الآية : سبها أن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم تغايرن حتى غمه ذلك وقيل طابن منه الملابس ونفقات كثيرة ، وكان أزواجه يومئذ تسع نسوة خمس من قريش وهن عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنه وسودة بنت زمعة ، وأم حبيبة بنت أبى سفيان ، وأم سلمة بنت أبى أمية ، وأربع من غير قريش وهم ميمونة بنت الحارث الهلالية ، وصفية بنت حبي من بنى إسرائيل وزينب بنت جحش الأسدية ، وجويرية بنت الحارث من بنى المصطلق (فتعالين أمتعنن وأسرحنن سراحا جميلا) أصل تعال أن يقوله من كان فى موضع مرتفع لمن فى موضع منخفض ثم استعملت بمعنى أقبل فى جميع الأمكنة ؛ وأمتعنن من المتعة وهى الإحسان إلى المرأة إذا طلقت والسراح الطلاق ، فعنى الآية أن الله أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يخير نساءه بين الطلاق والمتعة إن أرادوا زينة الدنيا ، وبين البقاء فى عصمته إن أرادوا الآخرة ، فبدأ صلى الله عليه وسلم بعائشة : فاخترت البقاء فى عصمته ، ثم تبعها سائرهن فى ذلك ، فلم يقع طلاق ، وقالت عائشة : خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعد ذلك طلاقا ، وإذا اخترت الخيرة الطلاق : فذهب مالك أنه ثلاث وقيل طلقة بائنة ، وقيل طلقة رجعية ووصف السراح بالجميل : يحتمل أن يريد أنه دون الثلاث ، أو يريد أنه ثلاث ، وجماله حسن الرعى والثناء

الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْحَسَنَاتِ مِثْقَالَ حَبِّ خَلْتٍ \* يَنْسَاءَ النَّبِيَّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَعَفُ  
لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا \* وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا  
مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا \* يَنْسَاءَ النَّبِيَّ لَسَانٌ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ  
الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا \* وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ  
الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

وحفظ العهد (للحسنيات منكن) من للبيان لا للتبويض ، لأن جميعهن محسنات (بفاحشة مبينة) قيل يعنى  
الزنا ، وقيل يعنى عصيان زوجهن عليه الصلاة والسلام ، أو تكليفه ما يشق عليه ، وقيل عموم في المعاصي  
(يضاعف لها العذاب ضعفين) أى يكون عذابها في الآخرة مثل عذاب غيرها مرتين ، وإنما ذلك لعلو  
رتبتن ، لأن كل أحد يطالب على مقدار حاله ، وقرئ يضاعف بالياء ورفع العذاب على البناء للفعول وبالنون  
ونصب العذاب على البناء للفاعل (ومن يقنت منكن لله ورسوله) قرئ بالياء حملا على لفظ من وبالتاء حملا  
على المعنى ، وكذلك تعمل ، والقنوت هنا بمعنى الطاعة (تؤتها أجرها مرتين) أى يضاعف لها ثواب الحسنيات  
(رزقا كريما) يعنى الجنة ، وقيل في الدنيا ، والأقول هو الصحيح (لستن كأحد من النساء إن اتقين) فضلهن  
الله على النساء بشرط التقوى ، وقد حصل لمن التقوى فحصل التفضيل على جميع النساء ، إلا أنه يخرج  
من هذا العموم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون لشهادة  
رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل واحدة منهن بأنها سيدة نساء عالمها (فلا تخضعن بالقول) نهى عن الكلام  
اللين الذى يعجب الرجال ويميلهن إلى النساء (في قلبه مرض) أى فجور وميل للنساء ، وقيل هو النفاق ،  
وهذا بعيد في هذا الموضع (وقلن قولا معروفا) هو الصواب أو الذى ليس فيه شيء مما نهى عنه  
(وقرن في بيوتكن) قرئ بكسر القاف ، ويحتمل وجهين: أن يكون من الوقار أو من القرار في الموضع ،  
ثم حذف الراء الواحدة كما حذف اللام في ظلت ، وأما القراءة بالفتح فمن القرار في الموضع على لغة من يقول  
قررت بالكسر أقر بالفتح ، والمشهور في اللغة عكس ذلك ، وقيل هى من قاريقار إذا اجتمع ومعنى القرار  
أرجح ، لأن سودة رضى الله عنها قيل لها لم لا تخرجين فقالت أمرنا الله بأن نقر في بيوتنا ، وكانت عائشة  
إذا قرأت هذه الآية تبكى على خروجها أيام الجمل ، وحينئذ قال لها عمر: إن الله أمرك أن تقرى في بيتك  
(ولا تبرجن) التبرج إظهار الزينة (تبرج الجاهلية الأولى) أى مثل ما كان نساء الجاهلية يفعلن من الانكشاف  
والتعرض للنظر ، وجعلها أولى بالنظر إلى حال الإسلام ، وقيل الجاهلية الأولى ما بين آدم ونوح ، وقيل  
ما بين موسى وعيسى (الرجس) أصله النجس ، والمراد به هنا النقاىص والعيوب (أهل البيت) منادى أو منصوب  
على التخصيص ، وأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم: هم أزواجه وذريته وأقاربه كالعباس وعلى وكل من حرمت عليه  
الصدقة ، وقيل المراد هنا أزواجه خاصة ، والبيت على هذا المسكن ، وهذا ضعيف لأن الخطاب بالتذكير ، ولو أراد  
ذلك لقال عنسكن وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزلت هذه الآية في خمسة: في ولد على وفاطمة والحسن

تَطْهِيراً ۝ وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ۝ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ  
وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ  
وَالْحَاشِعِينَ وَالْحَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ  
وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ  
اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۝ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُبِينًا ۝ وَإِذْ تَقُولُ  
لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفِي النَّاسَ

والحسين ( واذكرن ) خطاب لآزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم خصهن بعد دخولهن مع أهل البيت ،  
وهذا الذكر يحتمل أن يكون التلاوة أو التذکر بالقلب ، وآيات الله هي القرآن والحكمة هي السنة ( إن  
المسلمين والمسلمات ) الآية : سببها أن بعض النساء قلن ذكر الله الرجال ولم يذكرنا ، فنزل فيها ذكر النساء  
( والمؤمنين والمؤمنات ) الإسلام هو الانقياد ، والإيمان هو التصديق ، ثم إنهما يطلقان بثلاثة أوجه باختلاف  
المعنى كقوله ۝ لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ، وبالاتفاق لاجتماعهما كقوله ۝ فأخرجنا من كان فيها من  
المؤمنين ، الآية ، وبالعموم فيكون الإسلام أعم ، لأنه بالقلب والجوارح ، والإيمان أخص لأنه بالقلب  
خاصة ، وهذا هو الأظهر في هذا الموضوع ( والقائتين والقائات ) يحتمل أن يكون بمعنى العبادة أو الطاعة  
( والصادقين والصادقات ) يحتمل أن يكون من صدق القول أو من صدق العزم ( وما كان لمؤمن ) الآية :  
معناها أنه ليس لمؤمن ولا مؤمنة اختيار مع الله ورسوله بل يجب عليهم التسليم والانقياد لأمر الله ورسوله  
والضمير في قوله من أمرهم : راجع إلى الجمع الذي يقتضيه قوله لمؤمن ولا مؤمنة لأن معناه العموم في جميع  
المؤمنين والمؤمنات ، وهذه الآية توطئة للقصة المذكورة بعدها ، وقيل سببها أن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم خطب امرأة ابنتها لمولاه زيد بن حارثة ، فكرهت هي وأهلها ذلك فلما نزلت الآية قالوا رضينا  
بارسول الله ، واختلف هل هذه المخطوبة زينب بنت جحش أو غيرها ، وقد قيل إنها أم كلثوم بنت عقبة بن  
أبي معيط ( وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه ) هو زيد بن حارثة الكلبي ، وإنعام الله عليه بالإسلام  
وغيره وإنعام النبي صلى الله عليه وسلم بالعتق وكانت عند زيد بن حارثة بنت جحش وهي بنت أميمة عمة النبي صلى الله  
عليه وسلم ، فشكا زيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سوء معاشرتها وتعاضمها عليه ، وأراد أن يطلقها فقال  
له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمسك عليك زوجك واتق الله ، يعني فيما وصفها به من سوء المعاشرة  
واتق الله ولا تطلقها فيكون نهيها عن الطلاق على وجه التنزيه ، كما قال عليه الصلاة والسلام : أبغض المباح  
إلى الله الطلاق ( وتخفي في نفسك ما الله مبديه ) الذي أخفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر جائز مباح  
لأنه فيه ولا عتب ولكنه خاف أن يسلم الله عليهم ألسنتهم وينالوا منه ، فأخفاه حياء وحشمة وصيانة  
لعرضه ، وذلك أنه روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حريصا على أن يطلق زيد بن حارثة ليتزوجها هو  
صلى الله عليه وسلم لقرابتها منه ولحسبها ، فقال أمسك عليك زوجك وهو يخفي الحرص عليها خوفا من كلام

وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ فُلَمَا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوْجَهَا لَكِي لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ۗ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ۗ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ۗ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ

الناس لثلاثا يقولوا تزوج امرأة ابنه إذ كان قد تبناه ، فالذي أخفاه صلى الله عليه وسلم هو إرادة تزوجها فأبدي الله ذلك بأن قضى له بتزوجها ، فقالت عائشة : لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا من الوحي لكتمت هذه الآية لشدها عليه ، وقيل إن الله كان أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج زينب بعد طلاق زيد ، فالذي أخفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أعلمه الله به من ذلك (فلما قضى زيد منها وطرا زوجنا بها) لم يذكر أحد من الصحابة في القرآن باسمه غير زيد بن حارثة ، والوطر الحاجة ، قال ابن عطية : ويراد به هنا الجماع ، والأحسن أن يكون أعم من ذلك : أى لما لم يبق لزيد فيها حاجة زوجها الله من نبيه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، وأسند الله تزويجها إليه تشريفا لها ، ولذلك كانت زينب تفتخر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم وتقول إن الله زوجني نبيه من فوق سبع سموات ، واستدل بعضهم بقوله زوجنا كها على أن الأولى أن يقال في كتاب الصداق أنكحه إياها بتقديم ضمير الزوج على ضمير الزوجة كما في الآية (لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم) المعنى أن الله زوج زينب امرأة زيد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعلم المؤمنين أن تزوج نساء أدعيائهم حلال لهم فإن الأدعياء ليسوا بأبناء حقيقة (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له) المعنى أن تزوج النبي صلى الله عليه وسلم لزيب بعد زيد حلال لا حرج فيه ولا إثم ولا عتاب ، وفي ذلك رد على من تكلم في ذلك من المنافقين . وفرض هنا بمعنى قسم له (سنة الله في الذين خلوا من قبل) أى عادة الله في الأنبياء المتقدمين أن ينالوا ما أحل الله لهم ، وقيل الإشارة بذلك إلى داود في تزوجه للمرأة التي جرى له فيها مجرى ، والعموم أحسن ، ونصب سنة على المصدر ، أو على إضمار فعل أو على الإغراء (الذين يبلغون رسالات الله) صفة للذين خلوا من قبل ، وهم الأنبياء أوقف على إضمار مبتدأ ، أو نصب بإضمار فعل (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم) هذا رد على من قال في زيد بن حارثة زيد ابن محمد ، فاعترض على النبي صلى الله عليه وسلم تزوج امرأة زيد ، وعموم النبي في الآية لا يعارضه وجود الحسن والحسين ، لأنه صلى الله عليه وسلم ليس أباهما في الحقيقة لأنهما ليسا من صلبه ، وإنما كانا ابني بنته ، وأما ذكر أولاده فاتوا صغارا فليسوا من الرجال (وخاتم النبيين) أى آخرهم فلا نبي بعده صلى الله عليه وسلم وقرئ بكسر التاء بمعنى أنه ختمهم فهو خاتم ، وبالفتح بأنهم ختموا به فهو كالتام والطابع لهم ، فإن قيل إن عيسى ينزل في آخر الزمان فيكون بعده عليه الصلاة والسلام ، فالجواب أن النبوة أوتيت عيسى قبله عليه الصلاة والسلام ، وأيضا فإن عيسى يكون إذ أنزل على شريعته عليه الصلاة والسلام ، فكأنه واحد من أمته (اذكروا الله ذكرا كثيرا) اشترط الله الكثرة في الذكر حيثما أمر به بخلاف سائر الأعمال ، والذكر يكون بالقلب وباللسان وهو

اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۗ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ  
عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۗ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ۗ وَءَاذَنُ  
لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ۗ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۗ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۗ  
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۗ وَلَا تَطْعِ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ وَدَعِ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ  
وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۗ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ  
عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدَاةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَنَعُوهُنَّ وَسَرَحوهُنَّ سِرَاحًا جَمِيلًا ۗ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي  
ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا ءَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ  
خَالَتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ

على أنواع كثيرة من التهليل والتسييح والحمد والتكبير وذكر أسماء الله تعالى (وسبحوه بكرة وأصيلا) قيل  
إن ذلك إشارة إلى صلاة الصبح والعصر ، والأظهر أنه أمر بالتسييح في أول النهار وآخره ، وقال ابن عطية  
أراد في كل الأوقات فحد النهار بطرفيه (هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم) هذا خطاب للمؤمنين ،  
وصلاة الله عليهم رحمة لهم ، وصلاة الملائكة عليهم دعاؤهم لهم ، فاستعمل لفظ يصلي في المعنيين على اختلافهما  
وقيل إنه على حذف مضاف تقديره وملائكته يصلون (تحيتهم يوم يلقونه سلام) قيل يعني يوم القيامة ،  
وقيل في الجنة وهو الأرجح لقوله وتحيتهم فيها سلام ، ويحتمل أن يريد تسليم بعضهم على بعض أو قول  
الملائكة لهم سلام عليكم طيبم (إننا أرسلناك شاهدا) أى يشهد على أمته (وداعيا إلى الله بإذنه) أى بأمر الله وإرساله  
(وسراجا منيرا) استعارة للنور الذى يتضمنه الدين (ودع أذانم) يحتمل وجهين أحدهما لا تؤذم فالمصدر على هذا  
مضاف إلى المفعول ونسخ من الآية على هذا التأويل ما يخص الكافرين بآية السيف ، والآخر احتمال إزواجهم لك  
وأعرض عن أقوالهم ، فالمصدر على هذا مضاف للفاعل (إذنا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن) الآية : معناه سقوط  
العدة عن المطلقة قبل الدخول فالتكاح فى الآية هو العقد والمس هو الجماع ، وتعدونها من العدد (فمنعهن)  
هذا يقتضى متعة المطلقة قبل الدخول سواء فرض لها أو لم يفرض لها صداق وقوله تعالى فى البقرة وإن  
طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم ، يقتضى أن المطلقة قبل الدخول  
وقد فرض لها يجب لها نصف الصداق ولا متعة لها وقد اختلف هل هذه الآية ناسخة لآية البقرة أو  
منسوخة بها ويمكن الجمع بينهما بأن تكون آية البقرة مبينة لهذه مخصصة لعمومها (يا أيها النبي إنا أحللتنا لك  
أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) فى معناها قولان أحدهما أن المراد أزواجه اللاتي فى عصمته حينئذ  
كعائشة وغيرها ، وكان قد أعطاهن مهورهن ، والآخر أن المراد جميع النساء ، فأباح الله له أن يتزوج كل  
امراة يعطى مهرها وهذا أوسع من الأول (وما ملكت يمينك) أباح الله له مع الأزواج السرارى بملك اليمين  
وعنى بقوله أفاء الله عليك : الغنائم (وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك) يعنى قرابته

دُونَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ  
اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا تَرْجَى مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوَى إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ وَمِنْ ابْتِغَيْتَ مِنْ عَزَلَتْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ  
ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَأَ عَيْنَهُنَّ وَلَا يُحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا

من جهة أبيه ومن جهة أمه ، وكان له عليه الصلاة والسلام أعمام وعمات إخوة لآبيه ، ولم يكن لأمه عليه الصلاة  
والسلام أخ ولا أخت ، وإنما يعنى بخاله وخالاته عشيرة أمه وهم بنو زهرة ، ولذلك كانوا يقولون نحن  
أخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن قال إن المراد بقوله أحلها لك أزواجك : من كانت في عصمته :  
فهو عطف عليهن ، وإباحة لأن يتزوج قرابته زيادة على من كان في عصمته ، ومن قال إن المراد جميع  
النساء فهو تجريد منهن على وجه التشريف بعد دخول هؤلاء في العموم ( اللاتي هاجرن معك ) تخصيص  
تحرز به عن لم يهاجر كالطلاق الذين أسلموا يوم فتح مكة ( وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي ) أباح الله  
له صلى الله عليه وسلم من وهبت له نفسها من النساء ، واختلف هل وقع ذلك أم لا ؟ فقال ابن عباس : لم  
تكن عند النبي صلى الله عليه وسلم امرأة إلا بنكاح أو ملك يمين ، لابهية نفسها ، ويؤيد هذا قراءة الجمهور  
إن وهبت بكسر الهمزة أى إن وقع ، وقيل قد وقع ذلك ، وهو على هذا القول قرئ أن وهبت بفتح  
الهمزة ، واختلف على هذا القول فيمن هي التي وهبت نفسها فقيل ميمونة بنت الحارث ، وقيل زينب  
بنت خزيمة أم المساكين ، وقيل أم شريك الأنصارية ، وقيل أم شريك العامرية ( خالصة لك من دون  
المؤمنين ) أى هبة المرأة نفسها مزية خاصة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم دون غيره ، وانظر كيف يرجع  
من الغيبة إلى الخطاب ليخص المخاطب وحده ، وقيل إن خالصة يرجع إلى كل ما تقدم من النساء المباحات  
له صلى الله عليه وسلم لأن سائر المؤمنين قصرُوا على أربع نسوة ، وأبيح له عليه الصلاة والسلام أكثر  
من ذلك ، ومذهب مالك أن النكاح بلفظ الهبة لا ينعقد بخلاف أبي حنيفة ، وإعراب خالصة مصدر أو  
حالة أو صفة لامرأة ( قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم ) يعنى أحكام النكاح من الصداق والولى والاقتصار  
على أربع وغير ذلك ( لكيلا يكون عليك حرج ) يتعاق بالآية التي قبله أى بينا أحكام النكاح لئلا يكون  
عليك حرج أو لئلا يظن بك أنك فعلت ما لا يجوز ، وقال الزمخشري يتعلق بقوله خالصة لك ( ترجى من  
تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء ) معنى ترجى تؤخر وتبعد ، ومعنى تؤوى تضم وتقرب . واختلف في المراد  
بهذا الإرجاء والإبواء ، فقيل إن ذلك في القسمة بينهن : أى تكثير لمن شئت ، وتقليل لمن شئت ، وقيل إنه  
في الطلاق أى تمسك من شئت وتطلق من شئت ؛ وقيل معناه تزوج من شئت ، وترك من شئت ، والمعنى  
على كل قول توسعة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وإباحة له أن يفعل ما يشاء ، وقد اتفق الناقلون على أنه  
صلى الله عليه وسلم كان يعدل في القسمة بين نساءه : أخذاً منه بأفضل الأخلاق مع إباحة الله له ، والضمير  
في قوله منهن : يعود على أزواجه صلى الله عليه وآله وسلم خاصة أو على كل ما أحل الله له على حسب الخلاف  
المتقدم ( ومن ابتغيت من عزلات فلا جناح عليك ) فى معناه قولان : أحدهما من كنت عزلة من نساءك فلا جناح  
عليك فى رده بعد عزله ، والآخر من ابتغيت ومن عزلت سواء فى إباحة ذلك فمن للتبويض على القول الأول  
وأما على القول الثانى فتحو قولك من لقيك ومن لم يلقك سواء ( ذلك أدنى أن تقر أعينهن ) أى إذا علمن أن هذا

لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مَنْ أَزْوَاجَ لَوْ عَجِبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ۖ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرِ نَظْرِينَ إِنَّهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنَسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَىٰ النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي

حكم الله قرت به أعينهن ورضين به ، وزال ما كان بين من الغيرة ، فإن سبب نزول هذه الآية ما وقع لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم من غيرة بعضهم على بعض (لا يحل لك النساء من بعد) فيه قولان : أحدهما لا يحل لك النساء غير اللاتي في عصمتك الآن ولا تزيد عليهن ، قال ابن عباس لما خيرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترن الله ورسوله جازاهن الله على ذلك ، بأن حرم غيرهن من النساء كرامة لهن ، والقول الثاني : لا يحل لك النساء غير الأصناف التي سميت ، والخلاف هنا يجري على الخلاف في المراد بقوله . إنا أحلنا لك أزواجك : أى لا يحل لك غير من ذكر حسبها تقدم ، وقيل معنى لا يحل لك النساء : لا يحل لك اليهوديات والنصرانيات من بعد المسلمات المذكورات وهذا بعيد ، واختلف في حكم هذه الآية ، فقيل إنها منسوخة بقوله إنا أحلنا لك أزواجك على القول بأن المراد جميع النساء ، وقيل إن هذه الآية ناسخة لتلك على القول بأن المراد من كان في عصمته ، وهذا هو الأظهر لما ذكرنا عن ابن عباس ، ولأن التسع في حقه عليه الصلاة والسلام كالأربع في حق أمته (ولأن تبدل بين من أزواج) معناه لا يحل لك أن تطلق واحدة منهن وتتزوج غيرها بدلامنها ، وقيل معناه ما كانت العرب تفعله من المبادلة في النساء بأن ينزل الرجل عن زوجته لرجل وينزل الآخر عن زوجته له ، وهذا ضعيف (ولو أعجبك حسنهن) في هذا دليل على جواز النظر إلى المرأة إذا أراد الرجل أن يتزوجها (إلا ما ملكت يمينك) المعنى أن الله أباح له الإماء ، والاستثناء في موضع رفع على البدل من النساء أو في موضع نصب على الاستثناء من الضمير في حسنهن (لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام) سبب هذه الآية ما رواه أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب بنت جحش أولم عليها فدعا الناس ، فلما طعموا قعد نفر في طائفة من البيت فتقل ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فخرج ليخرجوا بخروجه ومر على حجر نسائه ثم عاد فوجدهم في مكانهم ، فانصرف فخرجوا عن ذلك ، وقال ابن عباس نزلت في قوم كانوا يتحينون طعام النبي صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام فيقعدون إلى أن يطبخ ثم يأكلون ولا يخرجون ، فأمر وأن لا يدخلوا حتى يؤذن لهم ، وأن ينصرفوا إذا أكلوا ، قلت : والقول الأول أشهر ، وقول ابن عباس أليق بما في الآية من النهي عن الدخول حتى يؤذن لهم ، فعلى قول ابن عباس في النهي عن الدخول حتى يؤذن لهم والقول الأول في النهي عن القعود بعد الأكل ، فإن الآية تضمنت الحكيم (غير ناظرين إناه) أى غير منتظرين لوقت الطعام ، وإنا الوقت ، وقيل إنا الطعام نضجه وإدراكه ، يقال أنى يأتي إناه) (ولكن إذا دعيتم فادخلوا) أمر بالدخول بعد الدعوة ، وفي ذلك تأكيد للنهي عن الدخول قبلها (فإذا طعمتم فانتشروا) أى انصرفوا ، قال بعضهم هذا أدب الله به الثقلاء ، وقالت عائشة رضی الله عنها : حسبك من الثقلاء أن الله لم يهتملهم (ولا مستأنسين لحديث) معطوف على غير ناظرين ، أو تقديره ولا تدخلوا مستأنسين ، ومعناه النهي عن أن يطلبوا الجلوس الأنس بحديث بعضهم مع بعض ، أو يستأنسوا بالحديث أهل البيت ، واستأنسهم : تسمعهم وتجسسهم (إن ذلكم كان يؤذى النبي) يعنى جلوسهم للحديث أو دخولهم بغير إذن (فيستحي منكم) تقديره

مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُولِكُمْ  
وَقُلُوبِكُمْ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ  
عَظِيمًا \* إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خَفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا \* لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا  
إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَاءِهِنَّ وَلَا مَمْلَكَتِكُمْ أَيْمَنَهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ  
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا \* إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا \* إِنْ

يستحي من إخراجكم ، بدليل قوله : والله لا يستحي من الحق : أى أن إخراجكم حق لا يتركه الله (؛ إذا  
سألتوهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب) المتاع الحاجة من الأثاث وغيره ، وهذه الآية نزلت في احتجاب  
أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وسببها ما رواه أنس من قعود القوم يوم الوليمة في بيت زينب ، وقيل  
سببها أن عمر بن الخطاب أشار على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يحجب نساءه فنزلت الآية موافقة  
لقول عمر ، قال بعضهم لما نزلت في أمهات المؤمنين «وإذا سألتوهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ، كن  
لا يجوز للناس كلامهن إلا من وراء حجاب ، ولا يجوز أن يراهن منتقبات ولا غير منتقبات ، فخصصن  
بذلك دون سائر النساء (ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) يريد أنقى من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء  
والنساء في أمر الرجال (ولا تنكحوا أزواجه) سببها أن بعض الناس قالوا لو مات رسول الله صلى الله عليه  
وسلم لتزوجت عائشة فحرم الله على الناس تزوج نساءه بعده كرامة له صلى الله عليه وآله وسلم (لا جناح عليهن  
في آبائهن ولا أبنائهن) الآية : لما أوجب الله الحجاب أباح لمن الظهور لذوى محارمهن من القرابة وهم :  
الآباء ، والأبناء ، والإخوة ، وأولادهم ، وأولاد الأخوات (ولانساتهن) قيل يريد بالنساء القرابة والمصرفات  
لهن ، وقيل يريد نساء جميع المؤمنات ، ويقوى الأول تخصيص النساء بالإضافة لمن ، ويقوى الثاني أنهن  
كن لا يحتجبن من النساء على الإطلاق (وما ملكت أيمانهن) واختلف فيمن أبيض لمن الظهور له من ملك  
اليمن ، فقيل الإمام دون العبيد ، وقيل الإمام والعبيد ، وهو أولى بلفظ الآية ، ثم اختلف من ذهب إلى هذا  
فقال قوم من ملكته من العبيد دون من ملكه غيرهن ، وهذا هو الظاهر من لفظ الآية ، وقال قوم جميع  
العبيد كن في ملكهن أو في ملك غيرهن (إن الله وملائكته يصلون على النبي) هذه الآية تشریف للنبي صلى الله  
عليه وسلم ، وقد ذكرنا معنى صلاة الله وصلاة الملائكة في قوله يصلى عليكم وملائكته (صلوا عليه وسلموا  
تسليما) الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرض إسلامي فالأمر به محمول على الوجوب ، وأقله  
مرة في العمر ، وأما حكمها في الصلاة : فذهب الشافعي أنها فرض تبطل الصلاة بتركه ، ومذهب مالك أنها  
سنة وصفتها ماورد في الحديث الصحيح اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على  
محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وقد اختلفت الروايات في ذلك اختلافا كثيرا  
أما السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل أن يريد السلام عليه في التشهد في الصلاة أو السلام عليه حين  
لقائه ، وأما السلام عليه بعد موته فقد قال صلى الله عليه وسلم من سلم على قريبا سمعته ، ومن سلم على بعيدا  
أبلغته ، فإن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء (إن الذين يؤذون الله ورسوله) إذ ذاية الله هي

الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا • وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ  
بِغَيْرِ مَا كَتَبْنَا قَدَّ أَحْتَمَلُوا بِهِنَا وَإِنَّا مُبِينًا • يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ  
عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِينٍ ذَلِكَ آدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ، لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ  
وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُحَاجِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا • مَلْعُونِينَ  
أَيُّ مَاتُفُوا أَخَذُوا وَقَتْلُوا تَقْتِيلًا • سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا • يَسْأَلُكَ النَّاسُ

بالإشارة ونسبة صاحبة والولده ، وليس معنى إذايته أنه يضره الأذى لأنه تعالى لا يضره شيء ولا ينفعه شيء ، وقيل إنها على حذف مضاف تقديره يؤذون أولياء الله ، والأول أرجح ، لأنه ورد في الحديث يقول الله تعالى ، يشتمني ابن آدم وليس له أن يشتمني ، ويكذبني وليس له أن يكذبني ، أما شتمه إياي فقوله إن لي صاحبة وولدا ، وأما تكذيبه إياي فقوله لا يعيدني كما بداني ، وأما إذاية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهي التعرض له بما يكره من الأقوال أو الأفعال ، وقال ابن عباس ، نزلت في الذين طعنوا عليه حين أخذ صفة بنت حبي (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) الآية : في البهتان وهو ذكر الإنسان بماليس فيه ، وهو أشد من الغيبة ، مع أن الغيبة محرمة ، وهي ذكره مافيه مما يكره (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) كان نساء العرب يكشفن وجوههن كما تفعل الإمام ، وكان ذلك داعيا إلى نظر الرجال لهم فأمرهن الله بإدناه الجلابيب ليسترن بذلك وجوههن ويفهم الفرق بين الحرائر والإماء ، والجلابيب جمع جلباب وهو ثوب أكبر من الخمار ، وقيل هو الرداء بصورة إدائه عند ابن عباس أن تلويه على وجهها حتى لا يظهر منها إلا العين واحدة تبصر بها وقيل أن تلويه حتى لا يظهر إلا عيناها ، وقيل أن تغطي نصف وجهها (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) أي ذلك أقرب إلى أن يعرف الحرائر من الإمام فإذا عرف أن المرأة حرة لم تعارض بما تعارض به الأمة ، وليس المعنى أن تعرف المرأة حتى يعلم من هي إنما المراد أن يفرق بينها وبين الأمة لأنه كان بالمدينة إمام يعرف بالسوء وربما تعرض لهم السفهاء (لئن لم ينته المنافقون) الآية : تضمنت وعيدهم هؤلاء الأصناف إن لم ينتهوا ، وقيل لهم لم ينتهوا : ولم ينفذ الوعيد عليهم في ذلك دليل على بطلان القول بوجوب إنفاذ الوعيد في الآخرة ، وقيل لهم انتهوا واسترو أمرهم ، فكف عنهم إنفاذ الوعيد ، والمنافقون هم الذين يظهرون الإيمان ويخفون الكفر ، والذين في قلوبهم مرض : قوم كان فيهم ضعف إيمان ، وقلة ثبات عليه ، وقيل هم الزناة : كقوله فيطمع الذي في قلبه مرض ، والمرجفون في المدينة : قوم كانوا يشيعون أخبار السوء ويخوفون المسلمين ، فيحتمل أن تكون هذه الأصناف متفرقة ، أو تكون داخلية في جملة المنافقين ، ثم جردها بالذكر (لنغرينك بهم) أي نساطك عليهم وهذا هو الوعيد (ثم لا يحاورونك فيها) ذلك لأنه ينبغيهم أو يقتلهم ، والضمير المجرور للمدينة (إلا قليلا) يحتمل أن يريد إلا جواراً قليلا أو وقتاً قليلا أو عدداً قليلا منهم ، والإعراب يختلف بحسب هذه الاحتمالات ، فقليل على الاحتمال الأول مصدر ، وعلى الثاني ظرف ، وعلى الثالث منصوب على الاستثناء (ملعونين) نصب على الذم ، أو بدل من قليلا على الوجه الثالث ؛ أو حال من

عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِكُ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا \* إِنَّ اللَّهَ لَعَنَّ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا \* خَلَدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا \* يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ \* وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا \* رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعْنًا كَبِيرًا \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا \* إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا \* لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ

ضمير الفاعل في يجاورونك تقديره سينفون ماعونين (أي بنا ثقفوا أخذوا) أي حيث ماظفر بهم أسروا ، والأخذ الأمر (سنة الله) أي عاداته ونصب على المصدر (في الذين خلوا من قبل) أي عاداته في المنافقين من الأئم المتقدمة وقيل يعني الكفار من بدر ، لأنهم أسروا وقتلوا (تكون قريبا) إنما قال قريبا بالتذكير والساعات مؤنثة على تقدير شيئا قريبا أوزمانا قريبا ، أولان تأنيثها غير حقيقي (يوم تقلب وجوههم في النار) العامل في يوم قوله يقولون أو لا يجدون أو محذوف ، وتقلب وجوههم : تصريفها في جهة النار كما تدور البضنة في القدر إذا غلت من جهة إلى جهة ، أو تغيرها عن أحوالها (لا تكونوا كالذين آذوا موسى) هم قوم من بني إسرائيل ، وإذاتهم له : ماورد في الحديث أن بني إسرائيل كانوا يغتسلون عراة وكان موسى يستتر منهم إذا اغتسل فقالوا إنه لأدر ، فاغتسل موسى يوما وحده وجعل ثيابه على حجر فضر الحجر بثيابه ، واتبعه موسى وهو يقول ثوبي حجر ثوبي حجر ، فمر في أتباعه على ملا من بني إسرائيل فأروه سلما بما قالوا ، فذلك قوله فبرأه الله بما قالوا ، وقيل لإذاتهم له أنهم رموه بأنه قتل أخاه هارون ، فبعث الله ملائكة فحمله حتى رآه بنو إسرائيل ليس فيه أثر فبرأه الله موسى ، وروى أن الله أحياه فأخبرهم ببراءة موسى ، والقول الأول هو الصحيح لوروده في الحديث الصحيح (قولا سديدا) قيل يعني لإله إلا الله ، واللفظ أعم من ذلك (إننا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال) الأمانة في الأموال ، وقيل غسل الجنابة ، والصحيح العموم في التكليف الشرعية من التزام الطاعات وترك المعاصي ، وقيل هي الأمانة في الأموال ، وقيل غسل الجنابة ، والصحيح العموم في التكليف ، وعرضها على السموات والأرض والجبال يحتمل وجهين : أحدهما : أن يكون الله خلق لها إدرا كافررضت عليها الأمانة حقيقة فأشفقت منها وامتنعت من حملها ، والثاني أن يكون المراد تعظيم شأن الأمانة ، وأنهما من الثقل بحيث لو عرضت على السموات والأرض والجبال ، لأبين من حملها وأشفقن منها ، فهذا ضرب من المجاز كقولك عرضت الحمل العظيم على الدابة فأبت أن تحمله ، والمراد أنها لا تقدر على حمله (وحملها الإنسان) أي التزم الإنسان القيام بالتكليف مع شدة ذلك وصعوبته على الأجرام التي هي أعظم منه ، ولذلك وصفه الله بأنه ظلوم جهول ، والإنسان هنا جنس ، وقيل يعني آدم ، وقيل قاييل الذي قتل أخاه (ليعذب) اللام للصيرورة ، فإن حمل الأمانة : كان سبب تعذيب

وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَةَ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا

## سورة سبأ

مكية إلا آية ٦ فمدنية وآياتها ٤٤ نزلت بعد لقمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ  
الْخَبِيرُ ۝ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ۝ وَقَالَ  
الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ  
وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۝ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزِ الْيَمِّ ۝  
وَيَرَى الَّذِينَ ءَاتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ

المنافقين والمشركين ، ورحمة للمؤمنين

## سورة سبأ

(وله الحمد في الآخرة) يحتمل أن يكون الحمد الأول في الدنيا والثاني في الآخرة ، وعلى هذا حمل الزمخشري  
ويحتمل عندي أن يكون الحمل الأول للعموم والاستغراق ، فجمع الحمد في الدنيا والآخرة ، ثم جرد منه  
الحمد في الآخرة كقوله فأكه ونخل وورمان ، ثم إن الحمد في الآخرة يحتمل أن يريد به الجنس أو يريد به قوله وآخر  
دعواهم أن الحمد لله رب العالمين أو الحمد لله الذي صدقنا وعده ( ما يليج في الأرض ) أي يدخل فيها من المطر  
والأموات وغير ذلك ( وما يخرج منها ) من النبات وغيره ( وما ينزل من السماء ) من المطر والملائكة والرحمة  
والعذاب وغير ذلك ( وما يعرج فيها ) أي يصعد ويرتفع من الأعمال وغيرها ( وقال الذين كفروا لا تأتينا  
الساعة ) روى أن قائل هذه المقالة هو أبو سفيان بن حرب ( لا يعزب ) أي لا يغيب ولا يخفى ( ولا أصغر )  
معطوف على ميثاق ؛ وقال الزمخشري هو مبتدأ ، لأن حرف الاستثناء من حروف العطف ، ولا خلاف بين  
القراء السبعة في رفع أصغروا كبر في هذا الموضع ، وقد حكى ابن عطية الخلاف فيه عن بعض القراء السبعة ،  
وإنما الخلاف في يونس ( في كتاب مبين ) يعني اللوح المحفوظ ( ليجزي ) متعلق بقوله لتأتينكم أو بقوله  
لا يعزب أو بمعنى قوله في كتاب مبين ( والذين سعوا ) مبتدأ وخبره الجملة بعده ، وقال ابن عطية : هو معطوف  
على الذين الأول ، وقد ذكر في الحج معنى سعوا ، ومعاجزين ( أليم ) بالرفع صفة لعذاب ، وبالخفض  
صفة لرجز ( ويرى ) معطوف على ليجزي أو مستأنف ، وهذا أظهر ( الذين أتوا العلم ) هم الصحابة أو من  
أسلم من أهل الكتاب ، أو على العموم ( الحق ) مفعول ثان ليرى ، لأن الرؤيا هنا بالقلب بمعنى العلم  
والضمير ضمير فصل ( وقال الذين كفروا ) أي قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعني محمداً صلى الله

كَفَرُوا هَلْ نَدَّبَكُمُ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مَزَقْتُمْ كُلَّ مَرْقَمٍ لَنِي خَلَقَ جَدِيدًا ۖ أَفَتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ  
 جَنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ۖ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ  
 السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَاءُ نَحْضِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نَسْقِطْ عَلَيْهِمُ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ  
 عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۖ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّالَةَ الْحَدِيدَ ۚ إِنَّ أَعْمَلَ سَبَّغَتْ وَقَدَّرَ  
 فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۖ وَسَلِيمَانَ الرِّيحَ غَدَوْهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحَهَا شَهْرٌ وَأَسْلَنَّا لَهُ  
 عَيْنَ الْقَطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمُ عَنْ أَمْرِنَا نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ۖ يَعْمَلُونَ

عليه وسلم ( ينبئكم إذا مزقتم كل مرقم ) معنى مزقتم أي بليتيم في القبور وتقطعت أوصالكم وكل مرقم مصدر ، والخلق الجديد : هو الحشر في القيامة ، والعامل في إدامعني إنكم لني خلق جديد ، لأن منناه تبعثون إذا مزقتم ، وقيل العامل فيه فعل مضمر مقدر قبلها وذلك ضعف ، وإنكم لني خلق جديد معمول ينبئكم وكسرت اللام التي في خبرها ومعنى الآية أن ذلك الرجل يخبركم أنكم تبعثون بعد أن بليتيم في الأرض ، ومرادهم استبعاد الحشر ( أفترى على الله ) هذا من جملة كلام الكفار ، ودخلت همزة الاستفهام على ألف الوصل فحذفت ألف الوصل وبقيت الهمزة مفتوحة غير مدودة ( بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب ) هذا رد عليهم : أي أنه لم يفتر على الله الكذب وليس به جنة بل هؤلاء الكفار في ضلال وحيرة عن الحق توجب لهم العذاب ، ويحتمل أن يريد بالعذاب عذاب الآخرة ، أو العذاب في الدنيا بمعاندة الحق ، ومحاولة ظهور الباطل ( أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض ) الضمير في يروا للكفار المنكرين للبعث ، وجعل السماء والأرض بين أيديهم وخلفهم ، لأنهما محيطتان بهم ، والمعنى ألم يروا إلى السماء والأرض فيعملون أن الذي خلقهما قادر على بعث الناس بعد موتهم ، ويحتمل أن يكون المعنى تهديد لهم ثم فسره بقوله إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء : أي أفلم يروا إلى السماء والأرض أنهما محيطتان بهم فيعملون أنهم لا مهرب لهم من الله ( إن في ذلك لآية ) الإشارة إلى إحاطة السماء بهم أو إلى عظمة السماء والأرض بأن فيهما آية تدل على البعث ( ياجبال أوبى معه ) تقديره : قلنا ياجبال ، والجملة تفسير للفضل ، ومعنى أوبى سبى ، وأصله من التأويب ، وهو الترجيع ، لأنه كان يرجع التسييح فترجعه معه : وقيل هو من التأويب بمعنى السير بالنهار ، وقيل كان ينوح فتساعده الجبال بصداها ، والطير بأصواتها ( والطير ) بالنصب عطف على موضع ياجبال ، وقيل مفعول معه ، وقيل معطوف على فضلا ، وقرئ بالرفع عطف على لفظ ياجبال ( وأناله الحديد ) أي جعلناه له لينا بغير نار كالطين والعجين ، وقيل لأن له الحديد لشدة قوته ( سابغات ) هي الدروع الكاسية ( وقدر في السرد ) معنى السرد هنا نسج الدروع ، وتقديرها أن لا يعمل الحلقة صغيرة فتضعف ولا كبيرة فيصاب لابسها من خلالها ، وقيل لا يجعل المسمار دقيقا ولا غليظا ( واعملوا الصالحا ) خطاب لداود وأدله ( واسليمان الریح ) بالنصب على تقدير وسخرنا ، وقرئ بالرفع على الابتداء ( غدوها شهر ورواحها شهر ) أي كانت تسير به بالغداة مسيرة شهر ، وبالعشى مسيرة شهر فكان يجلس على سريره وكان من خشب يحمل فيها روى أربعة آلاف فارس فترفعه الریح ثم تحمله ( وأسئلنا عين القطر ) قال ابن عباس كانت تسيل له

لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرَبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَأْسِيَّتِ اعْمَلُوا آءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ۚ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَهُمْ آيَةٌ جِئَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشَمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَطَّطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ \* ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ

باليمين عين من نحاس يصنع منها ما أحب ، والقطر النحاس ، وقيل القطر الحديد والنحاس وما جرى مجرى ذلك : كان يسيل له منه أربعة عيون ، وقيل المعنى أن الله أذاب له النحاس بغير نار كما صنع بالحديد لداود (نذقه من عذاب السعير) يعنى نار الآخرة ، وقيل كان معه ملك يضربهم بصوت من نار ( محارِب ) هي القصور ، وقيل المساجد وتمثيل قيل لأنها كانت على غير صور الحيوان وقيل على صور الحيوان وكان ذلك جائزا عندهم ( كالجواب ) جمع جابية وهي البركة التي يجتمع فيها الماء ( راسيات ) أى ثابتات في مواضعها لعظمتها ( اعْمَلُوا آءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا ) حكاية ما قيل لآل داود ، وانتصب شكرا على أنه مفعول من أجله ، أو مصدر في موضع الحال تقديره شاكرين أو مصدر من المعنى لأن العمل شكر تقديره اشكروا شكرا أو مفعول به ( وقليل من عبادي الشكور ) يحتمل أن يكون مخاطبة لآل داود أو مخاطبة لمحمد صلى الله عليه وسلم ( دابة الأرض تأكل منسأته ) المنسأة هي العصا ، وقرئ بهمز وبغير همز ، ودابة الأرض هي الأرضة وهي السوسة التي تأكل الخشب وغيره وقصص الآية أن سليمان عليه السلام دخل قبة من قوارير وقام يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك سنة لم يعلم أحد بموته حتى وقعت العصا فخر إلى الأرض واختصرنا كثيرا مما ذكره الناس في هذه القصة لعدم صحته ( تبينت الجن ) من تبين الشيء إذا ظهر ، وما بعدها بدل من الجن ، والمعنى ظهر للناس أن الجن لا يعلمون الغيب ، وقيل تبينت بمعنى علمت ، وأن وما بعدها مفعول به على هذه والمعنى علمت الجن أنهم لا يعلمون الغيب ، وتحققوا أن ذلك بعد التباس الأمر عليهم ، أو علمت الجن أن كفارهم لا يعلمون الغيب ، وأنهم كاذبون في دعوى ذلك ( في العذاب المهين ) يعنى الخدمة التي كانوا يخدمون سليمان وتسخيروه لهم في أنواع الأعمال ، والمعنى لو كانت الجن تعلم الغيب ما خفي عليهم موت سليمان ( لقد كان لسبأ في مسكنهم آية ) سبأ قبيلة من العرب سميت باسم أبيها الذي تناسلت منه ، وقيل باسم أمها ، وقيل باسم موضعها ، والأول أشهر ، لأنه ورد في الحديث وكانت مساكنهم بين الشام واليمن ( جنتان عن يمين وشمال ) كان لهم واد وكانت الجنتان عن يمينه وشماله وجنتان بدل من آية أو مبتدأ أو خبر مبتدأ محذوف ( كلوا ) تقديره قيل لهم كلوا من رزق ربكم قالت لهم ذلك الأنبياء ، وروى أنهم بعث لهم ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم ( بلدة طيبة ) أى كثيرة الأرزاق طيبة الهواء سليمة من الهوام ( فأعرضوا ) أى أعرضوا عن شكر الله أو عن طاعة الأنبياء ( فأرسلنا عليهم سيل العرم ) كان لهم سد يسلك الماء ليرتفع فتسقى به الجنتان ، فأرسل الله على السد الجرذ وهي دويبة خرته فيبست الجنتان ، وقيل لما خرب السد حمل السيل الجنتان وكثير من الناس واختلف في معنى العرم : فقيل هو السد ، وقيل هو اسم ذلك الوادى بعينه ، وقيل معناه الشديد ، فكأنه صفة

نُجْزَى إِلَّا الْكُفُورَ . وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَيْرُوا فِيهَا لَيْلَى وَأَيَّامًا آمِنِينَ . فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ . وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ \* وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ \* قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن شَرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ \* وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ

للسيل من العرامة ، وقيل هو الجر الذي خرب السد ، وقيل المطر الشديد (أكل خبط وأثر وشى من سدر قليل) الأكل بضم الهمزة المأكول ، والخبط شجر الأراك ، وقيل كل شجرة ذات شوك ، والأثل شجر يشبه الطرفا والسدر شجر معروف ، وإعراب خبط بدل من أكل أو عطف بيان وقرئ بالإضافة وأثل عطف على الأكل لا على خبط ، لأن الأثل لا أكل له ، والمعنى أنه لما أهلكك الجنتان المذكورتان قيل أهدمهم الله مهاجرتين بضد وصفهما في الحسن والأرزاق (وهل نجازى إلا الكفور) معناه لا يناش ويجازى بمثل فعله إلا الكفور لأن المؤمن قد يسمع الله له ويتجاوز عنه (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة) هذه الآية وما بعدها وصف حال سبأ قبل مجيء السيل وهلاك جناتهم ، ويعنى بالقرى التي باركنا فيها الشام ، والقرى الظاهرة قرى متصلة من بلادهم إلى الشام ، ومعنى ظاهرة يظهر بعضها من بعض لا اتصالها ، وقيل مرتفعة في الآكام ، وقال ابن عطية خارجة عن المدن كما تقول بظاهر المدينة أى خارجها (وقدرنا فيها السير) أى قسمنا مراحل السفر ، وكانت القرى متصلة فكان المسافر يبيت في قرية ويصبح في أخرى ولا يخاف جوعا ولا عطشا ، ولا يحتاج إلى حمل زاد ، ولا يخاف من أحد (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) قرئ باعد وبعد بالتخفيف والتشديد على وجه الطلب ، والمعنى أنهم بطروا النعمة وملوا العافية ، وطلبوا من الله أن يساعد بين قراهم المتصلة ليشوا في المفاوز ويتزودوا الأسفار ، فعجل الله إجابتهم وقرئ باعد بفتح العين على الخبر والمعنى أنهم قالوا إن الله باعد بين قراهم ، وذلك كذب وجدد للنعمة (وظلموا أنفسهم) يعنى بقولهم باعد بين أسفارنا أو بذنوبهم على الإطلاق (ومزقناهم كل ممزق) أى فرقناهم في البلاد حتى ضرب المثل بفرقتهم ، قيل تفرقوا أيدي سبأ ، وفي الحديث إن سبأ أبو عشرة من القبائل ، فلما جاء السيل على بلادهم تفرقوا قيسان منهم ستة وتشام أربعة (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه) أى وجد ظنه فيهم صادقا يعنى قوله لأغوينهم ، وقوله ولا تجدوا أكثرهم شاكرين (قل ادعوا الذين زعتم) تعجيز للمشركين وإقامة حجة عليهم ويعنى بالذين زعتم آلهتهم ، ومفعول زعتم محذوف أى زعتم أنهم آلهة أو زعتم أنهم شفعا ، وروى أن ذلك نزل عند الجوع الذى أصاب قريشا (من شرك) أى نصيب والظهير المعين (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) المعنى لا تنفع الشفاعة عند الله إلا لمن أذن الله له أن يشفع فإنه لا يشفع أحد إلا بإذنه ، وقيل المعنى لا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له الله أن يشفع فيه ، والمعنى أن الشفاعة على كل وجه لا تكون إلا بإذن الله ، ففي ذلك رد على المشركين الذين كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله (حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم)

رَبِّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۗ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۗ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۗ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ \* قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أُحَقِّمُ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ \* وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ

تظاهرت الأحاديث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن هذه الآية في الملائكة عليهم السلام فإنهم إذا سمعوا الوحي إلى جبريل يفرعون لذلك فرعا عظيما ، فإذا زال الازرع عن قلوبهم قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم فيقولون قال الحق ، ومعنى فزع عن قلوبهم زال عنها الفزع والضمير في قلوبهم وفي قالوا للملائكة ، فإن قيل : كيف ذلك ولم يتقدم لهم ذكر يعود الضمير عليه ؟ فالجواب أنه قد وقعت إليهم إشارة بقوله ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ، لأن بعض العرب كانوا يعبدون الملائكة ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، فذكر الشفاعة يقتضى ذكر الشافعين ، فعاد الضمير على الشفعاء الذين دل عليهم لفظ الشفاعة ، فإن قيل : بم اتصل قوله حتى إذا فزع عن قلوبهم ولاى شيء وقعت حتى غائبة ؟ فالجواب أنه اتصل بما فهم من الكلام من أن ثم انتظارا الإذن ، وفزعا وتوقفا حتى يزول الفزع بالإذن فى الشفاعة ، ويقرب هذا فى المعنى من قوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن ولم يفهم بعض الناس اتصال هذه الآية بما قبلها فاضطربوا فيها حتى قال بعضهم هى فى الكفار بعد الموت ، ومعنى فزع عن قلوبهم رأوا الحقيقة ، فقيل لهم ماذا قال ربكم فيقولون قال الحق فيقترون حين لا ينفعهم الإقرار ، والصحيح أنها فى الملائكة لورود ذلك فى الحديث ، ولأن القصد الرد على الكفار ، الذين عبدوا الملائكة ، فذكر شدة خوف الملائكة من الله وتعظيمهم له (قل من يرزقكم) سؤال قصد به إقامة الحجة على المشركين (قل الله) جواب عن السؤال بما لا يمكن لمخالفة فيه ، ولذلك جاء السؤال والجواب من جهة واحدة (وإننا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) هذه ملاطفة وتنزل فى المجادلة إلى غاية الإنصاف كقولك الله يعلم أن أحدنا على حق وأن الآخر على باطل ولا تعين بالتصريح أحدهما ولكن تنبه الخصم على النظر حتى يعلم من هو على الحق ومن هو على الباطل ، والمقصود من الآية أن المؤمنين على هدى وأن الكفار على ضلال مبين (قل لا تسألون عما أجرمنا) إخبار يقتضى مسألة نسخت بالسيف (يفتح بيننا) أى يحكم ، والفتاح الحاكم (قل أرونى الذى أحقتم به شركاء) إقامة حجة على المشركين ، والرؤية هنا رؤية قلب فشركاء مفعول ثالث ، والمعنى أرونى بالدليل والحجة من هم له شركاء عندهم ، وكيف وجه الشركة ، وقيل هى رؤية بصر ، وشركاء حال من المفعول فى الحقةم كأنه قال أين الذين تعبدون من دونه وفى قوله أرونى تحقير للشركاء وازدراء بهم ، وتعجيز للمشركين ، وفى قوله كلا ردع لهم عن الإشراك ، وفى وصف الله بالعزیز الحكيم : رد عليهم بأن شركاءهم ليسوا كذلك (وما أرسلناك إلا كافة للناس) المعنى أن الله أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ، وهذه إحدى الخصال التى أعطاه الله دون سائر الأنبياء ، وإعراب كافة حال من الناس قدمت للاهتمام ، هكذا قال ابن عطية ، وقال الزمخشري ذلك خطأ لأن تقدم حال المجرور

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَدْرِكُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ۚ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ  
تُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ  
الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ \* قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ  
اسْتَضَعُّوا أَلَمْ نَكُنْ صَدَقْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ إِعْدَادٍ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ۚ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا  
بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرَأْنَا لِمَا رَأَوْا الْعَذَابَ  
وَجَعَلْنَا الْأَعْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ  
إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ \* وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۚ قُلْ  
إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ \* وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي

عليه لا يجوز ، وتقديره عنده: وما أرسلناك لإرسالة عامة للناس ، فكافة صفة للبصر المحذوف ، وقال الزجاج  
المعنى أرسلناك جامعا للناس في الإنذار والنبشير ، فجعله حالا من الكاف ، والتاء على هذا للبالغة كالتاء في راوية  
وعلاوة ( قل لكم ميعاد يوم ) يعني يوم القيامة ، أو نزول العذاب بهم في الدنيا ، وهو الذي سألوها عنه على  
وجه الاستخفاف ، فقالوا متى هذا الوعد ( ولا بالذي بين يديه ) يعني الكتب المتقدمة كالنوراة والإنجيل وإنما  
قال الكفار هذه المقالة حين وقع عليهم الاحتجاج بما في التوراة من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل الذي  
بين يديه يوم القيامة وهذا خطأ وعكس لأن الذي بين يديه الشيء هو ما تقدم عليه ( ولو ترى ) جواب لو محذوف  
تقديره لرأيت أمرا عظيما ( يرجع بعضهم إلى بعض القول ) أي يتكلمون ويحجب بعضهم بعضا ( بل كنتم  
مجرمين ) أي كفرتم باختياركم لا بأمرنا ( بل مكر الليل والنهار ) المعنى أن المستضعفين قالوا للمستكبرين بل  
مكركم بنا في الليل والنهار سبب كفرنا وإعراب مكره بتداء وخبره محذوف ، أو خبر ابتداء مضمرة ، وأضاف مكر  
إلى الليل والنهار على وجه الاتساع ، ويحتمل أن يكون إضافة إلى المفعول أو إلى الفاعل على وجه المجاز :  
كقولهم نهاره صيام وليله قيام أي يصام فيه ويقام ، ودلت الإضافة على كثرة المكر ودوامه بالليل والنهار ،  
فإن قيل : لم أثبت الواو في قول الذين استضعفوا دون قول الذين استكبروا ؟ فالجواب أنه قد تقدم كلام الذين  
استضعفوا قبل ذلك فحذف عليه كلامهم الثاني ، ولم يتقدم للذين استكبروا كلام آخر فيعطف عليه ( وأسروا  
الندامة ) أي أخفوها في نفوسهم ، وقيل أظهرها فهو من الأضداد ، والضمير لجميع المستضعفين والمستكبرين  
( مترفوها ) يعني أهل الغنى والتنعم في الدنيا وهم الذين يبادرون إلى تكذيب الأنبياء ، والقصد بالآية تسليية  
النبي صلى الله عليه وسلم على تكذيب أكابر قريش له ( وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا ) الضمير لقريش  
أو للمترفين المتقدمين : فأسوا أمر الدنيا على الآخرة ، وظنوا أن الله كما أعطاهم الأموال والأولاد في الدنيا  
لا يعذبهم في الآخرة ( قل إن ربِّي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ) إخبار يتضمن الرد عليهم بأن بسط الرزق وقبضه  
في الدنيا معلق بمشيئة الله ، فقد يوسع الله على الكافر وعلى العاصي ويضيق على المؤمن والمطيع ، وبالعكس . فليس

تَقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمَلُوا وَهُمْ فِي الْغُرْفَاتِ ءَامِنُونَ \* وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ۝ قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ \* وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُفُّوا أَعْيُنَكُمْ أَيَاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ \* قَالُوا سُبْحٰنَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مَنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ \* فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضِرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ \* وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصِدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ ءَابَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرَىٰ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مَبِينٌ ۝ وَمَا ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ۝ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَدَّوْا مَعَشَرَ مَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ \* قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ

في ذلك دليل على أمر الآخرة (زاني) مصدر بمعنى القرب كأنه قال تقربكم قربي (إلا من آمن) استثناء من المفعول في تقربكم، والمعنى أن الأموال لا تقرب إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله، وقيل الاستثناء منقطع، والأول أحسن (جزاء الضعف) يعني تضعيف الحسنات إلى عشر أمثالها فأفوق ذلك (يبسط الرزق) الآية: كررت لاختلاف المقصد، فإن المقصد بالأول على الكفار، والقصد هنا ترغيب المؤمنين بالإففاق (فهو يخلفه) الخلف قد يكون بمال أو بالثواب (أنت ولينا من دونهم) براءة من أن يكون لهم رضا بعبادة المشركين لهم، وليس في ذلك نفي لعبادتهم لهم (بل كانوا يعبدون الجن) عبادتهم للجن طاعتهم لهم في الكفر والعصيان، وقيل كانوا يدخلون في جوف الأصنام فيعبدون بعبادتها، ويحتمل أن يكون قوم عبدوا الجن لقوله وجعلوا الله شركاء الجن (وما آتيناهم من كتب يدرسونها) الآية: في معناها وجهين: أحدهما ليس عندهم كتب تدل على صحة أقوالهم، ولا جاءهم نذير يشهد بما قالوه؛ فأقوالهم باطلة إذ لا حاجة لهم عليها، فالقصد على هذا رد عليهم، والآخر أنهم ليس عندهم كتب ولا جاءهم نذير فهم محتاجون إلى من يعلمهم وينذرهم، ولذلك بعث الله إليهم محمدا صلى الله عليه وسلم، فالقصد على هذا إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وما بلغوا معشار ما آتيناهم) المعشار العشر، وقيل عشر العشر، والأول أصح، والضمير في بلغوا الكفار قريش، وفي آتيناهم للكتب المتقدمة أي أن هؤلاء لم يبلغوا عشر ما أعطى الله المتقدمين من القوة والأموال، وقيل الضمير في بلغوا للمتقدمين، وفي آتيناهم لقريش: أي ما بلغ المتقدمون عشر ما أعطى الله هؤلاء من البراهين والأدلة، والأول أصح وهو نظير قوله كانوا أشد منهم قوة (فكيف كان نكير) أي إنكارى يعنى عقوبة الكفار المتقدمين، وفي ذلك تهديد لقريش (قل إنما أعظكم بواحدة) أي بقضية واحدة تقريرا عليكم (أن تقوموا لله) هذا تفسير القضية الواحدة وأن تقوموا بدل أو عطف بيان أو خبر ابتداء مضمر، ومعناه أن تقوموا للنظر في أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم قياما خالصا لله تعالى ليس

وَفُرَادَىٰ أَثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جَنَّةٍ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۖ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۖ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عِلْمَ الْغَيْبِ ۖ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ۖ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فَمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ۖ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزَعُوا فَلَا قُوَّةَ وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۖ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۖ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۖ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ

فيه اتباع هوى ولا ميل ، وليس المراد بالقيام هنا القيام على الرجلين إنما المراد القيام بالأمر والجد فيه (مثنى وفردى) حال من الضمير في تقوموا ، والمعنى أن تقوموا اثنين اثنين للمناظرة في الأمر وطلب التحقيق وتقوموا واحداً واحداً لإحضار الذهن واستجماع الفكرة ثم تفكروا في أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم فتعلموا أن ما به من جنة لأنه جاء بالحق الواضح ، ومع ذلك فإن أقواله وأفعاله تدل على رجاحة عقله ومثابته عليه ، وأنه باغ في الحكمة مبلغاً عظيماً ، فيبدل ذلك على أنه ليس بمجنون ولا مفتر على الله (ما بصاحبكم من جنة) متصل بما قبله على الأصح : أى تفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة ، وقيل هو استئناف (قل ما سألتكم عليه من أجر فهو لكم) هذا كما يقول الرجل لصاحبه إن أعطيتني شيئاً فخذ ، وهو يعلم أنه لم يعطه شيئاً ، ولكنه يريد البراءة من عطائه ، وكذلك معنى هذا ، فهو كقولك قل ما أسألكم عليه من أجر (قل إن ربى يقذف بالحق) القذف الرمي ويستعار الإلقاء ، فالمعنى يلقى الحق إلى أصفياته أو يرمى الباطل بالحق فيذهب (علام الغيوب) خبر ابتداء مضمرة أو بدل من الضمير فى يقذف فى اسم إن على الموضع (قل جاء الحق) يعنى الإسلام (وما يبدي الباطل وما يعيد) الباطل الكفر ، ونفى الابداء والاعادة ، على أنه لا يفعل شيئاً ولا يكون له ظهور أو عبارة عن ذهابه كقوله جاء الحق وزهق الباطل ، وقيل الباطل الشيطان (إنه سميع قريب) يعنى قربه تعالى بعلمه وإحاطته (ولو ترى إذ فزعوا) جواب لو محذوف تقديره لرأيت أمراً عظيماً ، أو معنى فزعوا أسرعوا إلى الهروب ، والفعل ماضى بمعنى الاستقبال ، وكذلك ما بعده من الأفعال ، ووقت الفزع البعث ، وقيل الموت ، وقيل يوم بدر (فلا فوت) أى لا يفوتون الله إذ هربوا (وأخذوا من مكان قريب) يعنى من الموقف إلى النار إذا بعثوا ، أو من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا ، أو من أرض بدر إلى القلب ، والمراد على كل قول سرعة أخذهم (وقالوا آمنا به) أى قالوا ذلك عند أخذهم والضمير المجرور لله تعالى أو للنبي صلى الله عليه وسلم ، أو للقرآن أو للإسلام (وأنى لهم التناوش من مكان بعيد) التناوش بالواو التناول إلا أن التناوش تناول قريب سهل لشئ قريب ، وقرئ بهمز الواو فيحتمل أن يكون المعنى واحداً ويكون المهموز بمعنى الطلب ، ومعنى الآية استبعاد وصولهم إلى مرادهم ، والمكان البعيد : عبارة عن تعذر مقصودهم فإنهم يطلبون ما لا يكون ، أو يريدون أن يتناولوا ما لا ينالون وهو رجوعهم إلى الدنيا أو انتفاعهم بالإيمان حينئذ (وقد كفروا به) الضمير يعود على ما عاد عليه قولهم آمننا به (ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) يقذفون فعل ماضى فى المعنى معطوف على كفروا ، ومعناه أنهم يرمون بظنونهم فى

مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فَعَلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ

## سورة فاطر

مكية وآياتها ٤٥ نزلت بعد الفرقان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مِّثْنًا  
وَتِلْكَ وَرُبَاعٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا  
وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ \* يَسْأَلُهَا النَّاسُ أَذُكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ  
غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَىٰ تُؤَفَّكُونَ \* وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن  
قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ \* يَسْأَلُهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغْرُبَنَّكَ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَفْرَبَنَّكَ بِاللَّهِ  
الْغُرُورُ \* إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ \* الَّذِينَ كَفَرُوا

الأمور المغيبة فيقولون لا بعث ولا جنة ولا نار ، ويقولون في الرسول عليه الصلاة والسلام إنه ساحر أو شاعر . والمكان البعيد هنا عبارة عن بطلان ظنونهم وبعد أقوالهم عن الحق ( وحيل بينهم وبين ما يشتهون ) أى حيل بينهم وبين دخول الجنة ، وقيل حيل بينهم وبين الانتفاع بالإيمان حينئذ ، وقيل حيل بينهم وبين نعيم الدنيا والرجوع إليها ( كما فعل بأشياءهم من قبل ) يعنى الكفار المتقدمين وجعلهم أشياءهم لا تفاقهم في مذاهبهم ومن قيل يحتمل أن يتعلق بفعل ، أو بأشياءهم على حسب معنى ما قبله ( فى شك مرىب ) هو أقوى الشك وأشدّه إظلاما

## سورة فاطر

( جاعل الملائكة رسلا ) أى وسائط بين الله وبين الأنبياء متصرفين فى أمر الله ( مثنى وثلاث ورباع ) صفات الأجنحة ولم ينصرف للعدل والوصف ، والمعنى أن الملائكة منهم من له جناحان ، ومنهم من له ثلاثة أجنحة ، ومنهم من له أربعة أجنحة ( يزيد فى الخلق ما يشاء ) قيل يعنى حسن الصوت ، وقيل حسن الوجه ، وقيل حسن الحظ ، والأظهر أنه يرجع إلى أجنحة الملائكة ، أو يكون على الإطلاق فى كل زيادة فى المخلوقين ( ما يفتح الله للناس من رحمة فلا يمسك لها ) الفتح عبارة عن العطاء والإمساك عبارة عن المنع ، والإرسال الإطلاق بعد المنع والرحمة ، كل ما يمن الله به على عباده من خيرى الدنيا والآخرة فعنى الآية : لا مانع لما أعطى الله ولا معطى لما منع الله ، فإن قيل لم أنت الضمير فى قوله فلا يمسك لها وذكره فى قوله فلا مرسل له وكلاهما يعود على ما الشرطية ، فالجواب : أنه لما فسر من الأولى بقوله من رحمة الله لتأنيث الرحمة ، وترك الآخر على الأصل من التذكير ( من بعده ) أى من بعد إمساكه ( هل من خالق غير الله ) رفع غير على الصفة لخالق على الموضع وخفضه صفة على الرفع ورزق السماء المطر ورزق الأرض النبات ، والمعنى تذكير بنعم الله وإقامة حجة على المشركين ، ولذلك أعقبه بقوله لا إله إلا هو ( وإن يكذبوك ) الآية : تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم

لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ . أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنْ آتَىٰ اللَّهُ بِضَلٍّ مِنْ شَيْءٍ وَيَهْدِيْ مِنْ شَيْءٍ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنْ آتَىٰ اللَّهُ عِلْمًا بِمَا يَصْنَعُونَ \* وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيْحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقِنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ . مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَاللَّهُ الْعِزَّةَ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ . وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ

على تكذيب قومه كأنه يقول إن يكذبوك فلا تحزن لذلك فإن الله سينصرك عليهم كما كذبت رسل من قبلك فصرهم الله (الغرور) الشيطان، وقيل التسويق (أفمن زين له سوء عمله) توقيف وجوابه محذوف تقديره: أفمن زين له سوء عمله كمن لم يزين له، ثم بنى على ذلك ما بعده، فالذى زين له سوء عمله هو الذى أضله الله، ومن لم يزين له سوء عمله هو الذى هداه الله (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) تسليمة للنبي صلى الله عليه وسلم عن حزنه لعدم إيمانهم، لأن ذلك بيد الله (كذلك النشور) أى الحشر، والمعنى كما يحيى الله الأرض بالنبات كذلك يحيى الموتى (من كان يريد العزة) الآية تحتل ثلاثة معان: أحدها وهو الأظهر من كان يريد نيل العزة فليطلبها من عند الله، فإن العزة كلها لله، والثانى من كان يريد العزة بمغالبة الاسلام فته العزة جميعاً، فالمقابل له مغلوب، والثالث من كان يريد أن يعلم لمن العزة فليعلم أن العزة لله جميعاً (إليه يصعد الكلم الطيب) قيل يعنى لا إله إلا الله، واللفظ يعم ذلك وغيره من الذكر، والدعاء، وتلاوة القرآن، وتعليم العلم: فالعموم أولى (والعمل الصالح يرفعه) فيه ثلاثة أقوال أحدها أن ضمير الفاعل فى يرفعه: الله، وضمير المفعول للعمل الصالح، فالمعنى على هذا أن الله يرفع العمل الصالح: أى يتقبله ويثيب عليه، والثانى أن ضمير الفاعل للكلام الطيب، وضمير المفعول للعمل الصالح، والمعنى على هذا لا يقبل عمل صالح إلا بمن له كلام طيب، وهذا يصح إن قلنا إن الكلم الطيب لا إله إلا الله، لأنه لا يقبل العمل إلا من موحد، والثالث أن ضمير الفاعل للعمل الصالح، وضمير المفعول للكلم الطيب، والمعنى على هذا أن العمل الصالح هو الذى يرفع الكلم الطيب فلا يقبل الكلم إلا بمن له عمل صالح، روى هذا المعنى عن ابن عباس واستبعده ابن عطية وقال لم يصح عنه لأن اعتقاد أهل السنة أن الله يتقبل من كل مسلم قال وقد يستقيم بأن يتأول أن الله يزيد فى رفعة وحسن موقعه (يمكرون السيئات) لا يتعدى مكر فتأويله يمكرون المكرات السيئات فتكون السيئات مصدرأ أو تضمن يمكرون معنى يكتسبون فتكون السيئات مفعولا والاشارة هنا إلى مكر قريش برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين اجتمعوا فى دار الندوة وأرادوا أن يقتلوه أو يحبسوه أو يخرجوه (ومكر أولئك هو يبور) البوار الهلاك أو الكساد ومعناه هنا أن مكرهم يبطل ولا يتفعهم (ثم جعلكم أزواجا) أى أصنافا وقيل ذكرانا وإناثا وهذا أظهر (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب) التعمير طول العمر والنقص قصره والكتاب اللوح المحفوظ فإن قيل إن التعمير والنقص لا يجتمعان لشخص واحد فكيف

مَعْمَرٌ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ  
سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أجاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ  
مَوَآخِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوجِلُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ  
وَيَسِّرُ كُلَّ يَوْمٍ لِلنَّاسِ لِيَأْتُوا الصَّلَاةَ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ۝ إِنْ تَدْعُهُمْ  
لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝  
يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ وَمَا ذَلِكَ عَلَى

أعاد الضمير في قوله ولا ينقص من عمره على الشخص المعمر فالجواب من ثلاثة أوجه الأول وهو الصحيح  
أن المعنى ما يعمر من أحد ولا ينقص من عمره إلا في كتاب فوضع من معمر موضع من أحد وليس  
المراد شخصاً واحداً وإنما ذلك كقولك لا يعاقب الله عبداً ولا يشبهه إلا بحق والثاني أن المعنى لا يزداد في  
عمر إنسان ولا ينقص من عمره إلا في كتاب وذلك أن يكتب في اللوح المحفوظ أن فلانا إن تصدق  
فعمره ستون سنة وإن لم يتصدق فعمره أربعون ، وهذا ظاهر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : صلة الرحم  
تزيد في العمر ، إلا أن ذلك مذهب المعتزلة القائلين بالأجلين وليس مذهب الأشعرية ، وقد قال كعب حين طعن  
عمر : لودعا الله لزداد في أجله ، فأنكر الناس عليه فاحتج بهذه الآية والثالث أن التعمير هو كتب ما يستقبل  
من العمر والنقص هو كتب ما مضى منه في اللوح المحفوظ وذلك حق كل شخص ( وما يستوى البحرين )  
قد فسرنا البحرين الفرات والأجاج في الفرقان ، وسائغ في النحل ، والقصد بالآية التنبيه على قدرة الله و وحدانيته  
وإنعامه على عباده وقال الزمخشري إن المعنى أن الله ضرب للبحرين الملح والعذب مثابن للمؤمن والكافر  
وهذا بعيد ( لحمًا طرياً ) يعني الحوت ( حلية تلبسونها ) يعني الجواهر والمرجان ، فإن قيل : إن الحلية لا تخرج إلا  
من البحر الملح دون العذب فكيف قال ومن كل أى من كل واحد منهما ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول  
أن ذلك تجوز في العبارة كما قال ديامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم ، والرسل إنما هي من الإنس  
الثاني أن المرجان إنما يوجد في البحر الملح حيث تنصب أنهار الماء العذب أو ينزل المطر فلما كانت الأنهار  
والمطر وهي البحر العذب تنصب في البحر الملح كان الإخراج منهما جميعاً . الثالث زعم قوم أنه يخرج اللؤلؤ  
والمرجان من الملح والعذب وهذا قول يبطله الحس ( مواخر ) ذكر في النحل ( يولج ) ذكر في لقمان  
( قطمير ) هو القشر الرقيق الأبيض الذي على نوى التمر والمعنى أن الأصنام لا يملكون أقل الأشياء فكيف  
أكثرها ( يكفرون بشركم ) أى ياشركم بالمصدر مضاف للفاعل وكفر الأصنام بالشرك يحتمل  
أن يكون بكلام يخلقه الله عندها أو بقرينة الحال ( ولا ينبئك مثل خبير ) أى لا يخبرك بالأمر مخبر مثل  
مخبر عالم به يعنى نفسه تعالى في إخباره أن الأصنام يكفرون يوم القيامة بمن عبدتهم ( أتم الفقراء إلى الله )  
خطاب لجميع الناس وإنما عرف الفقراء بالآلف واللام ليدل على اختصاص الفقير بجنس الناس وإن كان  
غيرهم فقراء ولكن فقراء الناس أعظم ثم وصف نفسه بأنه الغنى في مقابلة وصفهم بالفقر ووصفه بأنه

اللَّهُ بَزِيرٍ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ أحمِلَهَا لَأحمِلَ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ \* إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ

الحمد ليدل على جوده وكرمه الذي يوجب أن يحمده عباده (وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء) الحمل عبارة عن الذنوب والمثقلة الثقيلة الحمل أو النفس الكثيرة الذنوب والمعنى أنها لودعت أحدا إلى أن يحمل عنها ذنوبها لم يحمل عنها وحذف مفعول إن تدع لدلالة المعنى وقصد العموم وهذه الآية بيان وتكميل لمعنى قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى (ولو كان ذا قربي) المعنى ولو كان المدعو ذا قربي بمن دعاه إلى تحمل ذنوبه لم يحمل منه شيئا لأن كل واحد يقول نفسى نفسى (إنما تنذر الذين يخشون ربهم) المعنى أن الإنذار لا ينفع إلا الذين يخشون ربهم وليس المعنى اختصاصهم بالإنذار (بالغيب) في موضع حال من الفاعل في يخشون أى يخشون ربهم وهم غائبون عن الناس فخشيتهم حق لارياهم (وما يستوى الأعمى والبصير) تمثيل للكافر والمؤمن (ولا الظلمات ولا النور) تمثيل للكفر والإيمان (ولا الظل ولا الحرور) تمثيل للثواب والعقاب وقيل الظل الجنة والحرور النار. والحرور في اللغة شدة الحر بالنهار والليل والسموم بالنهار خاصة (وما يستوى الأحياء ولا الأموات) تمثيل لمن آمن فهو كالحى ومن لم يؤمن فهو كالميت (إن الله يسمع من يشاء) عبارة عن هداية الله لمن يشاء (وما أنت بمسمع من فى القبور) عبارة عن عدم سماع الكفار للبراهين والمواعظ فشيء بالموتى فى عدم إحساسهم وقيل المعنى أن أهل القبور وهم الموتى حقيقة لا يسمعون فليس عليك أن تسمعهم وإنما بعثت الأحياء وقد استدلّت عائشة بالآية على أن الموتى لا يسمعون وأنكرت ماورد فى خطاب النبي صلى الله عليه وسلم لقتلى بدر حين جعلوا فى القلب ولكن يمكن الجمع بين قولها وبين الحديث بأن الموتى فى القبور إذا ردت إليهم أرواحهم إلى أجسادهم سمعوا وإن لم ترد لم يسمعوا (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) معناه أن الله قد بعث إلى كل أمة نبيا يقيم عليهم الحجة، فإن قيل: كيف ذلك وقد كان بين الأنبياء فترات وأزمنة طويلة ألا ترى أن بين عيسى ومحمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ستائة سنة لم يبعث فيها نبي؟ فالجواب أن دعوة عيسى ومن تقدمه من الأنبياء كانت قد بلغت فقامت عليهم الحجة. فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك؟ فالجواب أنهم لم يأتهم نذير معاصر لهم فلا يعارض ذلك من تقدم قبل عصرهم وأيضا فإن المراد بقوله وإن من أمة إلا خلا فيها نذير أن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ليست بيدع فلا ينبغى أن تنسك لأن الله أرسله كما أرسل من قبله والمراد بقوله لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك أنهم محتاجون إلى الإنذار لكونهم لم يتقدم من ينذرهم فاختلف سياق الكلام فلا تعارض بينهما (وإن يكذبوك) الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم للتأسي (نكير) ذكر فى سبأ (ثمرات مختلفا ألوانها) يريد الصفرة

وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ \* ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ ۝ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ۝ لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَعْدَاجِدُ خَيْرٍ لِّبَصِيرِ ۝ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ۚ يُؤْتُونَ اللَّهَ بِذَنْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۝ جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ

والحمرة وغير ذلك من الألوان وقيل يريد الأنواع والأول أظهر لذكره البيض والحمر والسود بعد ذلك وفي الوجهين دليل على أن الله تعالى فاعل مختار ، يخاق ما يشاء ويختار وفيه رد على الطبايعيين لأن الطبيعة لا يصدر عنها إلا نوع واحد (جدد) جمع جدة وهي الخطاط والطرائق في الجبال (وغرابيب) جمع غريب وهو الشديد السواد وقدم الوصف الأباغ وكان حقه أن يتأخر لقصد التأكيد ولأن ذلك كثيرا ما يأتي في كلام العرب ( كذلك) يتعلق بما قبله فيتم الوقف عليه والمعنى أن من الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه مثل الجبال المختلفة ألوانها والثمار المختلفة ألوانها وذلك كله استدلال على قدرة الله وإرادته (إنما يخشى الله من عباده العلماء) يعني العلماء بالله وصفاته وشرائعه علما يوجب لهم الخشية من عذابه وفي الحديث أعلمكم بالله أشدكم له خشية لأن العبد إذا عرف الله خاف من عقابه وإذا لم يعرفه لم يخف منه لذلك خص العلماء بالخشية (إن الذين يتلون كتاب الله) أي يقرؤون القرآن وقيل معنى يلون يتبعون والخبر يرجون تجارة أو محذوف (لن تبور) أي لن تكسد ويعنى بالتجارة طلب الثواب (ويزيدهم من فضله) توفية الأجور وهو ما يستحقه المطيع من الثواب والزيادة للضعيف فوق ذلك، وقيل الزيادة النظر إلى وجه الله (مصداق لما بين يديه) تقدم في البقرة (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا) يعني أمة محمد صلى الله عليه وسلم والتوريت عبارة عن أن الله أعطاهم الكتاب بعد غيرهم من الأمم (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) قال عمر وابن مسعود وابن عباس وكعب وعائشة وأكثر المفسرين هذه الأصناف الثلاثة في أمة محمد صلى الله عليه وسلم فالظالم لنفسه العاصي والسابق التقي والمقتصد بينهما وقال الحسن : السابق من رجحت حسناته على سيئاته ، والظالم لنفسه من رجحت سيئاته والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته وجميعهم يدخلون الجنة وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له ، وقيل الظالم الكافر والمقتصد المؤمن العاصي والسابق التقي فالضمير في منهم على هذا يعود على العباد وأما على القول الأول فيعود على الذين اصطفينا وهو أرجح وأصح لوروده في الحديث ، وجلالة القائلين به ، فإن قيل : لم قدم الظالم ووسط المقتصد وآخر السابق ؟ فالجواب : أنه قدم الظالم لنفسه رفقا به لثلاثيئس وآخر السابق لثلاثيئس يعجب بنفسه ، وقال

من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير . وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور .  
الذى احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ، والذين كفروا لهم نار جهنم  
لا يقضى عليهم فموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور . وهم يصطرخون فيها ربنا  
اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل او لم نعمل ما يتذكر فيه من تذكريهم وجاءكم النذير فذوقوا فسا  
للظالمين من نصير . ان الله علم غيب السموات والارض انه علم بذات الصدور . هو الذى جعلكم خلائف  
فى الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقاما ولا يزيد الكافرين كفرهم  
الا خسارا . قل اريتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك فى  
السموات ام اتينهم كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غورا \* ان الله  
يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا .

الزخشرى : قدم الظالم لكثرة الظالمين و آخر السابق لقلة السابقين ( ذلك هو الفضل الكبير ) إشارة إلى الاصطلاح  
( جنات عدن ) بدل من الفضل أو خبر مبتدأ تقديره ثوابهم جنات عدن أو مبتدأ تقديره لهم جنات عدن  
( يدخلونها ) ضمير الفاعل يعود على الظالم ، والمقتصد ، والسابق ، على القول بأن الآية فى هذه الأمة :  
وأما على القول بأن الظالم هو الكافر فيعود على المقتصد والسابق خاصة وقال الزخشرى : إنه يعود على  
السابق خاصة وذلك على قول المعتزلة فى الوعيد ( أساور ) ذكر فى الحج ( اذهب عنا الحزن ) قيل هو  
عذاب النار ، وقيل أهوال القيامة وقيل همرم الدنيا والصواب العموم فى ذلك كله ( دار المقامة ) هى الجنة والمقامة  
هى الإقامة ، والموضع وإنما سميت الجنة دار المقامة ، لأنهم يقومون فيها ولا يخرجون منها ( نصب ) نصب  
تعب البدن واللغوب تعب النفس اللازم عن تعب البدن ( بصطرخون ) يفتعلون من الصراخ أى يستغيثون  
فيقولون ربنا اخرجنا وفى قولهم غير الذى كنا نعمل اعتراف بسوء عملهم وتندم عليه ( أو لم نعملكم ) الآية  
توييح لهم وإقامة حجة عليهم وقيل إن مدة التذكير ستون سنة وقيل أربعون وقيل البلوغ والأول أرجح  
لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمره الله ستين سنة فقد أعذر اليه فى العمر ( وجاءكم النذير ) يعنى  
النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل يعنى الشيب لأنه نذير بالموت والأول أظهر ( إنه علم بذات الصدور ) أى  
بما تضره الصدور وتعتقده ، وقال الزخشرى ذات هنا تأنيث ذو بمعنى صاحب لأن المضمرات تصحب  
الصدور ( خلائف ) ذكر فى الأنعام ( مقما ) المقت احتقار الإنسان وبغضه لأجل عيوبه أو ذنوبه ( قل  
أريتم شركاءكم ) الآية احتجاج على المشركين وإبطال لمذهبهم ( أم لهم شرك ) أى نصيب ( على بينة ) أى على  
أمر جلي والضمير فى أتيانهم يحتمل أن يكون الأصنام أو للمشركين وهذا أظهر فى المعنى والأول أليق  
بما قبله من الضمائر ( أن تزولا ) فى موضع مفعول من أجله تقديره كراهة أن تزولا أو مفعول به لأن  
يمسك بمعنى يمنع ( ولئن زالتا ) أى لو فرض زوالهما لم يمسكهما أحد وقيل أراد زوالهما يوم القيامة عند طي

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا \* أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأُولَىٰ فَإِنَّ سُنَّتَ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا \* أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً رَمَا كَانَ اللَّهُ ليعجزه من شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا \* وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا \*

### سورة يس

مكية إلا آية ٤٥ فنية وآياتها ٨٣ نزلت بعد الجن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* يَسْ \* وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ \* إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ \* عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ \* لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ \* لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ \*

السماء وتبديل الأرض ونسف الجبال (من بعده) أى من بعد تركه الإمساك (وأقسموا بالله) الضمير لقريش وذلك أنهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى جاهتهم الرسل فكذبوهم والله لئن جاءنا رسول لنكونن أهدي منهم (إحدى الأمم) يعنى اليهود والنصارى (فلما جاءهم نذير) يعنى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم (استكبارا) بدل من نفورا أو مفعول من أجله (ومكر السيئ) هذا من إضافة الصفة إلى الموصوف كقولك مسجد الجامع وجانب الغربي والأصل أن يقال المكر السيئ (ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله) أى لا يحيط وبال المكر السيئ إلا بمن مكره ودبره، وقال كعب لابن عباس إن فى التوراة من حفر حفرة لأخيه وقع فيها فقال ابن عباس أنا أجد هذا فى كتاب الله: ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله (فهل ينظرون إلا سنة الأولين) أى هل ينظرون لإعادة الأمم المتقدمة فى أخذ الله لهم وإهلا كههم بتكذيبهم للرسل (وما كان الله ليعجزه من شىء) أى لا يفوته شىء ولا يصعب عليه (ماترك على ظهرها من دابة) الضمير للأرض والدابة عموم فى كل ما يدب وقيل أراد بنى آدم خاصة (إلى أجل مسمى) يعنى يوم القيامة وباقى الآية وعد ووعيد:

### سورة يس

قد تكلمنا فى البقرة على حروف الهجاء وقيل فى يس إنه من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معناه بالإنسان (تنزيل) بالرفع خبر ابتداء مضمرة وبالنصب مصدر أو مفعول بفعل مضمرة (لتنذر قوما) هم قريش ويحتمل أن يدخل معهم سائر العرب وسائر الأمم (مأنذر آباؤهم) مانافية والمعنى لم يرسل إليهم ولا آباؤهم رسول ينذرهم، وقيل المعنى لتنذر قوما مثل مأنذر آباؤهم، فمأعلى هذا موصولة بمعنى الذى أو مصدرية والأول أرجح لقوله (فهم غافلون) يعنى أن غفلتهم بسبب عدم إندارهم وتكون بمعنى قوله ما أناهم من نذير من قبلك

إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ . وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ . وَسِوَا ذَلِكَ عَلَيْهِمْ أَنْزَرْنَاهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ . إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ . وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ . إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِم مَّا تَمَّ فَكَذَّبُوهُمَا فَعُزِّزْنَا بِتَالُوثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ . قَالُوا مَا آتَمُّ إِلَّا بِشَرٍّ مِثْلَنَا وَمَا آتَزَلَ الرَّحْمَنُ

ولا يعارض هذا بعث الأنبياء المتقدمين فإن هؤلاء القوم لم يدركوهم ولا آباؤهم الأقربون (لقد حق القول) أي سبق القضاء (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا) الآية : فيها ثلاثة أقوال : الأول أنها عبارة عن تماديهم على الكفر ومنع الله لهم من الإيمان ، فشبهم بمن جعل في عنقه غل يمنعه من الالتفات وغطى على بصره فصار لا يرى ، والثاني أنها عبارة عن كفههم عن إذابة النبي صلى الله عليه وسلم حين أراد أبو جهل أن يرميه بحجر فرجع عنه فزعا مرعوبا ، والثالث أن ذلك حقيقة في حالهم في جهنم ، والأول أظهر وأرجح لقوله قبلها وفهم لا يؤمنون ، وقوله بعدها وسوا عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون، (فهى إلى الأذقان) الذقن هى طرف الوجه حيث تنبت اللحية ، والضمير للأغلال ، وذلك أن الغل حلقة في العنق ، فإذا كان واسعا عريضا وصل إلى الذقن فكان أشد على المغلول ، وقيل الضمير للأيدي على أنها لم يتقدم لها ذكر ، ولكنها تفهم من سياق الكلام ، لأن المغلول تضم يدها في الغل إلى عنقه ، وفي مصحف ابن مسعود . إنا جعلنا في أيديهم أغلالا فهى إلى الأذقان . وهذه القراءة تدل على هذا المعنى ، وقد أنكره الزمخشري (فهم مقمحون) يقال قح البعير إذا رفع رأسه ، وأقح غيره إذا فعل به ذلك ، والمعنى أنهم لما اشتدت الأغلال حتى وصلت إلى أذقانهم اضطرت رؤوسهم إلى الارتفاع ، وقيل معنى مقمحون ممنوعون من كل خير (وجعلنا من بين أيديهم سدا) الآية : السد الحائل بين الشيئين ، وذلك عبارة عن منعهم من الإيمان (فأغشيناهم) أي غطينا على أبصارهم وذلك أيضا مجاز يراد به إضلالهم (وسوا عليهم) الآية : ذكرنا معناها وإعراها في البقرة (إنما تنذر من اتبع الذكر) المعنى أن الإنذار لا ينفع إلا من اتبع الذكر وهو القرآن (وخشى الرحمن بالغيب) معناه كقولك إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وقد ذكرناه في فاطر (إننا نحن نحي الموتى) أي نبعثهم يوم القيامة ، وقيل لإحيائهم لإخراجهم من الشرك إلى الإيمان ، والأول أظهر (ونكتب ما قدموا وآثارهم) أي ما قدموا من أعمالهم وما تركوه بعدهم كعلم علموه أو تحبب حبسوه ، وقيل الأثر هنا : الخطأ إلى المساجد ، وجاء ذلك في الحديث (إمام مبین) أى فى كتاب وهو اللوح المحفوظ أو صحائف الأعمال (واضرب لهم مثلا) الضمير لقريش ، ومثلا وأصحاب القرية مفعولان باضرب على القول بأنها تتعدى إلى مفعولين ، وهو الصحيح والقرية أنطاكية (إذ جاءها المرسلون) هم من الحواريين الذين أرسلهم عيسى عليه الصلاة والسلام يدعون الناس إلى عبادة الله ، وقيل بل هم رسل أرسلهم الله ، ويدل على هذا قول قومهم ما آتم إلا بشر مثلنا ، فإن هذا إنما يقال لمن ادعى أن الله أرسله (فعززنا بثالث) أى قوبنا الاثني برسول ثالث ، قيل اسمه شمعون (ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون) إنما أكدوا الخبر هنا باللام لأنه جواب المنكرين بخلاف

مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ، قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ، وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ، قَالُوا  
 إِنَّا نَطِيرُنَا بِكُمْ لَيْلٍ لَمَّا تَنْتَهَوْنَا لِنَرْجُمَنَّكُمْ وَلِيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ، قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ  
 قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ، وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ، اتَّبِعُوا مِنْ لَا يَسْأَلُكُمْ  
 أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ، وَمَالِي لَا أُعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تَرْجِعُونَ \* أَخَذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ  
 بُضْرًا لَنْ نُبْضُرَ ، إِنَّهُ إِذَا لَنِي ضَلَّلْتُ مَبِينٌ ، إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونَ ،  
 قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ، بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ، وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى  
 قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ، إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ،  
 يَحْسُرُونَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يُأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ \* أَلَمْ يَرَوْا كَمَا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ

الموضع الأول فإنه إخبار مجرد (قالوا إنا تطيرنا بكم) أى تشاء منا بكم، وأصل اللفظة من زجر الطير ليستدل على ما يكون من شر أو خير، وإنما تشاءوا بهم لأنهم جاؤهم بدين غير دينهم وقيل وقع فيهم الجذام لما كفروا، وقيل قحطوا (قالوا طائركم معكم) أى قال الرسل لأهل القرية شوؤمكم معكم: أى إنما الشؤم الذى أصابكم بسبب كفركم لا بسببنا (أئن ذكرتم) دخلت همزة الاستفهام على حرف الشرط وفى الكلام حذف تقديره أ تطيرون أن ذكرتم (يسعى) أى يسرع بجده ونصيحته ، وقيل اسمه حبيب النجار (اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون) أى هؤلاء المرسلون لا يسألونكم أجره على الإيمان فلا تخسرون معهم شيئاً من دنياكم وترجعون معهم الاهتداء فى دينكم (ومالى لا أعبد الذى فطرنى) المعنى أى شىء يمنعنى من عبادة ربي وهذا توقيف وإخبار عن نفسه قصد به البيان لقومه ، ولذلك قال وإليه ترجعون فخاطبهم (إن يردن الرحمن بضرًا لا تغن عنى شفاعتهم) هذا وصف الآلهة ، والمعنى كيف أتخذ من دون الله آلهة لا يشفعون ولا ينقذوننى من الضر (إنى إذا لنى ضلال مبين) أى إن اتخذت آلهة غير الله فإنى لنى ضلال مبين (إنى آمنت بربكم فاسمعون) خطاب لقومه أى اسمعوا قولى واعملوا بنصيحتى ، وقيل خطاب للرسل ليشهدوا له (قيل ادخل الجنة) قيل هنا محذوف يدل عليه الكلام ، وروى فى الأثر وهو أن الرجل لما نصح قومه قتلوه فلما مات قيل له ادخل الجنة ، واختلف هل دخلها حين موته كالشهداء أو هل ذلك بمعنى البشارة بالجنة ورؤيته لمقعده منها (قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربي) تمنى أن يعلم قومه بغفران الله له على إيمانه فىؤمنون، ولذلك ورد فى الحديث أنه نصح لهم حياً وميتاً ، وقيل أراد أن يعملوا ذلك فيندموا على فعلهم معه وينفهم ذلك (وما أنزلنا على قومه من جند من السماء) المعنى أن الله أهلكهم بصيحة صاحها جبريل ولم يحتاج فى تعذيبهم إلى إنزال جند من السماء لأنهم أهون من ذلك ، وقيل المعنى ما أنزل الله على قومه ملائكة رسلاً كما قالت قریش لولا أنزل إليه ملك فىكون معه نذيراً لفظ الجند ألق بالمعنى الأول، وكذلك ذكر الصيحة بعد ذلك (وما كنا منزلين) ما كنا لننزل جنداً من السماء على أحد (فإذا هم خامدون) أى ساكنون لا يتحركون

أَهْمُ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ۖ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۖ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةَ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا  
مِنْهَا حَبًّا فَهِنَّ يَأْكُلُونَ ۖ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَجَرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ۖ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ  
وَمَا عَمَلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ \* سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ  
وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ۖ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ۖ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ  
الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۖ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۖ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ  
وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۖ وَآيَةٌ لَهُمُ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ \* وَخَلَقْنَا

ولا ينطقون (يا حسرة على العباد) نداء للحسرة كأنه قال يا حسرة احضري فهذا وقتك ، وهذا التفجع عليهم  
استعارة في معنى التهويل والتعظيم لما فعلوا من استهزائهم بالرسول ، ويحتمل أن يكون من كلام الملائكة  
أو المؤمنين من الناس ، وقيل المعنى يا حسرة العباد على أنفسهم (الم يروا) الضمير لقريش أو للعباد على  
الإطلاق والرؤية هنا بمعنى العلم (وإن كل لما جميع لدينا محضرون) قرئ لما بالتخفيف وهي لام التأكيد  
دخلت على ما المزيدة وإن على هذا مخففة من الثقيلة ، وقرئ بالتشديد وهي بمعنى إلا ، وإن على هذا نافية (وما عملته  
أيديهم) ما معطوفة على ثمره أي لياكلوا من الثمر وما عملته أيديهم بالحرث والزراعة والغراسة ، وقيل ما نافية  
وقرئ ما عملت من غيرها وما على هذا معطوفة (الأزواج) يعني أصناف الخلوقات ثم فسرها بقوله بما تنبت  
الأرض وما بعده ، فمن في المواضع الثلاثة للبيان (ومما لا يعلمون) يعني أشياء لا يعلمها بنو آدم كقوله ويخلق  
مما لا تعلمون (نسلخ منه النهار) أي نجرده منه وهي استعارة (والشمس تجري لمستقر لها) أي لحدوموت تنهى  
إليه من فللكها وهي نهاية جريها إلى أن ترجع في المنقلبين الشتاء والصيف ، وقيل مستقرها وقوفها كل وقت  
زوال ، بدليل وقوف الظل حينئذ ، وقيل مستقرها يوم القيامة حين تكثور ، وفي الحديث مستقرها تحت  
العرش تسجد فيه كل ليلة بعد غروبها ، وهذا أصح الأقوال لوروده عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث  
الصحيح ، وقرئ لا مستقر لها أي لا تستقر عن جريها (والقمر قدرناه منازل) قرئ بالرفع على الابتداء  
أو عطف على الليل ، وبالنصب على إضمار فعل ، ولا بد في قدرناه من حذف تقديره قدرناه سيره منازل ،  
ومنازل القمر ثمانية وعشرون ينزل القمر كل ليلة واحدة منها من أول الشهر ثم يستتر في آخر الشهر ليلة  
أوليتين ، وقال الزمخشري وهذه المنازل هي مواضع النجوم : وهي السرطان ، البطين ، الثريا ، الدبران ، الهقعة  
الهنعة ، الذراع ، النثرة ، الطرف ، الجهة ، الزبرة ، الصرفة ، العوى ، السماك ، الغفر ، الزباني ، الاكليل ، القلب ،  
الشولة ، النعائم ، البلدة ، سعد بلع ، سعد الذابح ، سعد السعود ، سعد الأخبية ، فرغ الدلو المقدم ، فرغ الدلو  
المؤخر ، بطن الحوت (حتى عاد كالعرجون القديم) العرجون هو غصن النخلة شبه القمر به إذا انتهى في نقصانه  
والتشبيه في ثلاثة أوصاف : وهي الرقة ، والانحناء ، والصفرة ، ووصفه بالقديم لأنه حينئذ تكون له هذه  
الأوصاف (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) المعنى لا يمكن الشمس أن تجتمع مع القمر بالليل فتمحو  
نوره ، وهكذا قال بعضهم ويحتمل أن يريد أن سير الشمس في الفلك بطيء فإنها تقطع الفلك في سنة وسير

لَهُمْ مِنْ مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ \* وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَدُونَ \* إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ \*  
وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ، وَمَاتَاتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا  
عَنْهَا مُعْرِضِينَ \* وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُكُمْ مِنْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ  
أَطْعَمَهُمْ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ \* وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً

القمر سريع ، فإنه يقطع الفلك في شهر و البطيء لا يدرك السريع (ولا الليل سابق النهار) يعني أن كل واحد  
منهما جعل الله له وقتا موقتا واحدا معلوما لا يتعداه فلا يأتي الليل حتى ينفصل النهار ، كما لا يأتي النهار حتى  
ينفصل الليل ، ويحتمل أن يريد أن آية الليل وهي القمر لا تسبق آية النهار وهي الشمس : أي لا يجتمع معه  
فيكون المعنى كالذي قيل في قوله « لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر » فحصل من ذلك أن الشمس لا تجتمع مع  
القمر وأن القمر لا يجتمع مع الشمس (وكل في فلك يسبحون) ذكر في الأنبياء (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم  
في الفلك المشحون) معنى المشحون المملوء ، والفلك هنا يحتمل أن يريد به جنس السفن أوسفينة نوح عليه  
السلام ، وأما الذرية فقيل إنه يعني الآباء الذين حملهم الله في سفينة نوح عليه السلام ، وسمى الآباء ذرية لأنها  
تناسلت منهم ، وأنكر ابن عطية ذلك ، وقال إنه يعني النساء ، وهذا بعيد ، والأظهر أنه أراد بالفلك جنس السفن ،  
فيعني جنس بني آدم ، وإنما خص ذريتهم بالذكر لأنه أباغ في الامتنان عليهم ، ولأن فيه إشارة إلى حمل أعقابهم إلى  
يوم القيامة ، وإن أراد بالفلك سفينة نوح فيعني بالذرية من كان في السفينة ، وسماهم ذرية ، لأنهم ذرية آدم ونوح ،  
فالضمير في ذريتهم على هذا النوع بني آدم كأنه يقول الذرية منهم (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) إن أراد  
بالفلك سفينة نوح فيعني بقوله من مثله سائر السفن التي يركبها سائر الناس ، وإن أراد بالفلك جنس السفن فيعني  
بقوله من مثله الإبل وسائر المركوبات ، فتكون المماثلة على هذا في أنه مركوب لا غير ، والأول أظهر ، لقوله  
وإن نشأ نغرقهم ، ولا يتصور هذا في المركوبات غير السفن (فلا صريح لهم) أي لا مغيب لهم ولا منقذ لهم  
من الغرق (إلا رحمة منا) قال الكسائي نصب رحمة على الاستثناء كأنه قال إلا أن نرحمهم ، وقال الزجاج  
نصب رحمة على المفعول من أجله كأنه قال إلا لأجل رحمتنا إياهم (ومتاعا إلى حين) يعني آجالهم (وإذا قيل  
لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم) الضمير لقريش ، وجواب إذا محذوف تقديره أعرضوا يدل عليه إلا  
كانوا عنها معرضين ، والمراد بما بين أيديهم وما خلفهم ذنوبهم المتقدمة والمتأخرة ، وقيل ما بين أيديهم عذاب  
الأمم المتقدمة ، وما خلفهم عذاب الآخرة (قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعمنكم لو يشاء الله أطعمه) كان النبي  
صلى الله عليه وسلم والمؤمنون يحضون على الصدقات وإطعام المساكين فيجيبهم الكفار بهذا الجواب ،  
وفي معناه قولان : أحدهما أنهم قالوا كيف نطعم المساكين ولو شاء الله أن يطعمهم لأطعمهم ومن حرمهم  
الله نحن نحرّمهم ، وهذا كقولهم كن مع الله على المدبر ، والآخر أن قولهم رد على المؤمنين ، وذلك أن  
المؤمنين كانوا يقولون إن الأمور كلها بيد الله ، فكأن الكفار يقولون لهم لو كان كما تزعمون لأطعم الله  
هؤلاء فبالكم تطالبون إطعامهم منا ، ومقصدهم في الوجهين احتجاج لبلخهم ومنعهم الصدقات واستهزاء بمن  
حرضهم على الصدقات (إن أنتم إلا في ضلال مبين) يحتمل أن يكون من بقية كلامهم خطاباً للمؤمنين أو يكون

وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۖ فَلَا يُسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ۗ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ \* قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ۗ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۗ فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۗ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ فَسْكَهُونَ ۗ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرْضِ كَنُتُمْ مُتَّكُونَ ۗ لَهُمْ فِيهَا فَكْهَةٌ وَلَهُمْ مَائِدَعُونَ ۗ سَلِّمٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ۗ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ۗ أَلَمْ نَعِدْكُمْ يَسْبِيَّ يَسْبِيَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ \* وَإِنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۗ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ۗ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۗ أَصَلُّوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۗ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۗ وَلَوْ نَشَاءُ

من كلام الله خطابا للكافرين (ويقولون متى هذا الوعد) يعنون يوم القيامة أو نزول العذاب بهم (ما ينتظرون إلا الصيحة واحدة) أى ما ينتظرون إلا الصيحة واحدة وهى النفخة الأولى فى الصور وهى نفخة الصعق (تأخذهم وهم يخصمون) أى يتكلمون فى أمورهم وأصل يخصمون يختصمون، ثم أذغم، وقرئ بفتح الخاء وبكسرهما واختلاس حركتها (فلا يستطيعون توصية) أى لا يقدر أن يوصوا بما لهم وما عليهم لسرعة الأمر (ولا إلى أهلهم يرجعون) أى لا يستطيعون أن يرجعوا إلى منازلهم لسرعة الأمر (ونفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون) هذه النفخة الثانية وهى نفخة القيام من القبور، والأجداث هى القبور، وينسلون يسرعون المشى، وقيل يخرجون (قالوا يا ويلنا) الويل منادى أو مصدر (من بعثنا من مرقدنا) المرقد يحتمل أن يكون اسم مصدر أو اسم مكان قال أبى بن كعب ومجاهد: إن البشر ينامون نومة قبل الحشر، قال ابن عطية هذا غير صحيح الإسناد، وإنما الوجه فى معنى قولهم من مرقدنا: أنها استعارة وتشبيه به يعنى أن قبورهم شبهت بالمضاجع لكونهم فيها على هيئة الرقاد، وإن لم يكن رقاد فى الحقيقة (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) هذا مبتدأ وما بعده خبر وقيل إن هذا صفة لمرقدنا وما وعد الرحمن مبتدأ محذوف الخبر وهذا ضعيف، ويحتمل أن يكون هذا الكلام من بقية كلامهم أو من كلام الله أو الملائكة أو المؤمنين بقولونها للكفار على وجه التقرير (إن كانت إلا صيحة واحدة) يعنى النفخة الثانية وهى نفخة القيام (إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل) قيل هو اقتضاض الأبقار، وقيل سماع الأوتار، والأظهر أنه عام فى الاشتغال باللذات (فاكهون) قرئ بالالف ومعناه أصحاب فاكهة، وبغير ألف وهو من الفكاهة بمعنى الراحة والسرور (فى ظلال) جمع ظل، وبالضم جمع ظلة، (على الأرائك) جمع أريكة وهى السرير (ولهم ما يدعون) أى ما يتمنون، وقيل معناه أن ما يدعون به يأتهم (سلام) مبتدأ، وقيل بدل مما يدعون (قولا) مصدره وكد، والمعنى: أن السلام عليهم قول من الله بواسطة الملك أو بغير واسطة (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) أى انفردوا عن المؤمنين، وكونوا على حدة (جبلا كثيرا) الجبل الأمة العظيمة، وقال الضحاك: أفها عشرة آلاف ولا نهاية لاكثرها، وقرئ بكسر الجيم والباء وتشديد اللام، وبضمهما مع التخفيف، وبضم الجيم وإسكان الباء، وهى لغات

لَطْمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ۖ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَعُوا  
مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ۖ وَمَنْ نَعْمَرُهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ۖ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا  
ذَكَرَ وَقُرَّانٌ مَّبِينٌ ۖ لِيُذَكِّرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ۖ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ  
أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَلَائِكُونَ ۖ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ

بمعنى واحد ( اليوم نختم على أفواههم ) أى نمنعهم من الكلام فننطق أعضاؤهم يوم القيامة ( ولو نشاء لطمسنا على أعينهم ) هذا تهديد لقريش ، والطمس على العين هو العمى ، والصراط الطريق وأنى استفهام يراد به النفى . فعنى الآية لو نشاء لأعميناهم ولو راهوا أن يمشوا على الطريق لم يبصروه ، وقيل يعنى عمى البصائر أى لو نشاء لختمنا على قلوبهم فالطريق على هذا استعارة بمعنى الإيمان والخير ( ولو نشاء لمسخناهم ) هذا تهديد بالمسخ ، فقيل معناه المسخ قردة وخنازير وحجارة ، وقيل معناه لو نشاء لجعلناهم مقعدين مبطلين لا يستطيعون تصرفا ، وقيل إن هذا التهديد كله بما يكون يوم القيامة ، والأظهر أنه فى الدنيا ( على مكاتبتهم ) المكاة المكاتب ، والمعنى لو نشاء لمسخناهم مسخا يقعدهم فى مكانهم ( فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون ) أى إذا مسخوا فى مكانهم لم يقدرُوا أن يذهبوا ولا أن يرجعوا ( ومن نعمره نكسه فى الخلق ) أى نحول خلقته من القوة إلى الضعف ، ومن الفهم إلى البله وشبه ذلك كما قال تعالى « ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة ، وإنما قصد بذلك هنا الاستدلال على قدرته تعالى على مسخ الكفار كما قدر على تنكيس الإنسان إذا هرم ( وما علمناه الشعر وما ينبغي له ) الضمير ان لمحمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، وذلك رد على الكفار فى قولهم إنه شاعر ، وكان صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لا ينظم الشعر ولا يزنه ، وإذا ذكر بيت شعر كسر وزنه ، فإن قيل . قد روى عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال : أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبدالمطلب وروى أيضا عنه صلى الله تعالى عليه وسلم : هل أنت إلا أصبع دमित ، وفى سبيل الله ما لقيت ، وهذا الكلام على وزن الشعر فالجواب أنه ليس بشعر وأنه لم يقصد به الشعر ، وإنما جاء موزونا بالانفاق لا بالقصد ، فهو كالكلام المشور ، ومثل هذا يقال فى مثل ما جاء فى القرآن من الكلام الموزون ويقضى قوله « وما ينبغي له ، تنزيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن الشعر لما فيه من الأباطيل وإفراط التجاوز حتى يقال إن الشعرا طيبه أ كذبه ، وليس كل الشعر كذلك فقد قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « إن من الشعر لحكمة ، وقد أكثر الناس فى ذم الشعر ومدحه ، وإنما الانصاف قول الشافعى الشعر كلام والكلام منه حسن ومنه قبيح ( إن هو إلا ذكر ) الضمير للقرآن يعنى أنه ذكر لله أو تذ كبير للناس أو شرف لهم ( لينذر من كان حيا ) أى حتى القلب والبصيرة ( ويحق القول على الكافرين ) أى يجب عليهم العذاب ( أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما علمت أيدينا أنعاما ) مقصد الآية تعديد النعم وإقامة الحجة ، والأيدى هنا عند أهل التأويل عبارة عن القدرة ، وعند أهل التسليم من المتشابه الذى يجب الإيمان به وعده عند الله ( فمنها ركوبهم ) الركوب بفتح الراء هو المركوب ( ولهم فيها منافع ) يعنى الأكل منها والحمل عليها والاتفاح بالجلود والصفوف وغيره ( ومشارب ) يعنى الألبان ( لا يستطيعون نصرهم ) الضمير فى يستطيعون الأصنام ، وفى نصرهم المشركين ، ويحتمل العكس ، ولكن الأول أرجح فإنه لما ذكر أن المشركين اتخذوا الأصنام لينصروهم : أخبر أن الأصنام لا يستطيعون نصرهم فغاب أملمهم

أَفَلَا يَشْكُرُونَ \* وَأَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحَضَّرُونَ ۚ  
فَلَا يَحِزُّكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ \* أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانَ إِذَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ \*  
وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ \* قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ  
خَلْقٍ عَلِيمٌ \* الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ ۚ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ ۚ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ  
فَيَكُونُ ۚ فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدُّ يَدَيْهِ مَلَكَوَاتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۚ

(وهم لهم جند محضرون) الضمير الأول للبشر كين والثاني للأصنام يعني أن المشركين يخدمون الأصنام ويتعصبون لهم حتى أنهم لهم كالجند وقيل بالعكس بمعنى أن الأصنام جند محضرون لعذاب المشركين في الآخرة والأول أرجح لأنه تقييد لحال المشركين (فلا يحزنك قولهم) تسليية للنبي صلى الله عليه وسلم معللة لما بعدها (أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة) هذه الآية وما بعدها إلى آخر السورة براهين على الحشر يوم القيامة ورد على من أنكر ذلك، والنطفة هي نطفة المني التي خلق الإنسان منها ولا شك أن الإله الذي قدر على خلق الإنسان من نطفة قادر على أن يخلق مرة أخرى عند البعث، وسبب الآية أن العاصي بن وائل جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم فقال يا محمد من يحيي هذا وقيل إن الذي جاء بالعظم أمية بن خلف وقيل أبي بن خلف فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الله يحييه ويميتك ثم يحييك ويدخلك جهنم (فإذا هو خصيم مبين) أي متكلم قادر على الخصام بين ما في نفسه بلسانه (وضرب لنا مثلا) إشارة إلى قول الكافرين من يحيي هذا العظم (ونسى خلقه) أي نسي الاستدلال بخلقته الأولى على بعثه والنسيان هنا يحتمل أن يكون بمعنى الذهول أو الترك (وهي رميم) أي بالية متفتتة (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة) استدلال بالخلق الأولى على البعث (وهو بكل خلق عليم) أي يعلم كيف يخلق كل شيء فلا يصعب عليه بعث الأجساد بعد فنائها والخلق هنا يحتمل أن يكون مصدرا أو بمعنى المخلوق (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا) هذا دليل آخر على إمكان البعث وذلك أن الذين أنكروه من الكفار والطبايعيين قالوا طبع الموت يضاد طبع الحياة فكيف تصير العظام حية . فأقام الله عليهم الدليل من الشجر الأخضر الممتلئ ماء مع مضادة طبع الماء للنار ويعنى بالشجر زناد العرب وهو شجر المرخ والعفار فإنه يقطع من كل واحد منهما غصنا أخضر يقطر منه الماء فيسحق المرخ على العفار فتندح النار بينهما قال ابن عباس ليس من شجرة إلا وفيها نار إلا العناب ولكنه في المرخ والعفار أكثر (أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم) هذا دليل آخر على البعث بأن الإله الذي قدر على خلق السموات والأرض على عظمها وكبر أجرامها قادر على أن يخلق أجساد بني آدم بعد فنائها والضمير في مثلهم يعود على الناس (وهو الخلاق العليم) ذكر في هذين الاسمين أيضا استدلال على البعث وكذلك في قوله إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون لأن هذا عبارة عن قدرته على جميع الأشياء ولا شك أن الخلاق العليم التقدير لا يصعب عليه إعادة الأجساد (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء) في هذا استدلال على البعث وتنزيهه عما نسبته الكفار إليه من العجز عن البعث فإنهم ما قدره والله حق قدره وكل من أنكر البعث فإنما أنكره لجهله بقدرته الله سبحانه وتعالى .

## سورة الصافات

مكية وآياتها ١٨٢ نزلت بعد الأنعام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* وَالصَّافَّاتِ صَفًّا \* فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا \* فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا \* إِنَّ إِلَهَهُمْ  
لَوَاحِدٌ \* رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا \* وَرَبُّ الْمَشَارِقِ \* إِنَّا زِينَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ \*  
وَحَفَظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ \* لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى \* وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ \* دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ  
وَاصِبٌ \* إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ \* فَاسْتَفْتِهِمْ أَهْ أَمْ أَشَدُّ خَلْقًا \* أَمْ مِنْ خَلْقِنَا \* إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ

## سورة الصافات

(والصافات صفا) تقديره والجماعات الصافات ثم اختلف فيها فاقيل هي الملائكة التي تصف في السماء صفوفا لعبادة الله وقيل هو من يصف من بني آدم في الصلوات والجهاد والاول أرجح لقوله حكاية عن الملائكة وإنا لنحن الصافون (فالزاجرات زجراً) هي الملائكة تزجر السحاب وغيرها وقيل الزاجرون بالمواعظ من بني آدم وقيل هي آيات القرآن المتضمنة للزجر عن المعاصي (فالتاليات ذكراً) هي الملائكة تتلو القرآن والذكر وقيل هم التالون للقرآن والذكر من بني آدم وهي كلها أشياء أقسم الله بها على أنه واحد (ورب المشارق) يعني مشارق الشمس وهي ثلاثمائة وستون مشرقاً وكذلك المغارب فإنها تشرق كل يوم من أيام السنة في مشرق منها وتغرب في مغرب ، واستغنى بذكر المشارق عن ذكر المغارب لأنها معادلة لها ففهم من ذكرها (بزينة الكواكب) قرئ بإضافة الزينة إلى الكواكب والزينة تكون مصدراً واسماً لما يزان به فإن كان مصدراً فهو مضاف إلى الفاعل تقديره بأن زينة الكواكب اسماً أو مضاف إلى المفعول تقديره بأن زينا الكواكب وإن كانت اسماً فالإضافة بيان للزينة وقرئ بتتوين زينة وخفض الكواكب على البديل ونصب الكواكب على أنها مفعول بزينة أو بدل من موضع زينة (وحفظاً) منصوب على المصدر تقديره وحفظناها حفظاً أو مفعول من أجله والواو زائدة أو محمول على المعنى لأن المعنى إنا جعلنا الكواكب زينة للسماء وحفظاً (مارد) أي شديد الشر (لا يسمعون إلى الملاء الأعلى) الضمير في يسمعون للشياطين والملاء الأعلى هم الملائكة الذين يسكنون في السماء والمعنى أن الشياطين منعت من سماع أحاديث الملائكة وقرئ يسمعون بتشديد السين والميم ووزنه يتفعلون والسمع طلب السماع ففي السماع على القراءة الأولى ونفي طلبه على القراءة بالتشديد والاول أرجح لقوله «إنهم عن السمع لمعزولون» ولأن ظاهر الأحاديث أنهم يسمعون لكنهم لا يسمعون شيئاً منذ بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم يرمون بالكواكب (ويقذفون) أي يرمون يعني بالكواكب وهي التي يراها الناس تنقض قال النقاش ومكي ليست الكواكب الراجعة للشياطين بالكواكب الجارية في السماء لأن تلك لا ترى حركتها وهذه الراجعة ترى حركتها لقربها منا قال ابن عطية وفي هذا نظر (دحوراً) أي طرداً وإبعاداً وإهانة لأن الدحر الدفع بعنف وإعرابه مفعول من أجله أو مصدر من يقذفون على المعنى أو مصدر في موضع الحال تقديره مدحورين (عذاب واصب) أي دائم لأنهم يرمون

مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ۖ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۚ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ۚ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ۚ وَقَالُوا  
 إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۚ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ \* أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۚ قُلْ نَعَمْ  
 وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ۚ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ۚ وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ۚ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ  
 الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۚ أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ \* مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى  
 صِرَاطِ الْجَحِيمِ ۚ وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُورُونَ ۚ مَا لَكُمْ لَا تَنصَرُونَ ۚ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ۚ وَاقْبَلْ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ

بالنجوم في الدنيا ثم يقذفون في جهنم ، (إلا من خطف الخطفة) من في وضع رفع بدل من الضمير في قوله لا يسمعون  
 والمعنى لا تسمع الشياطين أخبار السماء إلا الشيطان الذي خطف الخطفة (شهاب ثاقب) أي شديد الإضاءة (فاستفتحهم  
 أم أشد خلقاً أم من خلقنا) الضمير لكفار قريش والاستفتاء نوع من السؤال وكأنه سؤال من يعتبر قوله ويجعل  
 حجة لأن جوابهم عن السؤال مما تقوم به الحجة عليهم ومن خلقنا يراد به ما تقدم ذكره من الملائكة  
 والسموات والأرض والمشارق والكواكب وقيل يراد به ما تقدم من الأمم والأول أرجح لقراءة ابن  
 مسعود أم من عددنا مقصد الآية إقامة الحجة عليهم في إنكارهم البعث في الآخرة كأنه يقول هذه المخلوقات أشد  
 خلقاً منكم فكما قدرنا على خلقهم كذلك نقدر على إعادتهم بعد فناءكم (إنا خلقناهم من طير لازب) اللازب  
 اللازم أي يلزم ما جاوره ولبصق به ووصفه بذلك يراد به ضعف خلقه بنى آدم ، (بل عجبتم ويسخرون) أي عجبتم  
 يا محمد من ضلالهم وإعراضهم عن الحق أو عجبتم من قدرة الله على هذه المخلوقات العظام المذكورة وقرئ  
 عجبتم بضم التاء وأشكل ذلك على من يقول إن التعجب مستحيل على الله فتأولوه بمعنى أنه جعله على حال يتعجب منها  
 الناس وقيل تقديره قل يا محمد عجبتم وقد جاء التعجب من الله في القرآن والحديث كقوله صلى الله عليه وسلم  
 يعجب ربك من شاب ليس له صبوة وهو صفة فعل وإنما جعلوه مستحيلاً على الله لأنهم قالوا إن التعجب  
 استعظام خفي سببه والصواب أنه لا يلزم أن يكون خفي السبب بل هو مجرد الاستعظام فعلى هذا لا يستحيل  
 على الله (ويسخرون) تقديره وهم يسخرون منك أو من البعث (وإذا رأوا آية يستسخرون) الآية هنا العلامة  
 كانشقاق القمر ونحوه وروى أنها نزلت في مشرك اسمه ركانة أراه النبي صلى الله عليه وسلم آيات فلم يؤمن  
 ويستسخرون معناه يسخرون فيكون فعل واستعمل بمعنى واحد وقيل معناه يستدعى بعضهم بعضاً لأن يسخر  
 وقيل يبالغون في السخرية (أنذا كنا تراباً) لآية: معناها استبعادهم البعث وقد تقدم الكلام على الاستفهامين في  
 الرعد (أو آباؤنا) بفتح الواو (دخلت همزة الإنكار على واو العطف وقرئ بالإسكان عطفاً بأو) (قل نعم وأنتم  
 داخرون) أي قل تبعثون والداخر الصاغر الذليل (زجرة واحدة) هي النفخة في الصور للقيام من القبور (فإذا  
 هم ينظرون) يحتمل أن يكون من النظر بالأبصار أو من الانتظار أي ينتظرون ما يفعل بهم (فهذا يوم الدين)  
 يحتمل أن يكون من كلامهم مثل الذي قبله أو مما يقال لهم مثل الذي بعده (احشروا) الآية: خطاب للملائكة  
 خاطبهم به الله تعالى أو خاطب به بعضهم بعضاً (وأزواجهم) يعني نساؤهم المشركات وقيل يعني أصنامهم وقرناءهم  
 من الجن والإنس (وما كانوا يعبدون) يعني الأصنام والأدمين الذين كانوا يرضون بذلك (فاهدوهم إلى صراط  
 الجحيم) أي دلوهم على طريق جهنم ليدخلوها (إنهم مسؤلون) يعني إنهم يسألون عن أعمالهم توبيخاً لهم وقيل يسألون

بعض يتساءلون ۞ قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ۞ قالوا بل لم تكونوا مؤمنين ۞ وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوماً طغين ۞ فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون ۞ فأغويينكم إنا كنا غوين ۞ فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون ۞ إنا كذلك نفعل بالمجرمين ۞ إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ۞ ويقولون أئنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون ۞ بل جاء بالحق وصدق المرسلين ۞ إنكم لذائقوا العذاب الأليم ۞ وما تجزون إلا ما كنتم تعملون ۞ إلا عباد الله المخلصين ۞ أولئك لهم رزق معلوم ۞ فواكه وهم مكرمون ۞ في جنات النعم ۞ على سرر متقابلين ۞ يطاف عليهم بكأس من معين ۞ بيضاء لذة للشريين ۞

عن قول لا إله إلا الله والاول أرجح لانه أهم ويحتمل أن يسألوا عن عدم تناصرهم على وجه التهمك بهم فيكون مسئولون عاملاً فيما بعده والتقدير يقال لهم مالكم لا ينصر بعضكم بعضاً وقد كنتم في الدنيا تقولون نحن جميع منتصر (مستسلمون) أي منقادون عاجزون عن الانتصار (قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين) الضمير في قالوا للضعفاء من الكفار خاطبوا الكبراء منهم في جهنم أو الإنس خاطبوا الجن واليمين هنا يحتمل ثلاث معان الأول أن يراد بها طريق الخير والصواب وجاءت العبارة عن ذلك بلفظ اليمين كما أن العبارة عن الشر بالشمال والمعنى أنهم قالوا لهم إنكم كنتم تأتوننا عن طريق الخير فنصدوننا عنه والثاني أن يراد به القوة والمعنى على هذا أنكم كنتم تأتوننا بقوتكم وسلطانكم فتأمرونا بالكفر وتمنعونا من الإيمان والثالث أن يراد بها اليمين التي يحلف بها أي كنتم تأتوننا بأن تحلفوا لنا أنكم على الحق فنصدقكم في ذلك وتبعكم (قالوا بل لم تكونوا مؤمنين) الضمير في قالوا للكبراء من الكفار أو للشياطين والمعنى أنهم قالوا لا تبعهم ليس الأمر كما ذكرتم بل كفرتم باختياركم (فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون) أي وجب العذاب علينا وعليكم، وإنا لذائقون: معمول القول وحذف معمول ذائقون تقديره وجب القول بأذائقون العذاب (فأغويينكم إنا كنا غوين) أي دعوناكم إلى الغي، لانا كنا على غي (فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون) أي إن المتبوعين والاتباع مشتركون في عذاب النار (يقولون إنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون) الضمير في يقولون لكفار قريش، وبعنون بشاعر مجنون: محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فرد الله عليهم بقوله (بل جاء بالحق) أي جاء بالتوحيد والإسلام، وهو الحق (وصدق المرسلين) الذين جاؤا قبله: لأنه جاء بمثل ما جاؤا به، ويحتمل المعنى أن يكون صدقهم لأنهم أخبروا بنبوته فظهر صدقهم لما بعث عليه الصلاة والسلام (إلا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع بمعنى لكن، وقرئ مخلصين بفتح اللام وكسرها في كل موضع، وقد تقدم تفسيره (على سرر متقابلين) السرر جمع سرير، وتقابلهم في بعض الأحيان للسرور بالأنس، وفي بعض الأحيان يتفرد كل واحد بقصره (يطاف عليهم بكأس من معين) الذين يطوفون عليهم الولدان، حسبما ورد في الآية الأخرى، والكأس الإناء الذي فيه خمر قاله ابن عباس، وقيل الكأس إناء واسع الفم، ليس له مقبض، سواء كان فيه خمر أم لا، والمعين: الجاري الكثير، ووزنه فاعيل، والميم فيه أصلية، وقيل هو مشتق من العين، والميم زائدة، ووزنه مفعول (لذة) أي ذات لذة، فوصفها بالمصدر

لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ۖ وَعِنْدَهُمْ قَصْرَاتُ الْطَّرْفِ عَيْنٌ ۖ كَأَنَّهُمْ بِيضٌ مَّكْنُونٌ ۖ فَأَقْبَل بَعْضُهُمْ  
عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۖ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۖ يَقُولُ إِذْ كَانَ مِنَ الْمُسَدِّقِينَ ۖ إِذْ مَا مَنَّا وَكُنَّا تُرَابًا  
وَعِظْمًا ۖ إِنَّا كَلَّمْنَاهُ مِن قَبْلُ قَدَّرْنَا مَوَاقِعَ الْبُرْجِ ۖ وَنَحْنُ أَهْلُ الْبُرْجِ ۖ وَكُنَّا تُرَابًا ۖ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ  
أَقْسَامَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ وَقُلْ إِنَّمَا نَحْنُ بَشَرٌ ۖ مِثْلُكُمْ ۖ وَلَكِن نَحْنُ لَعَلَّكُمْ فِى الْغَايِبِ مُبْتَلَيْنَ ۖ أَفَمَا نَحْنُ بِمَعْبُودِينَ ۖ إِنَّ هَذَا  
هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۖ لِمَثَلٍ هَذَا فليعمل العَمَلُونَ ۖ أَذَلِكَ خَيْرٌ نَزَلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ ۖ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ۖ

اتساعا (لا فيها غول) الغول: اسم عام في الأذى والضير، ومنه يقال غاله يغوله: إذا أهلكه. وقيل الغول  
وجع في البطن، وقيل صداع في الرأس، وإنما قدم المجرور هنا تعريضا بخمر الدنيا، لأن الغول فيها  
(ولاهم عنها ينزفون) أى لا يسكرون من خمر الجنة، ومنه النزيف، وهو السكران، وعن هنا سببية، كقولك  
فعلته عن أمرك، أى لا ينزفون بسبب شربها (قاصرات الطرف) معناها أنهم قصرن أعينهن على النظر إلى  
أزواجهن، فلا ينظرن إلى غيرهن (عين) جميع عيناه، وهو الكبيرة العينين في جمال (كأنهن بيض مكنون)  
قيل شبههن في اللون ببيض النعام، فإنه يبيض خالطه صفرة حسنة، وكذلك قال امرئ القيس \* كبكر مقناة  
البياض بصفرة. وقيل إنما التشبيه بلون قشر البيضة الداخلى الرقيق، وهو المكنون المصون تحت القشرة  
الأولى، وقيل أراد الجوهر المصون (فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) هذا إخبار عن تحدث أهل الجنة  
قال الزمخشري هذه الجملة معطوفة على يطاف عليهم، والمعنى أنهم يشربون فيتحدثون على الشراب، بما  
جرى لهم في الدنيا (إنى كان لى قرين) قيل إن هذا القائل وقرينه من البشر، مؤمن وكافر وقيل إن قرينه كان  
من الجن (يقول أئنك لمن المصدقين) معناها أنه كان يقول له على وجه الإنكار أتصدق بالدنيا والآخرة  
(لدينون) أى مجازون ومحاسبون على الأعمال، ووزنه مفعول، وهو من الدين، بمعنى الجزاء والحساب (قال  
هل أتم مطلعون) أى قال ذلك القائل لرفقائه في الجنة، أو للبلائكة أو لخدمته، هل أتم مطلعون على النار  
لأريكم ذلك العزيز فيها، وروى أن فى الجنة كوى ينظرون أهلها منها إلى النار (فى سواء الجحيم) أى فى  
وسطها (قال تالله إن كدت لتردين) أى تهلكن يا غوائك، والردى الهلاك، وهذا خطاب خاطب  
به المؤمن قرينه الذى فى النار (من المحضرين) فى العذاب (أفما نحن بمبتين) هذا من كلام المؤمن، خطاب  
لقرينه أو خطابا لرفقائه فى الجنة ولهذا قال نحن فأخبر عن نفسه وعنهم ويحتمل أن يكون من كلامه وكلامهم  
جميعا (إن هذا هو الفوز العظيم) يحتمل أن يكون من كلام المؤمن، أو من كلامه وكلام رفقائه فى الجنة أو  
من كلام الله تعالى، وكذلك يحتمل هذه الوجوه فى قوله لمثل هذا فليعمل العاملون، والأول أرجح فيه أن  
يكون من كلام الله تعالى لأن الذى بعده من كلام الله فىكون متصلا به، ولأن الأمر بالعمل إنما هو حقيقة  
فى الدنيا ففيه تخصيص على العمل الصالح (أذلك خير أم شجرة الزقوم) الإشارة بذلك إلى نعيم الجنة، وكل  
ما ذكر من وصفها، وقال الزمخشري الإشارة إلى قوله رزق معلوم، والنزل الضيافة، وقيل الرزق الكثير  
وجاء التفضيل هنا بين شيئين، ليس بينهما اشتراك، لأن الكلام تقرير وتوبيخ (إنا جعلناها فتنه للظالمين)  
قيل سببها أن أبا جهل وغيره لما سمعوا ذكر شجرة الزقوم، قالوا كيف يكون فى النار شجرة، والنار تحرق

إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۖ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا كَافُونَ مِنْهَا فَمَأْثُونٌ مِنْهَا الْبُطُونَ ۚ  
 ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ۚ ثُمَّ إِنَّا مَرَجَعَهُمْ لِآلِ الْجَحِيمِ ۚ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ۖ فَهَمُّ عَلَى  
 آثَرِهِمْ يَهْرَعُونَ ۚ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ۚ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ  
 الْمُنذَرِينَ ۚ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۚ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْنَعْمَ الْغُيُوثُ ۖ وَبَجَيْنُهُ وَأَهْلُهُ مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ۚ  
 وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ۖ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۖ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ۚ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۚ  
 إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۚ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ۚ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ۚ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۚ إِذْ قَالَ  
 لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۚ أَنْفَكَ إِلَهَةٌ دُونَ اللَّهِ تَرِيدُونَ ۚ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ فَانظُرْ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ۚ

الشجر ، فالفتنة على هذا الابتلاء في الدنيا وقيل معناه ، عذاب الظالمين في الآخرة ، والمراد بالظالمين هنا الكفار (إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم) أي تنبت في قعر جهنم وترتفع أغصانها إلى دركاتهما (طلعها كأنه رؤس الشياطين) الطلع ثمر النخل فاستعير لشجرة الزقوم وشبه برؤس الشياطين مبالغة في قبحه وكرهاته ، لأنه قد تقرر في نفوس الناس كراهتها وإن لم يروها ، ولذلك يقال للقبح المنظر وجه شيطان وقيل رؤس الشياطين شجرة معروفة باليمن ، وقيل هو صنف من الحيات (لشوبها من حميم) أي مزاجا من ماء حار ، فإن قيل : لم عطف هذه الجملة بثم ، فالجواب من وجهين : أحدهما أنه لترتيب تلك الأحوال في الزمان ، فالعنى أنهم يماؤن البطون من شجر الزقوم ، وبعد ذلك يشربون الجحيم ، والثاني أنه لترتيب مضاعفة العذاب فالمنع أن شربهم للجحيم أشد مما ذكر قبله (يهرعون) الإهرع الإسراع الشديد (ولقد نادانا نوح) أي دعانا فالعنى دعاؤه يهلك قومه ونصرته عليهم (من الكرب العظيم) يعنى الغرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) أهل الأرض كلهم من ذرية نوح لأنه لما غرق الناس في الطوفان ونجا نوح ومن كان معه في السفينة ، تناسل الناس من أولاده الثلاثة ، سام وحام ويافت (وتركنا عليه في الآخرين) معناه أبقينا عليه ثناء جميلا في الناس إلى يوم القيامة (سلام على نوح في العالمين) هذا التسليم من الله على نوح عليه السلام ، وقيل إن هذه الجملة مفعول تركنا وهي محكية أي تركناها هذه الكلمة ، يقال له يعنى أن الخلق يسلمون عليه فيبتدأ بالسلام على القول الأول ، لا على الثاني والأول أظهر ومعنى في العالمين على القول الأول تخصيصه بالسلام عليه بين العالمين ، كما تقول أحب فلانا في الناس أي أحبه خصوصا من بين الناس ومعناه على القول الثاني : أن السلام عليه ثابت في العالمين ، وهذا الخلاف يجرى حيث ما ذكر ذلك في هذه السورة (وإن من شيعته لإبراهيم) الشيعة الصنف المتفق ، فمعنى من شيعته من على دينه في التوحيد ، والضمير يعود على نوح وقيل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والأول أظهر (إذ جاء ربه) عبارة عن إخلاصه وإقباله على الله تعالى ، بكليته وقيل المراد المحيى بالجسد (بقلب سليم) أي ساي من الشرك ، والشك وجميع العيوب (أنفكا آلهة دون الله تريدون) الإفك الباطل وإعرا به هنا مفعول من أجله ، وآلهة مفعول به وقيل أنفكا مفعول به وآلهة بدل منه وقيل أنفكا مصدر في موضع الحال ، تقديره آفككين أي كاذبين والأول أحسن

فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ \* فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ \* فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمُ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ \* مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ \* فَرَاغَ عَلَيْهِمْ  
ضُرَبًا بِالْيَمِينِ \* فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُونَ \* قَالَ أَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ \* وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ \* قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا  
فَالْقَوْمُ فِي الْجَحِيمِ \* فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ \* وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ \* رَبِّ هَبْ لِي

(فما ظنكم برب العالمين) المعنى أى شئ تظنون برب العالمين ، أن يعاقبكم به وقد عبدتم غيره أو أى شئ تظنون أنه هو حتى عبدتم غيره كما تقول ما ظنك بفلان إذا قصدت تعظيمه ، فالمراد على المعنى الأول تهديد و على الثانى تعظيم لله وتوبيخ لهم ( فنظر نظرة فى النجوم فقال إني سقيم ) روى أن قومه كان لهم عيد يخرجون إليه فدعوه إلى الخروج معهم ، فحينئذ قال إني سقيم ليمتنع عن الخروج معهم ، فيكسر أصنامهم إذا خرجوا لعيدهم وفى تأويل ذلك ثلاثة أقوال الأول أنها كانت تأخذة الحمى فى وقت معلوم ، فنظر فى النجوم ليرى وقت الحمى ، واعتذر عن الخروج لأنه سقيم من الحمى ، والثانى أن قومه كانوا منجمين وكان هو يعلم أحكام النجوم فأوهمهم أنه استدلل بالنظر فى علم النجوم أنه يسقم ، فاعتذر بما يخاف من السقم عن الخروج معهم والثالث أن معنى نظر فى النجوم أنه نظر وفكر فيما يكون من أمره معهم فقال إني سقيم والنجوم على هذا ما ينجم من حاله معهم ، وليست بنجوم السماء ، وهذا بعيد وقوله إني سقيم على حسب هذه الأقوال يحتمل أن يكون حقا لا كذب فيه ولا تجوز أصلا ، ويعارض هذا ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن إبراهيم كذب ثلاث كذبات ، أحدها : قوله إني سقيم ، ويحتمل أن يكون كذبا صراحا ، وجاز له ذلك لهذا الاحتمال لأنه فعل ذلك من أجل الله إذ قصد كسر الأصنام ، ويحتمل أن يكون من المعارض فإن أراد أنه سقيم فيما يستقبل لأن كل إنسان لابد له أن يمرض ، أو أراد أنه سقيم النفس من كفرهم وتكذيبهم له وهذان التأويلان أولى ، لأن نفي الكذب بالجملة معارض للحديث ، والكذب الصراح لا يجوز على الأنبياء ، عند أهل التحقيق ، أما المعارض فهى جائزة ( فتولوا عنه مدبرين ) أى تركوه إعراضا عنه وخرجوا إلى عيدهم ، وقيل إنه أراد بالسقم الطاعون وهو داء يعدى يخافوا منه وتباعدا عنه مخافة العدوى ( فراغ ) أى مال ( فقال ألا تأكلون ) إنما قال ذلك على وجه الاستهزاء بالذين يعبدون تلك الأصنام ( ضربا باليمين ) أى يمين يديه وقيل بالقوة وقيل بالحلف ، وهو قوله تالله لا كيدن أصنامكم ، والأول أظهر وأليق بالضرب وضربا مصدر فى موضع الحال ( يزفون ) أى يسرعون ( قال أعبدون ما تنحتون ) أى تنجرون والنحت النجارة إشارة إلى صنعهم للأصنام من الحجارة والخشب ( والله خلقكم وما تعملون ) ذهب قوم إلى أن ما مصدرية ، والمعنى الله خلقكم وأعمالكم وهذه الآية عندهم قاعدة فى خلق أفعال العباد ، وقيل إنها موصولة بمعنى الذى والمعنى الله خلقكم وخلق أصنامكم التى تعملونها وهذا أليق بسياق الكلام وأقوى فى قصد الاحتجاج على الذين عبدوا الأصنام ، وقيل إنها نافية ، وقيل إنها استفهامية ، وكلاهما باطل ( قالوا ابنوا له بيوتا ) قيل البنيان فى موضع النار ، وقيل بل كان للمنجنيق ، الذى رمى عنه ( فأرادوا به كيدا ) يعنى حرقه بالنار ( فجعلناهم الأسفلين ) أى المغلوبين ( وقال إني ذاهب إلى ربى سيديين ) قيل إنه قال هذا بعد خروجه من النار ، وأراد أنه ذاهب أى مهاجر إلى الله فهاجر إلى أرض الشام ، وقيل إنه قال ذلك قبل أن يطرح فى النار وأراد أنه ذاهب إلى ربه بالموت لأنه ظن أن النار تحرقه وسيهدين على القول الأول يعنى الهدى إلى صلاح

مِنَ الصَّالِحِينَ ، فَبَشَّرَهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ . فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَىٰٓ إِلَىٰٓ آرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ  
مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَآبَتُ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ . فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ . وَنَدَيْنَاهُ  
أَن يَكْرِهُنَّ لَهُمْ . قَدْ صَدَّقَت الرُّعْيَا إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّ هٰذَا لَهُوَالْبَلَاءُ الْمُبِينُ . وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ  
عَظِيمٍ . وَتَرَكَنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ . سَلَّمَ عَلٰٓىٰٓ إِبْرٰهِيْمَ . كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ .

الدين والدنيا ، وعلى القول الثاني إلى الجنة ، وقالت المتصوفة معناه إنى ذاهب إلى ربي بقلبي أى مقبل  
على الله بكليتي تاركاً سواه (رب هب لى من الصالحين ) يعنى ولدا من الصالحين (فبشرناه بغلام حلیم ) أى عاقل  
واختلف الناس فى هذا الغلام المبشر به فى هذا الموضع وهو الذبيح ، هل هو إسماعيل أو إسحاق فقال ابن  
عباس وابن عمر وجماعة من التابعين هو إسماعيل وحجتهم من ثلاثة أوجه الأول أن رسول الله صلى الله  
عليه وآله وسلم قال أنا ابن الذبيحين يعنى إسماعيل عليه السلام ووالده عبدالله حين نذر والده عبدالمطلب  
أن ينحره إن يسر الله له أمر زمزم ففداه بمائة من الإبل والثانى أن الله تعالى قال بعد تمام قصة  
الذبيح وبشرناه بإسحاق فدل ذلك على أن الذبيح غيره والثالث أنه روى أن إبراهيم جرت له قصة الذبيح  
بمكة وإنما كان معه بمكة إسماعيل وذهب على بن أبى طالب وابن مسعود وجماعة من التابعين إلى أن الذبيح  
إسحاق وحجتهم من وجهين الأول أن البشارة المعروفة لإبراهيم بالوادم إنما كانت بإسحاق لقوله فبشرناها  
بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ، والثانى أنه روى أن يعقوب كان يكتب من يعقوب إسرائيل الله ابن  
إسحاق ذبيح الله ( فلما بلغ معه السعى ) يريد بالسعى هنا العمل والعبادة ، وقيل المشى وكان حينئذ ابن ثلاثة  
عشر سنة ( قال يابنىٰٓ إني آرى فى المنام أنى أذبحك ) يحتمل أن يكون رأى فى المنام الذبيح وهو الفعل أو أمر  
فى المنام أنه يذبحه والأول أظهر فى اللفظ هنا ، والثانى أظهر فى قوله أفعلم ما تؤمر ورؤيا الأنبياء حق فوجب  
عليه الامتثال على الوجهين ( فانظر ماذا ترى ) إن قيل لم شاوره فى أمر هو حتم من الله ؟ فالجواب : أنه  
لم يشاوره ليرجع إلى رأيه ولكن ليعلم ما عنده فيثبت قلبه ويوطن نفسه على الصبر فأجابه بأحسن جواب  
( فلما أسلما ) أى استسلما وانقادا لأمر الله ( وتله للجبين ) أى صرعه بالأرض على جبينه واللانسان جبينان  
حول الجبهة ، وجواب لما محذوف عند البصريين تقديره ، فلما أسلما كان ما كان من الأمر العظيم ، وقال  
الكوفيون جوابها تله والواو زائدة ، وقال بعضهم جوابها : ناديناه والواو زائدة ( قد صدقت الرؤيا )  
يحتمل أنه يريد بقلبك أى كانت عندك رؤيا صادقة فعملت بحسبها ويحتمل أن يريد صدقتها بعملك أى وفيت  
حقها من العمل ، فإن قيل إنه أمر بالذبيح ولم يذبح ، فكيف قيل له صدقت الرؤيا ؟ فالجواب أنه قد بذل جهده  
إذ قد عزم على الذبيح ولو لم يفده الله لذبحه ولكن الله هو الذى منعه من ذبحه لما فداه فامتناع ذبح الولد  
إنما كان من الله وبأمر الله وقد قضى إبراهيم ما عليه (البلاء المبين) أى الاختبار البين الذى يظهر به طاعة الله  
أو المحنة البينة الصعوبة ( وفديناه بذبح عظيم ) الذبيح اسم لما يذبح وأراد به هنا الكبش الذى فدى به ، وروى  
أنه من كباش الجنة ، وقيل إنه الكبش الذى قرب به ولد آدم ووصفه بعظيم لذلك أو لأنه من عند الله  
أولاً منه متقبل ، وروى فى القصص أن الذبيح قال لإبراهيم اشدد رباطى لئلا أضطرب ، واصرف بصرك عنى

وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ، وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَلَمَ لِنَفْسِهِ مَبِينٌ ۝  
 وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ، وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ۝ وَنَصَرْنَاهُمْ فَاكْتَوَاهُمْ الْعَلِيِّينَ ۝  
 وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ۝ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ۝ سَلَّمَ عَلَىٰ مُوسَىٰ  
 وَهَارُونَ ۝ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ  
 أَلَا تَتَّقُونَ ۝ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ۝ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۝ فَكَذَّبُوهُ  
 فَأَنَّهُمْ مُحْضَرُونَ ۝ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۝ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۝ سَلَّمَ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ ۝ إِنَّا كَذَلِكَ  
 نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ جَعَلْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عَجُوزًا  
 فِي الْغَابِرِينَ ۝ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ ۝ وَإِنكُمْ لَتَمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ۝ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ  
 الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ۝ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ۝ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتَ وَهُوَ مُلِيمٌ ۝ فَلَوْلَا

لثلاث ترحمي وأنه أمر الشفرة على حلقه فلم تقطع فيئند جاءه الكبش من عند الله وقد أكثر الناس في قصص هذه الآية وتركناه لعدم صحة (كذلك نجزي المحسنين) إن قيل لم قال هنا في قصة إبراهيم كذلك دون قوله إنا ، وقال في غيرها إنا ، فالجواب أنه قد تقدم في قصة إبراهيم نفسها : إنا كذلك فأغنى عن تكرار إنا (ولقد مننا على موسى وهارون) يعني بالنبوة وغير ذلك (من الكرب العظيم) يعني الغرق أو تعذيب فرعون وإذلاله لهم (ونصرناهم) الضمير يعود على موسى وهارون وقومهما وقيل على موسى وهارون خاصة وعاملهما معاملة الجماعة للتعظيم وهذا ضعيف (وآتيناهما الكتاب المستبين) يعني التوراة ومعنى المستبين البين ، وفي هذه الآية وما بعدها نوع من أدوات البيان وهو الترصيع (وإن إلياس لمن المرسلين) إلياس من ذرية هارون وقيل إنه إدريس ، وقد أخطأ من قال إنه إلياس المذكور في أجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم (أتدعون بعلا) البعل في اللغة الرب بلغة أهل اليمن وقيل بعل اسم صنم يقال له بعلبك (سلام على آل ياسين) آل هنا على هذه القراءة بمعنى أهل ياسين اسم لإلياس ، وقيل لآبيه ، وقيل لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وقرئ لإلياسين بكسر الهمزة ووصل اللام ساكنة على هذا جمع إلياس أو منسوب لإلياس حذف منه الياء كما حذف من أعجمين ، وقيل سمى كل واحد من آل ياسين إلياس ثم جمعهم وقيل هو لغة في إلياس (عجوز في الغابرين) قد ذكر (وإن يونس لمن المرسلين) قد ذكرنا قصته في يونس والأنبياء (إذ أبق إلى الفلك المشحون) أي هرب إلى السفينة والفلك هنا واحد والمشحون المملوء ، وسبب هروبه غضبه على قومه حين لم يؤمنوا ، وقيل إنه أخبرهم أن العذاب يأتيهم في يوم معين حسبا أعلمه الله ، فلما رأوا قومه يخابلون العذاب آمنوا ، فرغ الله عنهم العذاب فخاف أن ينسبوه إلى الكذب فهرب (فساهم فكان من المدحضين) معنى ساهم ضارب القرعة والمدحض المغلوب في القرعة والمحاجة وسبب مقارعة أنه لما ركب السفينة ، وقفت ولم تجر ، فقالوا إنما وقفت من حدث أحدثه أحدنا ففترع لئرى على من تخرج

أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ۖ لَلْبَثِّ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۖ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ۖ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً  
مِّنْ يَقْطِينٍ ۖ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ زَيْدُونَ ۖ فَأَمَنُوا فَنَعْتَمَهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ۖ فَاسْتَفْتِهِم أَرَبُّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ  
الْبُنُونَ ۖ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ۖ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۖ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۖ  
أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ۖ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۖ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۖ أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ ۖ فَأْتُوا بِكُتٰبِكُمْ

القرعة فنطرحه فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فطرحوه في البحر (فالتقمه الحوت وهو مليم) أى فعل ما يلام عليه وذلك خروجه بغير أن يأمره الله بالخروج (فلولا أنه كان من المسبحين) تسبيحه هو قوله لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين حسبما حكى الله عنه في الأنبياء وقيل هو قوله سبحان الله وقيل هو الصلاة ، واختلف على هذا هل يعني صلواته في بطن الحوت أو قبل ذلك واختلف في مدة بقائه في بطن الحوت فقيل ساعة وقيل ثلاثة أيام وقيل سبعة أيام وقيل أربعون يوما (فنبذناه بالعراء) العراء الأرض الفضاء التي لا شجر فيها ، ولا ظل وقيل يعني الساحل (وهو سقيم) روى أنه كان كالطفل المولود بضعة لحم (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) أى أنبنتها فوّه لتظله وتقيه حر الشمس ، واليقطين ، القرع وإنما خصه الله به لأنه يجمع برد الظل ولين اللدس وكبر الورق وأن الذباب لا يقربه فإن لحم يونس لما خرج من البحر كان لا يحتل الذباب وقيل اليقطين كل شجرة لاساق لها كالبقول والقرع والبطيخ ، والأول أشهر (وأرسلناه إلى مائة ألف) يعني رسالته الأولى التي أبق بعدها وقيل هذه رسالة ثانية بعد خروجه من بطن الحوت والأول أشهر (أوزيدون) قيل أوهنا بمعنى بل ، وقرأ ابن عباس ، بل يزيدون ، وقيل هى بمعنى الواو وقيل هى اللابها م وقيل المعنى أن البشر إذا نظر إليهم يتردد فيقول هم مائة ألف أوزيدون واختلف في عددهم فقيل مائة وعشرون ألفا وقيل مائة وثلاثون ألفا وقيل مائة وأربعون ألفا وقيل مائة وسبعون ألفا (فآمنوا فنعتمهم إلى حين) روى أنهم خرجوا بالأطفال وأولاد البهائم ، وفرقوا بينهم وبين الأمهات وناحوا وتضرعوا إلى الله وأخلصوا ورفع الله العذاب عنهم إلى حين : معنى لانقضاء آجالهم وقد ذكر الناس فى قصة يونس أشياء كثيرة أسقطناها لضعف صحتها (فاستفتهم أربك البنات ولهم البنون) قال الزمخشري إن هذا معطوف على قوله فاستفتهم الذى فى أول السورة وإن تباعد ما بينهما والضمير المفعول لقريش وسائر الكفار أى أسألهم على وجه التقرير والتوبيخ عما زعموا من أن الملائكة بنات الله فجعلوا لله الإناث ولأنفسهم الذكور وتلك قسمة ضيزى ثم قررهم على ما زعموا من أن الملائكة إناث ورد عليهم بقوله وهم شاهدون ، ويحتمل أن يكون بمعنى الشهادة ، أو بمعنى الحضور أى أنهم لم يحضروا ذلك ولم يعلموه ثم أخبر عن كذبهم فى قولهم ولد الله ثم قررهم على ما زعموا من أن الله اصطفى لنفسه البنات ؛ وذلك كله رد عليهم وتوبيخ لهم ، تعالى الله عن أقوالهم علوا كبيرا (أصطفى) دخلت همزة التقرير والتوبيخ على ألف الوصل فحذفت ألف الوصل (مالككم) هذا استفهام معناه التوبيخ وهى فى موضع رفع بالابتداء والمجرور بعدها خبرها فينبغى الوقف على قوله مالككم (أم لكم سلطان مبين) أى برهان بين (فأتوا بكتابتكم) تعجيز لهم لأنهم ليس لهم كتاب يحتجون به (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا)

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا \* وَلَقَدْ عَلِمْتِ الْجِنَّةَ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ \* سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ \*  
إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ \* فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ \* مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاعِلِينَ \* إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ \* وَمَا مَنَّا  
إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ \* وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ \* وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ \* وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ \* لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا  
ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ \* لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ \* فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ \* وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا

الضمير في جعلوا لكفار العرب وفي معنى الآية قولان: أحدهما أن الجنة هنا الملائكة وسميت بهذا الاسم لأنه مشتق من الاجتنان وهو الاستتار والملائكة مستورين عن أعين بني آدم كالجن والنسب الذي جعلوه بينهم وبين الله قولهم إنهم بنات الله، والقول الثاني أن الجن هنا الشياطين، وفي النسب الذي جعلوه بينه وبينهم قولان: أحدهما أن بعض الكفار قالوا إن الله والشياطين أخوان، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا والآخر أن بعضهم قال إن الله نكح في الجن فولدت له الملائكة سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا (ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون) من قال إن الجن الملائكة فالضمير في قوله إنهم لمحضرون يعود على الكفار أي قد علمت الملائكة أن الكفار محضرون في العذاب ومن قال إن الجن الشياطين فالضمير يعود عليهم أي قد علمت الشياطين أنهم محضرون في العذاب (إلا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع من المحضرين أو من الفاعل في يصفون والمعنى لكن عباد الله المخلصين لا يحضرون في العذاب أولئك عباد الله المخلصين يصفونه بما هو أهله (فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صالح الجحيم) هذا خطاب للكفار والمراد بما تعبدون الأصنام وغيرها وما تعبدون عطف على الضمير في إنكم ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع ومعنى فاتنين مضلين والضمير في عليه يعود على ما تعبدون وعلى سببية معناها التعليل ومن هو مفعول بفاتنين والمعنى إنكم أيها الكفار وكل ما تعبدونه لا تضلون أحداً إلا من قضى الله أنه يصلح الجحيم أي لا تقدرُونَ على إغواء الناس إلا بقضاء الله وقال الزمخشري الضمير في عليه يعود على الله تعالى (وما منّا إلا له مقام معلوم) هذا حكاية كلام الملائكة عليهم السلام، تقديره ما منّا ملك إلا وله مقام معلوم، وحذف الموصوف لفهم الكلام، والمقام المعلوم: يحتمل أن يراد به المكان الذي يقومون فيه، لأن منهم من هو في السماء الدنيا، وفي الثانية، وفي السموات، وحيث شاء الله، ويحتمل أن يراد به المنزلة من العبادة والتقريب والتشريف (وإننا نحن الصافون) أي الواقفون في العبادة صفوفاً، ولذلك أمر المسلمون بتسوية الصفوف في صلاتهم ليقعدوا بالملائكة، وليس أحد من أهل الملل يصلون صفوفاً إلا المسلمون (وإننا نحن المسبحون) قيل معناه المصلون، لأن الصلاة يقال لها تسبيح، وقيل معناه القائلون سبحانه الله، وفي هذا الكلام الذي قالته الملائكة رد على من قال إنهم بنات الله وشركاء له، لأنهم اعترفوا على أنفسهم بالعبودية والطاعة لله والتنزيه له، ويدل هذا الكلام أيضاً على أن المراد بالجن قبل هذا الملائكة، وقيل إنه هذا كله من كلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكلام المسلمين، والأول أشهر (وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكراً من الأولين) الضمير لكفار قريش وسائر العرب، والمعنى أنهم كانوا قبل بعث محمد صلى الله عليه وسلم يقولون لو أرسل الله إلينا رسولا وأنزل علينا كتابا لكننا عباد الله المخلصين (فكفروا به) الضمير للذكر أو لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لأن المعنى يقتضى ذلك وإن لم يتقدم له ذكر (فسوف يعلمون) تهديد ووعد لهم على كفرهم (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون

الْمُرْسَلِينَ • إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ • وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ • فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ • وَأَبْصُرْهُمْ فَسَوْفَ  
يُبْصِرُونَ • أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ • فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ • وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ • وَأَبْصُرْ  
فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ • سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ • وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ • وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ •

## سورة ص

مكية وآياتها ٨٨ نزلت بعد القمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ • بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ • كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ

المعنى سبق القضاء بأن المرسلين منصورون على أعدائهم ( وإن جندنا لهم الغالبون ) هذا النصر والغلبة بظهور الحجة والبرهان ، وبهزيمة الأعداء في القتال ، وبالسعادة في الآخرة ( فتول عنهم حتى حين ) أى أعرض عنهم ، وذلك موادة منسوخة بالسيف ، والحين هنا يراد به يوم بدر ، وقيل حضور آجالهم ، وقيل يوم القيامة ( وأبصر فسوف يبصرون ) هذا وعد للنبي صلى الله عليه وسلم ووعد لهم ( أفبعذابنا يستعجلون ) إشارة إلى قولهم متى هذا الوعد وأمطر علينا حجارة من السماء وشبه ذلك ( فإذا نزل بساحتهم ) الساحة الفناء حول الدار ، والعرب تستعمل هذه اللفظة فيما يرد على الإنسان من محذور وسوء ( فساء صباح المنذرين ) الصباح مستعمل في ورود الغارات والرزايا ، ومقصد الآية التهديد بعذاب يحل بهم بعد أن أذنبوا فلم ينفعهم الإنذار ، وذلك تمثيل بقوم أذنبهم ناصح بأن جيشا يحل بهم فلم يقبلوا نصحه حتى جاءهم الجيش وأهلكهم ( وأبصر ) كرر الأمر بالتولى عنهم والوعد والوعيد على وجه التأكيد ، وقيل أراد بالوعد الأول عذاب الدنيا ، وبالثانى عذاب الآخرة ، فإن قيل : لم قال أولا أبصرهم ، وقال هنا أبصر ، فحذف الضمير المفعول ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما أنه اكتفى بذكره أولا عن ذكره ثانيا فحذفه اقتصارا ، والآخر أنه حذفه ليفيد العموم فيمن تقدم وغيرهم كأنه قال أبصر جميع الكفار بخلاف الأول ، فإنه في قریش خاصة ( سبحان ربك رب العزة عما يصفون ) نزه الله تعالى نفسه عما وصفه به الكفار عما لا يليق به ، فإنه حكى عنهم في هذه السورة أقوالا كثيرة شنيعة ، والعزة إن أراد بها عزة الله : فمعنى رب العزة ، ذو العزة وأضافها إليه لاختصاصه بها ، وإن أراد بها عزة الأنبياء والمؤمنين : فمعنى رب العزة مالكتها وخالقتها ، ومن هذا قال محمد بن سحنون : من حلف بعزة الله ، فإن أراد صفة الله فهى يمين ، وإن أراد العزة التى أعطى عباده فليست يمين ، ثم ختم هذه السورة بالسلام على المرسلين ( والحمد لله رب العالمين ) فأما السلام على المرسلين فيحتمل أن يريد به التحية أو سلامتهم من أعدائهم ، ويكون ذلك تكميلا لقوله إنهم لهم المنصورون ، وأما الحمد لله ، فيحتمل أن يريد به الحمد لله على ما ذكر في هذه السورة من تنزيه الله ونصرة الأنبياء وغير ذلك ، ويحتمل أن يريد الحمد لله على الإطلاق

## سورة داود عليه السلام

(ص) تكلمنا على حروف الهجاء فى البقرة ويختص بهذا أنه قال فيه معناه صدق محمد ، وقيل هو حرف

قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ فَنَادُوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۖ وَعَجَبُوا أَن جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هٰذَا سَحَرٌ  
 كَذٰبٌ ۚ اٰجَعَلَّ الْاٰلِهَةُ لِهَا وَاٰحٰدًا اِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ۚ وَاَنْطَلَقَ الْمَلَا مِّنْهُمْ اَنْ اَمْشُوا وَاَصْبِرُوا عَلٰى  
 اَلْهٰتِكُمْ اِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ \* مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِى الْمِلَّةِ الْاٰخِرَةِ اِنْ هٰذَا اِلَّا اَخْتِلَاقٌ \* اَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ

من اسم الله الصمد أو صادق الوعد، أو صانع المصنوعات (والقرآن ذى الذكر) هذا قسم جوابه محذوف  
 تقديره إن القرآن من عند الله ، وإن محمداً لصادق وشبه ذلك. وقيل جوابه في قوله ص إذ هو بمعنى صدق  
 محمد ، وقيل جوابه إن كل إلا كذب الرسل وهذا بعيد ، وقيل جوابه إن ذلك لحق تخاصم أهل النار وهذا  
 أبعد ، ومعنى ذى الذكر ذى الشرف ، والذكر بمعنى الموعظة أو ذكر الله وما يحتاج إليه من الشريعة (بل  
 الذين كفروا في عزة وشقاق) الذين كفروا يعنى قريشا ، وبل الإضراب عن كلام محذوف وهو جواب  
 القسم أى إن كفرهم ليس ببرهان بل هو بسبب العزة والشقاق ، والعزة التكبر ، والشقاق العداوة  
 وقصد المخالفة ، وتكبيرهما للدلالة على شدتهما وتفاخم الكفار فيهما (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) إخبار  
 يتضمن تهديداً لقريش (فنادوا وولات حين مناص) المعنى أن القرون الذين هلكوا دعوا واستغاثوا حين  
 لم ينفعهم ذلك ، وولات بمعنى ليس وهى لا النافية زيدت عليها علامة التأنيث ، كما زيدت في ربت وثمت ،  
 ولا تدخل لات إلا على زمان واسمها مضمرة ، وحين مناص خبرها ، والتقدير ليس الحين الذى دعوا فيه  
 حين مناص ، والمناص المفتر والنجاة من قولك ناص ينوص إذا فتر (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم) الضمير  
 لقريش والمنذر سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أى استبعدوا أن يبعث الله رسولا منهم ، ويحتمل أن  
 يريد من قبيلتهم أو يريد من البشر مثاهم (وقال الكافرون) كان الأصل وقالوا ولكن وضع الظاهر موضع  
 المضمرة قصداً لوصفهم بالكفر (أجعل الآلهة إلهاً واحداً) هذا إنكار منهم للتوحيد ، وسبب نزول هذه  
 الآيات أن قريشا اجتمعوا وقالوا لأبى طالب: كف ابن أخيك عنا فإنه يعيب ديننا ويذم آلهتنا ويسفه أحلامنا  
 فكلمه أبو طالب فى ذلك ، فقال صلى الله عليه وسلم إنما يريد منهم كلمة واحدة يملكون بها العجم ، وتدين لهم بها  
 العرب ، فقالوا نعم وعشر كلمات معها فقال قولوا لا إله إلا الله ، فقاموا وأنكروا ذلك وقالوا: أجعل  
 الآلهة إلهاً واحداً (وانطلق الملائة منهم أن امشوا واصبروا) انطلق الملائة عبارة عن خروجهم عن أبى طالب  
 وقيل عبارة عن تفرقتهم فى طرق مكة وإشاعتهم للكفر ، وأن امشوا: معناه يقول بعضهم لبعض امشوا  
 واصبروا على عبادة آلهتكم ولا تطيعوا محمداً فيما يدعو إليه من عبادة الله وحده (إن هذا لشيء يراد) هذا أيضاً  
 مما حكى الله من كلام قريش وفى معناه وجهان: أحدهما أن الإشارة إلى الإسلام والتوحيد أى إن هذا  
 التوحيد شيء يراد منا الانقياد إليه، والآخر أن الإشارة إلى الشرك والصبر على آلهتهم أى إن هذا لشيء ينبغى  
 أن يراد ويتمسك به أو أن هذا شيء يريد به الله منا لما قضى علينا به والأول أرجح لأن الإشارة فيما بعد ذلك  
 إليه فيكون الكلام على نسق واحد (ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة) هذا أيضاً مما حكى الله عنهم من كلامهم  
 أى ما سمعنا بالتوحيد فى الملة الآخرة ، والمراد بالملة الآخرة ملة النصارى لأنها بعد ملة موسى وغيره وهم  
 يقولون بالتثليث لا بالتوحيد ، وقيل المراد ملة قريش أى ما سمعنا بهذا فى الملة التى أدركننا عليها آباءنا، وقيل  
 المراد الملة المنتظرة إذ كانوا يسمعون من الأخبار والكهان أن رسولا يبعث يكون آخر الأنبياء (إن هذا

بَيْنَا بَلُّهُمْ فِي شَكِّ مَنْ ذَكَرَى بَلِّ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابَهُمْ ۖ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ۖ أَمْ لَهُمْ  
 مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ۖ جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب \* كذبت  
 قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد وثمود وقوم لوط وأصحاب ثيكة أولئك الأحزاب ۖ إن  
 كل إلا كذب الرسل فحق عقاب ۖ وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق ۖ وقالوا ربنا عجل

إلا اختلاق) هذا أيضا مما حكى من كلامهم والإشارة إلى التوحيد والإسلام ومعنى الاختلاف الكذب (أنزل عليه الذكر من بيننا) الهمة الإنكار، والمعنى أنهم أنكروا أن يخص الله محمدًا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بإنزال القرآن عليه دونهم (بل هم في شك من ذكرى) هذا رد عليهم والمعنى أنهم ليست لهم حجة ولا برهان بل هم في شك من معرفة الله وتوحيده، فلذلك كفروا، ويحتمل أن يريد بالذكر القرآن (بل لما يذوقوا عذاب) هذا وعيدهم وتهديد، والمعنى أنهم إنما حملهم على الكفر كونهم لم يذوقوا العذاب فإذا ذاقوه زال عنهم الشك وأذعنوا للحق (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) هذا رد عليهم فيما أنكروا من اختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة، والمعنى أنهم ليس عندهم خزائن رحمة الله حتى يعطوا النبوة من شاؤا، ويمنعوا من شاؤا بل يعطيها الله لمن يشاء ثم وصف نفسه بالعزيز الوهاب، لأن العزيز يفعل ما يشاء، والوهاب ينعم على من يشاء فلا حجة لهم فيما أنكروا (أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما) هذا أيضا رد عليهم، والمعنى أم لهم الملك فيتصرفون فيه كيف شاؤا، بل مالك الملك يفعل في ملكه ما يشاء وأم الأولى منقطعة بمعنى بل وهمة الإنكار، وأما الثانية فيحتمل أن تكون كذلك أو تكون عاطفة معادلة لما قبلها (فليرتقوا في الأسباب) هذا تعجيز لهم، وتهكم بهم، ومعنى يرتقوا يصعدوا، والأسباب هنا السلام والطرق وشبه ذلك مما يوصل به إلى العلو، وقيل هي أبواب السماء، والمعنى إن كان لهم ملك السموات والأرض فليصعدوا إلى العرش ويدبروا الملك (جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب) هذا وعيد بهزيمتهم في القتال وقدهزموها يوم بدر وغيره، وما هنالك صفة لجند وفيها معنى التحقير لهم، والإشارة بهنالك إلى حيث صفوا أنفسهم من الكفر والاستهزاء، وقيل الإشارة إلى الارتقاء في الأسباب وهذا بعيد؛ وقيل الإشارة إلى موضع بدر، ومن الأحزاب معناه من جملة الأحزاب الذين تعصبوا للباطل فهلكوا (وفرعون ذي الأوتاد) قال ابن عباس كانت له أوتاد وخشب يلعب بها وعليها، وقيل كانت له أوتاد يسمرها في الناس لقتلهم، وقيل أراد المباني العظام الثابتة، ورجحه ابن عطية، وقال الزمخشري إن ذلك استعارة في ثبات الملك كقول القائل: في ظل ملك ثابت الأوتاد (وأصحاب الأيكة) قد ذكر (وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة) ينظر هنا بمعنى ينتظر، وهؤلاء يعني قريشا والصيحة الواحدة النفخة في الصور وهي نفخة الصعق، وقيل الصيحة عبارة عما أصابهم من قتل أوشدة، والأول أظهر، وقد روى تفسيرها بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم (ما لها من فواق) فيه ثلاثة أقوال: الأولى ما لها رجوع أي لا يرجعون بعدها إلى الدنيا وهو على هذا مشتق من الإفاقة، الثاني ما لها من ترداد: أي إنما هي واحدة لا ثانية لها: الثالث ما لها من تأخير ولا توقف مقدار فواق ناقة وهي ما بين حلتبي اللبن، وهذا القول الثالث إنما يجري على قراءة فواق بالضم لأن فواق الناقة

لَنَا قَطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ۖ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ۖ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۗ إِنَّا نَسْخَرُنَا الْجِبَالَ  
مَعَهُ يَسْبَحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۗ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ ۗ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابِ ۗ  
وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۗ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ ففَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَتَّخِفْ خَصِانَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ۗ

بالضم ، والقولان الأولان على الفتح والضم (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا) القط في اللغة له معنيان : أحدها الكتاب ، والآخر النصيب ، وفي معناه هنا ثلاثة أقوال : أحدها نصيبنا من الخير : أي دعوا أن يجعله الله لهم في الدنيا والآخر نصيبهم من العذاب ، فهو كقولهم أهطر علينا حجارة من السماء . الثالث صحائف أعمالنا (اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد لأنه أواب) الأيد القوة ، وكان داود جمع قوة البدن وقوة الدين والملك والجنود ، والأواب : الرجوع إلى الله ، فإن قيل : ما المناسبة بين أمر الله لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر على أقوال الكفار وبين أمره بذكر داود ؟ فالجواب عندي أن ذكر داود ومن بعده من الأنبياء في هذه السورة فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ووعد له بالنصر وتفريج الكرب وإعانة له على ما أمر به من الصبر ، وذلك أن الله ذكر ما أنعم به على داود من تسخير الطير والجبال ، وشدة ملكه ، وإعطائه الحكمة وفصل الخطاب ، ثم الخاتمة له في الآخرة بالزافي وحسن المآب ، فكأنه يقول يا محمد كما أنعمنا على داود بهذه النعم كذلك ننعم عليك ، فاصبر ولا تحزن على ما يقولون ، ثم ذكر ما أعطى سليمان من الملك العظيم وتسخير الريح والجن والخاتمة بالزافي وحسن المآب ، ثم ذكر من ذلك من الأنبياء والمقصود ذكر الإناعم عليهم لقوية قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأيضا فإن داود وسليمان وأيوب أصابتهم شدائد ثم فرجها الله عنهم ، وأعقبها بالخير العظيم ، فأمر سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بذكرهم ليعلمه أنه يفرج عنه ما يلقى من إذابة قومه ويعقبها بالنصر والظهور عليهم ، فالمناسبة في ذلك ظاهرة وقال ابن عطية : المعنى : اذكر داود ذا الأيدي في الدين فتأس به وتأيد كما تأيد ، وأجاب الزمخشري عن السؤال فإنه قال كأن الله قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم اصبر على ما يقولون ، وعظم أمر المعصية في أعين الكفار بذكر قصة داود ، وذلك أنه نبي كريم عند الله ثم زل زلة فوبخه الله عليها فاستغفر وأتاب ، فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم ، وهذا الجواب لا يخفى ما فيه من سوء الأدب مع داود عليه السلام حيث جعله مثالا يهدد الله به الكفار وصرح بأنه زل وأن الله وبخه على زلته ، ومعاذ الله من ذكر الأنبياء بمثل هذا (والإشراق) يعني وقت الإشراق وهو حين تشرق الشمس : أي تضيء ويصفر شعاعها وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها (محشورة) أي مجموعة (كل له أواب) أي كل مسبح لأجل تسبيح داود ، ويحتمل أن يكون أواب هنا بمعنى رجوع أي ليرجع إلى أمره (وآتيناه الحكمة) قيل يعني النبوة ، وقيل العلم والفهم وقيل الزبور (وفصل الخطاب) قال ابن عباس هو فصل القضاء بين الناس بالحق ، وقال علي بن أبي طالب هو إيجاب البين على المدعى عليه والبيئة على المدعى ، وقيل أراد قول أما بعد فإنه أول من قالها ، وقال الزمخشري : معنى فصل الخطاب البين من الكلام الذي يفهمه من يخاطب به ، وهذا المعنى اختاره ابن عطية ، وجعله من قوله تعالى « إنه لقول فصل ، (وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب) جاءت هذه القصة بلفظ الاستفهام تنبيها

عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۖ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نِعْمَةً وَلِي نِعْمَةٌ وَاحِدَةٌ قَالُوا كُفِّلْنَاهَا وَعَزَّيْنِي فِي الْخُطَابِ ۖ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نِعْمَتِكَ إِلَى تَغَاجِهِ وَإِنَّ

للخطاب ودلالة على أنها من الأخبار العجيبة التي ينبغي أن يلقى البال لها والخصم يقع على الواحد والاثنين والجماعة كقولك عدل وزور وانفق الناس على أن هؤلاء الخصم كانوا ملائكة، وروى أنهما جبريل وميكائيل بعثهما الله ليضرب بهما المثل لداود في نازلة وقع هو في مثلها، فأقضى بفتيا هي واقعة عليه في نازلته ولما شعر وفهم المراد أناب واستغفر، وسند ذكر القصة بعد هذا، ومعنى تدوروا المحراب علوا على سوره ودخلوه، والمحراب الموضع الأرفع من القصر أو المسجد وهو موضع التعبد، ويحتمل أن يكون المتسور المحراب اثنين فقط، لأن نفس الخصومة إنما كانت بين اثنين فقط فتجىء الضمائر في تسوروا، ودخلوا، وفزع منهم: على وجه التجوز والعبارة عن الاثنين بلفظ الجماعة، وذلك جائز على مذهب من يرى أن أقل الجمع اثنان، ويحتمل أنه جامع كل واحد من الخصمين جماعة فيقع على جميعهم خصم، وتجيء الضمائر المجموعة حقيقة، وعلى هذا قول الزمخشري (إذ دخلوا على داود ففزع منهم) العامل في إذ هنا تسوروا، وقيل هي بدل من الأولى، وأما إذ الأولى فالعامل فيها أذاك أو تسوروا ورد الزمخشري ذلك، وقال إن العامل فيها محذوف تقديره: هل أذاك نبأ تحاكم الخصم إذ تسوروا، وإنما فزع داود منهم لأنهم دخلوا عليه بغير إذن ودخلوا من غير الباب، وقيل إن ذلك كان ليلا (خصيان بنى بعضنا على بعض) تقديره نحن خصمان، ومعنى بنى تعدى (ولا تشطط) أى لا تجر علينا في الحكم، يقال شطط إذا بهد (سواء الصراط) أى وسط الطريق، ويعنى لا تشطط بفتح التاء: أى لا تبعد عن الحق، يقال شطط إذا بهد (سواء الصراط) أى وسط الطريق، ويعنى القصد والحق الواضح (إن هذا أخى له تسع وتسعون نعمة ولي نعمة واحدة فقال أ كفلنيها وعزني في الخطاب) هذه حكاية كلام أحد الخصمين، والأخوة هنا أخوة الدين، والنعمة في اللغة تقع على أثنى بقر الوحش وعلى أثنى الضأن، وهى هنا عبارة عن المرأة، ومعنى أ كفلنيها أملكها لى وأصله أ جعلها فى كفالتى، وقيل أ جعلها كفى أى نصيبى، ومعنى عزني في الخطاب أى غلبني في الكلام والمحاوره يقال عز فلان فلانا إذا غلبه وهذا الكلام تمثيل للنصه التى وقع داود فيها. وقد اختلف الناس فيها وأكثروا القول فيها قديما وحديثا حتى قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: من حدث بما يقول هؤلاء القصاص فى أمر داود عليه السلام جلدته حدين لما ارتكب من حرمة من رفع الله محله، ونحن نذكر من ذلك ما هو أشهر وأقرب إلى تنزيه داود عليه السلام: روى أن أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبتة، وكانت لهم عادة فى ذلك لا ينكرونها، وقد جاء عن الأنصار فى أول الإسلام شىء من ذلك، فاتفق أن وقعت عين داود على امرأة رجل فأعجبتة فسأله النزول عنها ففعل وتزوجها داود عليه السلام فولد له منها سليمان عليه السلام، وكان لداود تسع وتسعون امرأة فبعث الله إليه ملائكة مثلا لقصته، فقال أحدهما إن هذا أخى له تسع وتسعون نعمة إشارة إلى التسع والتسعين امرأة التى كانت لداود، ولي نعمة واحدة إشارة إلى أن ذلك الرجل لم تكن له إلا تلك المرأة الواحدة، فقال أ كفلنيها إشارة إلى سؤال داود من الرجل النزول عن امرأته فأجابها داود عليه السلام بقوله لقد ظلمك بسؤال نعتك إلى نعاجه، فقامت الحجة عليه بذلك، فتبسم الملكان عند ذلك

كثيْرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ، فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَازْنِبًا وَحَسَنَ مَّآبٍ هـ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ

وذهبوا ولم يرهما ، فشعر داود أن ذلك عتاب من الله له على ما وقع فيه (فاستغفر ربه وخر را كعما وأناب) ولا تقتضى هذه القصة على هذه الرواية أن داود عليه السلام وقع فيما لا يجوز شرعا ، وإنما عوتب على أمر جائز كان ينبغي له أن يتزهد عنه لعل مرتبته ومثانته دينه ، فإنه قد يعاتب الفضلاء على ما لا يعاتب غيره كما قيل حسنت الأبرار سيئات المقربين ، وأيضا فإنه كان له تسع وتسعون امرأة فكان غنيا عن هذه المرأة فوقع العتاب على الاستكثار من النساء ، وإن كان جائزا ، وروى هذا الخبر على وجه آخر ، وهو أن داود انفرد يوما في محرابه للتعبد فدخل عليه طائر من كوة فرقع بين يديه فأعجبه فد يده ليأخذه فطار على الكوة فصعد داود ليأخذه فرأى من الكوة امرأة تغتسل عريانة فأعجبته ثم انصرف فسأل عنها فأخبر أنها امرأة رجل من جنده وأنه خرج للجهاد مع الجند فكتب داود إلى أمير تلك الحرب أن يقدم ذلك الرجل يقاتل عند التابوت وهو موضع قل ماتخلص أحد منه فقدم ذلك الرجل فقاتل حتى قتل شهيدا فتزوج داود امرأة أنه فعوتب على تعريضه ذلك الرجل للقتل وتزوجه امرأته بعده مع أنه كان له تسع وتسعون امرأة سراها ، وقيل إن داود هم بذلك كله ولم يفعله ، وإنما وقعت المعاتبة على هم بذلك ، وروى أن السبب فيما جرى له مثل ذلك أنه أعجب بعله وظهر منه ما يقتضى أنه لا يخاف الفتنة على نفسه ففتن تلك القصة ، وروى أيضا أن السبب في ذلك أنه تمنى منزلة آباءه إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، والتزم أن يبتي كما ابتلوا فابتلاه الله بما جرى له في تلك القصة (قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه) سؤال مصدر مضاف إلى المفعول ، وإنما تعدى يالى لأنه تضمن معنى الإضافة كأنه قال بسؤال نعجتك مضافة أو مضمومة إلى نعاجه ، فإن قيل : كيف قال له داود لقد ظلمك قبل أن يثبت عنده ذلك فالجواب أنه روى أن الآخر اعترف بذلك وحذف ذكر اعترافه اختصارا ، ويحتمل أن يكون قوله لقد ظلمك على تقدير صحة قوله ، وقد قيل إن قوله لأحد الخصمين لقد ظلمك قبل أن يسمع حجة الآخر كانت خطيئته التي استغفر منها وأناب (وإن كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض) الخلطاء هم الشركاء في الأموال ، ولكن الخلطة أعم من الشركة . الأذى أن الخلطة في المواشى ليست بشركة في رقابها وقصد داود بهذا الكلام الوعظ للخصم الذى بقى ، والتسوية بالناسى للخصم الذى بقى عليه (وقليل ما هم) مازائدة للأكيد (وظن داود أنما فتناه) ظن هنا بمعنى شعر بالأمر ، وقيل بمعنى أيقن ، وفتناه معناه اختبرناه (وخر را كعما وأناب) معنى خر التقي بنفسه إلى الأرض ، وإنما حقيقة ذلك فى السجود ، فقيل إن الركوع هنا بمعنى السجود ، وقيل خر من ركوعه ساجدا بعد أن ركع ، ومعنى أناب تاب ، وروى أنه بقى ساجدا أربعين يوما يبكى حتى نبت البقل من دموعه ، وهذا الموضع فيه سجدة عند مالك خلافا للشافعى ، إلا أنه اختلف فى مذهب مالك هل يسجد عند قوله وأناب ، أو عند قوله وحسن مآب (وإن له عندنا لزنبا وحسن مآب) الزنبي الفربة والمكانة الرفيعة ، والمآب المرجع فى الآخرة (ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض) تقديره

يَضَلُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۝ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بِإِطْلَاقٍ  
ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ \* أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ  
فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ \* كَتَبْنَا نُزُلَهُ لِيَلْزَمَ إِلَيْكَ مِبْرَكَ لِيَدْبُرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو  
الْأَلْبَابِ ۝ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِئَاتُ الْجِيَادُ ۝ فَقَالَ إِنِّي  
أَحْبَبْتُ حَبَّ الْخَيْرِ عَنِ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ۝ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ \*

قال الله يادادود ، وخلافة داود بالنبوة والملك ، قال ابن عطية : لا يقال خليفة الله إلا النبي ، وأما الملوك  
والخلفاء فكل واحد منهم خليفة الذي قبله ، وقول الناس فيهم خليفة الله تجوز (وما خلقنا السماء والأرض  
وما بينهما باطلا) أي عبثا بل خلقهما الله بالحق للاعتبار بهما والاستدلال على خالقهما (ذلك ظن الذين كفروا)  
المعنى أن الكفار لما أنكروا الحشر والجزاء كانت خلقه السموات والأرض عندهم باطلا بغير الحكمة ،  
فإن الحكمة في ذلك إنما تظهر في الجزاء الأخرى ( أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين  
في الأرض) أم هنا استفهامية يراد بها الإنكار : أي أن الله لا يجعل المؤمنين والمتقين كالمفسدين والفجار ، بل  
يجازى كل واحد بعمله لتظهر حكمة الله في الجزاء ، ففي ذلك استدلال على الحشر والجزاء وفيه أيضا وعد ووعد  
( إذ عرض عليه بالعشي الصافئات الجياد) الصافئات جمع صافن وهو الفرس الذي يرفع إحدى رجليه أو يديه  
ويقف على طرف الأخرى ، وقيل الصافن هو الذي يسوى يديه ، والصفن علامة على فراهة الفرس ، والجياد  
السريعة الجرى واختلف الناس في قصص هذه الآية ، فقال الجمهور إن سليمان عليه السلام عرضت عليه خيل كان  
ورثها عن أبيه وقيل أخرجتها له الشياطين من البحر ، وكانت ذوات أجنحة ، وكانت ألف فرس ، وقيل أكثر  
فتشاعل بالنظر إليها حتى غربت الشمس وفاته صلاة العشي والعصر ، فأسف لذلك ، وقال ردوا على الخيل وطفق  
يضرب أعناقها وعراقبها بالسيف حتى عقرها لما كانت سبب فوات الصلاة ولم يترك منها إلا اليسير فأبدله الله  
أسرع منها وهى الريح ، وأنكر بعض العلماء هذه الرواية ، وقال تفويت الصلاة ذنب لا يفعله سليمان  
وعقر الخيل لغير فائدة لا يجوز ، فكيف يفعله سليمان عليه السلام ؟ وأي ذنب للخيل في تفويت الصلاة  
نقال بعضهم : إنما عقرها لياكلها الناس ، وكان زمانهم زمان مجاعة فعقرها تقربا إلى الله ، وقال بعضهم  
لم تفته الصلاة ولا عقر الخيل ، بل كان يصلي فعرضت عليه الخيل فأشار إليهم فأزالوها حتى دخلت اصطبلاتها  
فلما فرغ من صلاته قال ردوها علي فطفق يمسح عليها بيده كرامة لها ومحبة ، وقيل إن المسح عليها كان وسما  
في سوقها وأعناقها بوسم حبس في سبيل الله (فقال إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى) معنى هذا يختلف  
على حسب الاختلاف في القصة ، فأما الذين قالوا إن سليمان عقر الخيل لما اشتغل بها حتى فاتته الصلاة  
فاختلفوا في هذا على ثلاثة أقوال : أحدها أن الخير هنا يراد به الخيل ، وزعموا أن الخيل يقال لها خير ،  
وأحببت بمعنى آثرت أو بمعنى فعل يتعدى بمعنى كأنه قال آثرت حب الخيل فشمغن عن ذكر ربى ، والآخر  
أن الخير هنا يراد به المال لأن الخيل وغيرها مال فهو كقوله تعالى « أوترك خيرا ، أى مالا ، والثالث

وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَالْقَيْنَانَ عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ . قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ، وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ

أن المفعول محذوف ، وحب الخير مصدر والتقدير أحببت هذه الخيل مثل حب الخير فشغلتني عن ذكر ربي وأما الذين قالوا كان يصلي فعرضت عليه الخيل فأشار بإزالتها فالمعنى أنه قال إني أحببت حب الخير الذي عند الله في الآخرة بسبب ذكر ربي ، وشغلتني ذلك عن النظر إلى الخيل (حتى توارت بالحجاب) الضمير للشمس وإن لم يتقدم ذكرها ، ولكنها تفهم من سياق الكلام وذكر العشى يقتضيها ، والمعنى حتى غابت الشمس ، وقيل إن الضمير للخيل ، ومعنى توارت بالحجاب دخلت اصطبلاتها والأول أشهر وأظهر (ردوها عليّ) أي قال سليمان ردوا الخيل عليّ (فطفق مسحاً بالسوق والأعناق) السوق جمع ساق يعني سوق الخيل وأعناقهم : أي جعل يمسحها مسحاً ، وهذا المسح يختلف على حسب الاختلاف المتقدم ، هل هو قطعها وعقرها أو مسحها باليد محبة لها ، أو وسماً للتجسس (ولقد فتنا سليمان وأقينا على كرسية جسدا ثم أناب) تفسير هذه الآية يختلف على حسب الاختلاف في قصتها ، وفي ذلك أربعة أقوال : الأول أن سليمان كان له خاتم ملكه وكان فيه اسم الله ، فكان ينزعه إذا دخل الخلاء توقيراً لاسم الله تعالى ، فنزعه يوماً ودفعه إلى جارية فتمثل لها جنياً في صورة سليمان وطاب منها الخاتم فدفعته له ، روى أن اسمه صخر فعدد على كرسى سليمان يأمر وينهى والناس يظنون أنه سليمان ، وخرج سليمان فأزاه بنفسه فأصابه الجرع فطلب حوتا ففتح بطنه فوجد فيه خاتمه ، وكان الجنى قد رماه في البحر فلبس سليمان الخاتم وعاد إلى ملكه ففتنه سليمان على هذا ما جرى له من سلب ملكه ، والجسد الذي ألقى على كرسية هو الجنى الذي قد عد عليه وسماه جسداً ، لأنه تصور في صورة إنسان ، ومعنى أناب رجوع إلى الله بالاستغفار والدعاء أو رجوع إلى ملكه ، والقول الثاني أن سليمان كان له امرأة يحبها وكان أبوها ملكاً كافراً قد قتله سليمان فسأله أن يضع لها صورة أبيها فأطاعها في ذلك فكانت تسجد للصورة ويسجد معها جواربها وصار صنما معبوداً في داره وسليمان لا يعلم حتى مضت أربعون يوماً ، فلما علم به كسره فالفتنه على هذا عمل الصورة ، والجسد هو الصورة والقول الثالث أن سليمان كان له ولداً وكان يحبه حباً شديداً فقالت الجن إن عاش هذا الولد ورث ملك أبيه فبقينا في السخرة أبداً فلم يشعر إلا وولده ميت على كرسية فالفتنه على هذا حبه الولد ، والجسد هو الولد لما مات وسمى جسداً لأنه جسد بلا روح ، والقول الرابع أنه قال لأطوفن الليلة على مائة امرأة تأتي كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله ، ولم يقل إن شاء الله ، فلم تحمل إلا واحدة جاءت بشق إنسان فالفتنه على هذا كونه لم يقل إن شاء الله ، والجسد هو شق الإنسان الذي ولد له ، فأما القول الأول فضعيف من طريق النقل مع أنه يبعد ما ذكر فيه من سلب ملك سليمان وتسايط الشياطين عليه ، وأما القول الثاني فضعيف أيضاً مع أنه يبعد أنه يعبد صنم في بيت نبي ، أو يأمر نبي بعمل صنم ، وأما القول الثالث فضعيف أيضاً ، وأما القول الرابع فتمد روى في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنه لم يذكر في الحديث أن ذلك تفسير الآية (قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي) قدم الاستغفار على طلب الملك لأن أمور الدين كانت عندهم أهم من الدنيا فقدم الأولى والأهم ، فإن قيل : لآى شىء قال لا ينبغي لأحد من بعدي ، وظاهر هذا طلب الانفراد به حتى قال فيه الحجاج

وَعَوَاصٍ ۝ وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۝ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّآبٍ ۝ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۝ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى الْأُولَى الْأَلْبَبَ ۝ وَخَذْنَا يَدَيْكَ ضَعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ ۝ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ

إنه كان حسوداً؟ فالجواب من وجهين: أحدهما أنه إنما قال ذلك لئلا يجرى عليه مثل ما جرى من أخذ الجنى للملكه، فقصد أن لا يسلب ملكه عنه في حياته ويصير إلى غيره، والآخر أنه طلب ذلك ليكون معجزة ودلالة على نبوته (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب) معنى رخاء لينته طيبة، وقيل طائفة له، وقد ذكرنا الجمع بين هذا وبين قوله عاصفة في الأنبياء، وحيث أصاب: أي حيث قصد وأراد (والشياطين كل بناء وغواص) الشياطين معطوف على الريح وكل بناء بدل من الشياطين أي سخرنا له الريح والشياطين من يبنى منهم ومن يغوص في البحر (وآخرين مقرنين في الأصفاد) أي آخرين من الجن موثقون في القيود والأغلال (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك) الإشارة إلى الملك الذي أعطاه الله له، والمعنى أن الله قال له أعط من شئت وامنع من شئت، وقيل المعنى امنن على من شئت من الجن بالإطلاق من القيود، وأمسك من شئت منهم في القيود، والأول أحسن وهو قول ابن عباس (بغير حساب) يحتمل ثلاثة معان: أحدها أنه لا يحاسب في الآخرة على ما فعل، والآخر بغير تضيق عليك في الملك، والثالث بغير حساب ولا عدد بل خارج عن الحصر (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) قد ذكر في قصة داود (واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسنى الشيطان بنصب وعذاب) قد ذكرنا قصة أيوب عليه السلام في الأنبياء والنصب يقال بضم النون وإسكان الصاد: وبفتح النون وإسكان الصاد وبضم النون والصاد وبفتحهما، ومعناه واحد وهو المشقة، فإن قيل: لم نسب ما أصابه من البلاء إلى الشيطان فالجواب من أربعة أوجه: أحدها أن سبب ذلك كان من الشيطان، فإنه روى أنه دخل على بعض الملوك فرأى منكراً فلم يغيره، وقيل إنه كانت له شاة فذبحها وطبخها، وكان له جار جائع فلم يعط جاره منها شيئاً، والثاني أنه أراد ما وسوس له الشيطان في مرضه من الجزع وكرهة البلاء، فدعا إلى الله أن يدفع عنه وسوسة الشيطان بذلك، والثالث أنه روى أن الله سلط الشيطان عليه ليفتنه فأهلك ماله فصبر وأهلك أولاده فصبر وأصابه الجذام (١) والمرض الشديد فصبر فنسب ذلك إلى الشيطان لتسليط الشيطان عليه، والرابع روى أن الشيطان لقي امرأته فقال لها قولى لزوجك إن سجد لى سجدت لى سجدت ما به من المرض فذكرت المرأة ذلك لايوب، فقال لها ذلك عدو الله الشيطان وحينئذ دعا (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) التقدير قلناله اركض برجلك فضرب الأرض برجله فنبعث له عين ماء صافية باردة فشرب منها فذهب كل مرض كان داخل جسده واغتسل منها فذهب ما كان في ظاهر جسده، وروى أنه ركض الأرض مرتين فنبعث له عينان فشرب من أحدهما واغتسل من الأخرى (ووهبنا له أهله) ذكر في الأنبياء (وخذ بيدك ضعفتا فاضرب به ولا تحنث) الضغث القبضة من القضبان، وكان أيوب عليه السلام قد حلف أن يضرب امرأته

(١) الحق أن سيدنا أيوب لم يصبه الجذام وإنما أصابه مرض باطنى لا ينفى عنه الناس لعصمة الأنبياء من ذلك

وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَرَ ۖ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذُكِّرَى الدَّارِ ۗ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفِينَ  
 الْأَخْيَارِ ۗ وَأُذْكَرُ إِنَّمَعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ۗ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَتَابٍ ۗ  
 جَنَّتٍ عَدْنٍ مَفْتُحَةٍ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ۗ مُتَكِنِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۗ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ  
 الطَّرْفِ أَرَابٌ ۗ هَذَا مَا تُوَعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ۗ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ۗ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ  
 مَتَابٍ ۗ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسِفُهَا فَالْمُهَادُ ۗ هَذَا فَلْيَذوقوه حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ۗ وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ۗ هَذَا فَوْجٌ

مائة سوط إذا برئ من مرضه ، وكان سبب ذلك ما ذكرته له من لقاء الشيطان ، وقوله لهما إن سجدي زوجك  
 أذهبت مابه من المرض ، فأمره أن يأخذ ضغثا فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة فيبر في يمينه ، وقد  
 ورد مثل هذا عن نبينا صلى الله عليه وسلم في حد رجل زنى وكان مريضا فأمر رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم بعنق نخلة فيه شماريح مائة فضرب به ضربة واحدة ذكر ذلك أبو داود والنسائي ، وأخذ به بعض  
 العلماء ، ولم يأخذه مالك ولا أصحابه (أولى الأيدي والأبصار) الأيدي جمع يد وذلك عبارة عن قوتهم في  
 الأعمال الصالحات ، وإنما عبر عن ذلك بالأيدي ، لأن الأعمال أكثر ما تعمل بالأيدي ، وأما الأبصار  
 فعبارة عن قوة فهمهم وكثرة علمهم من قولك أبصر الرجل إذا تبينت له الأمور ، وقيل الأيدي جمع يد  
 بمعنى النعمة ومعناه أولوا النعم التي أسداها الله إليهم من النبوة والفضيلة ، وهذا ضعيف لأن اليد بمعنى النعمة  
 أكثر ما يجمع على أيادي ، وقرأ ابن مسعود أولوا الأيدي بغير ياء ، فيحتمل أن تكون الأيدي محذوفة الياء ،  
 أو يكون الأيدي بمعنى القوة : كقوله داود ذا الأيدي ، (إنا أخلصناهم بخالصة ذكري الدار) معنى أخلصناهم  
 جعلناهم خالصين لنا ، أو أخلصناهم دون غيرهم ، وخالصة صفة حذف موصوفها تقديره بخالصة خالصة ، وأما الباء  
 في قوله بخالصة فإن كان أخلصناهم بمعنى جعلناهم خالصين ، فالباء سببية للتعليل ، وإن كان أخلصناهم بمعنى خصصناهم  
 فالباء تعدية الفعل ، وقرأنا فإضافة خالصة إلى ذكري من غير تنوين ، وقرأ غيره بالتنوين على أن تكون ذكر  
 بدلا من خالصة على وجه البيان والتفسير لها ، والدار يحتمل أن يريد به الآخرة أو الدنيا ، فإن أراد به الآخرة  
 ففي المعنى ثلاثة أقوال : أحدها أن ذكري الدار يعني به ذكركم للآخرة وجهنم فيها والآخرة أن معناه تذكيرهم  
 للناس بالآخرة ، وترغيبهم للناس فيها عند الله ، والثالث أن معناه ثواب الآخرة : أي أخلصناهم بأفضل ما في  
 الآخرة ، والأول أظهر ، وإن أراد بالدار الدنيا فالمعنى حسن الثناء والذكر الجميل في الدنيا كقوله لسان صدق  
 (الأخيار) جمع خير بتشديد الياء وخير المخفف من خير كميته مخفف من ميت (وذا الكفيل) ذكر في الأنبياء  
 (هذا ذكر) الإشارة إلى ما تقدم في هذه السورة من ذكر الأنبياء ، وقيل الإشارة إلى القرآن بجملة ، والأول أظهر  
 وكان قوله هذا ذكر ختام للكلام المتقدم ، ثم شرع بعده في كلام آخر كما يتم المؤلف بابا ثم يقول فهذا  
 باب ثم يشرع في آخر (قاصرات الطرف) ذكر في الصافات (أتراب) يعني أسنانهن سواء يقال فلان ترب  
 فلان إذا كان مثله في السن ، وقيل إن أسنانهن وأسنان أزواجهن سواء (ماله من نفاذ) أي ماله من فناء ولا  
 انقضاء (هذا وإن للطاغين لشر مآب) تقديره الأمر هذا : لما تم ذكر أهل الجنة ختمه بقوله هذا ثم ابتداء وصف

مَقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَأَمْرٍ حَبَابٍ بِهِمْ إِنَّهُمْ صَلَّى النَّارَ . قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَأَمْرٍ حَبَابٍ بِكُمْ أَنْتُمْ قَدِمْتُمُوهُ لَنَا فَبَشِّرُوا الْقَرَارَ . قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ . وَقَالُوا مَا لَنَا لَنْزِيٍّ رَجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ . اتَّخَذْنَاهُمْ سَخِرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ . إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ \* قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ

أهل النار ، ويعنى بالطاغين الكفار (هذا فليذوقوه حميم وغساق) هذا مبتدأ وخبره حميم ، فليذوقوه اعتراف بينهما ، والحميم الماء الحار والغساق قرئ بتخفيف السين وتشديدها وهو صديد أهل النار ، وقيل مايسيل من عيونهم ، وقيل هو عذاب لا يعلمه إلا الله (وآخر من شكله أزواج) آخره محطوف على حميم وغساق تقديره وعذاب آخر قيل يعنى الزمهرير ، ومعنى من شكله من مثله ونوعه أى من مثل العذاب المذكور ، وأزواج معناه أصناف وهو صفة للحميم والغساق والعذاب الآخر والمعنى أنهما أصناف من العذاب ، وقال ابن عطية : آخر مبتدأ ، واختلف في خبره ، فقيل تقديره وهم عذاب آخر وقيل أزواج مبتدأ ومن شكله خبر أزواج ، والجملة خبر آخر ، وقيل أزواج خبر الآخر ، ومن شكله في موضع الصفة وقرئ آخر بالجمع وهو أليق أن يكون أزواج خبره لأنه جمع مثله (هذا فوج مقتحم معكم) الفوج جماعة من الناس والمقتحم الداخل في زحام وشدة وهذا من كلام خزنة النار خاطبوا به رؤساء الكفار الذين دخلوا النار أولاً ثم دخل بعدهم أتباعهم وهو الفوج المشار إليه ، وقيل هو كلام أهل النار بعضهم لبعض والأول أظهر (لامر حبا بهم) أى لا يلقون رحباً ولا خيراً ، وهو دعاء من كلام رؤساء الكفار: أى لامر حبا بالفوج الذين هم أتباع لهم (قالوا بل أنتم لامر حبا بكم) هذا حكاية كلام الأتباع الرؤساء لما قالوا لهم لامر حبا بهم ، أجاوبهم بقولهم بل أنتم لامر حبا بكم (أنتم قدمتموه لنا) هذا أيضاً من كلام الأتباع خطاباً للرؤساء ، وهو تعليل لقولهم بل أنتم لامر حبا بكم ، والضمير في قدمتموه للعذاب ، ومعنى قدمتموه أو جيتموه لنا بما قدمتم في الدنيا من إغوائنا وأمركم لنا بالكفر (قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار) هذا أيضاً من كلام الأتباع دعوا إلى الله تعالى أن يضاعف العذاب لرؤسائهم الذين أوجبوا لهم العذاب فهو كقولهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً في النار والضعف زيادة المثل (قالوا ما لنا لانزى رجلاً كنا نعدهم من الأشرار) الضمير في قالوا لرؤساء الكفار ، وقيل للطاغين والرجال هم ضعفاء المؤمنين ، وقيل إن القائلين لذلك أبو جهل لعنه الله وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة وأمثالهم وأن الرجال المذكورين هم عمار وبلال وصهيب وأمثالهم واللفظ أعم من ذلك والمعنى أنهم قالوا في جهنم ما لنا لانزى في النار رجلاً كنا في الدنيا نعدهم من الأشرار (أتخذناهم سخرياً) قرئ أتخذناهم بهمزة قطع ومعناها توبيخ أنفسهم على اتخادهم المؤمنين سخرياً ، وقرئ بألف وصل على أن يكون الجملة صفة لرجال وقرئ سخرياً بضم السين من التسخير بمعنى الخدمة وبالكسر بمعنى الاستهزاء (أم زاعت عنهم الأبصار) هذا يحتمل ثلاثة أوجه: أحدها أن يكون معادلاً لقولهم ما لنا لانزى رجلاً ، والمعنى ما لنا لانزاهم في جهنم فهم ليسوا فيها أم هم فيها ولكن زاعت عنهم أبصارنا ومعنى زاعت عنهم مالت فلم نرهم . الثانى أن يكون معادلاً لقولهم أتخذناهم سخرياً والمعنى أتخذناهم سخرياً . وأم زاعت الأبصار على هذا : مالت عن النظر إليهم احتقاراً لهم . الثالث أن تكون أم منقطعة بمعنى بل والهزمة فلا تعادل شيئاً مما قبلها (إن ذلك لحق) الإشارة إلى ما تقدم من حكاية أقوال أهل النار

إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ \* رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ \* قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ \* أَتَمَّ عَنْهُ  
مُعْرَضُونَ \* مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ \* إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ \* إِذْ قَالَ  
رَبُّكَ لِلْمَلَأَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ \* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ \* فَسَجَدَ  
الْمَلَأَةُ كُلُّهُمْ أَسْجُودًا \* إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ \* قَالَ يَا بَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا  
خَلَقْتُ يَدَيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ \* قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ \* قَالَ فَأَخْرِجْ  
مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ \* وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ \* قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمٍ يَبْعَثُونَ \* قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ  
الْمُنظَرِينَ \* إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ \* قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا غُوبِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ \* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ \* قَالَ فَالْحَقُّ  
وَالْحَقُّ أَقُولُ \* لَا مَلَأَانَ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ \* قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ

ثم فسره بقوله (تخاصم أهل النار) وإعراب تخصص بدل من حق أو خبر مبتدأ مضمرة (قل هو نبأ عظيم) النبأ الخبر ويعنى به ما تضمنته الشريعة من التوحيد والرسالة والدار الآخرة ، وقيل هو القرآن ، وقيل هو يوم القيامة والأول أعم وأرجح (ما كان لي من علم بالملا الأعلى إذ يختصمون) الملا الأعلى هم الملائكة ومقصد الآية الاحتجاج على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر بأمر لم يكن يعلمها قبل ذلك ، والضمير في يختصمون للملا الأعلى واختصاصهم هو في قصة آدم حين قال لهم إني جاعل في الأرض خليفة حسبما تضمنته قصته في مواضع من القرآن ، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقال يا محمد فيم يختصم الملا الأعلى فقال : لأدرى قال في الكفارات وهي إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد الحديث بطوله ، وقيل الضمير في يختصمون للكفار : أى يختصمون في الملا الأعلى فيقول بعضهم هم بنات الله ، ويقولون آخرون هم آلهة تعبد ، وهذا بعيد ، وهذا بعيد (إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين) إذ بدل من إذ يختصمون ، وقد ذكرنا في البقرة معنى سجود الملائكة لآدم ، ومعنى كفر إبليس وذكرنا في الحجر معنى قوله تعالى (من روعي) (قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) الضمير في قال لله عز وجل ، وبيدي من المتشابه الذي ينبغي الإيمان به وتسليم علم حقيقته إلى الله ، وقال المتأولون هو عبارة عن القدرة ، وقال القاضي أبو بكر بن الطيب إن اليد والعين والوجه صفات زائدة على الصفات المتقررة ، قال ابن عطية وهذا قول مرغوب عنه ، وحكى الزمخشري أن معنى خلقت بيدي خلقت بغير واسطة (استكبرت أم كنت من العالين) دخلت همزة الاستفهام على ألف الوصل فحذفت ألف الوصل ، وأم هنا معادلة ، والمعنى استكبرت الآن أم كنت قديما ممن يعلو ويستكبر ، وهذا على وجه التوبيخ له (رجيم) أى لعين مطرود (إلى يوم الوقت المعلوم) يعنى القيامة ، وقد تقدم الكلام على ذلك في الحجر (قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين) الباء للقسمة ، أقسم إبليس بعزة الله أن يغوى بن آدم (قال فالحق والحق أقول لاملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين) الضمير في قال هنا لله تعالى ، والحق الأول مقسم به وهو منصوب بفعل مضمرة كقولك الله لأفعلن ، وجوابه لاملأن جهنم ، وقرئ بالرفع وهو مبتدأ ، أو خبر مبتدأ مضمرة تقديره الحق يميني ، وأما الحق الثاني

الْمُتَكَلِّفِينَ ۚ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۚ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ۚ

## سورة الزمر

مكية إلا الآيات ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ فمدنية وآياتها ٧٥ نزلت بعد سبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۚ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۚ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ  
فَاعْبُدِ اللَّهَ مَخْلَصًا لَهُ الدِّينَ ۚ الْإِلَهَ الدِّينِ الْخَالِصِ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى  
اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۚ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ

فهو مفعول بأقول ، وقوله والحق أقول جملة اعتراض بين القسم وجوابه على وجه التأكيد للفهم (وما أنا من المتكلفين) أى الذين يتصنعون ويحيلون بما ليسوا من أهله (ولتعلنن نبأه بعد حين) هذا وعيد أى لتعلنن صدق خبره بعد حين والحين يوم القيامة أو موتهم أو ظهور الإسلام يوم بدر وغيره

## سورة الزمر

(تنزيل الكتاب) تنزيل مبتدأ وخبره من الله أو خبر ابتداء مضمرة تقديره هذا تنزيل ، ومن الله على هذا الوجه يتعلق بتنزيل أو يكون خبراً بعد خبر أو خبر مبتدأ آخر محذوف والكتاب هنا القرآن أو السورة واختار ابن عطية أن يراد به جنس الكتب المنزلة وأما الكتاب الثانى فهو القرآن باتفاق (بالحق) يحتمل معنيين أحدهما أن يكون معناه متضمناً للحق ، والثانى أن يكون معناه بالاستحقاق والوجوب (مخلصاً له الدين) أى لا يكون فيه شرك أكبر ولا أصغر وهو الرياء (ألا الله الدين الخالص) قيل معناه من حقه ومن واجبه أن يكون له الدين الخالص ويحتمل أن يكون معناه إن الدين الخالص هو دين الله وهو الإسلام الذى شرعه لعباده ولا يقبل غيره ومعنى الخالص الصافى من شوائب الشرك ، وقال قتادة الدين الخالص شهادة أن لا إله إلا الله ، وقال الحسن هو الإسلام وهذا أرجح لعمومه (والذين اتخذوا من دونه أولياء) يريد بالأولياء الشركاء المعبودين ، ويحتمل أن يريد بالذين اتخذوا الكفار العابدين لهم أو الشركاء المعبودين والأول أظهر لأنه يحتاج على الثانى إلى حذف الضمير العائد على الذين تقديره الذين اتخذوهم ويكون ضمير الفاعل فى اتخذوا عائداً على غير مذكور وارتفاع الذين على الوجهين بالابتداء وخبره إما قوله إن الله يحكم بينهم أو المحذوف المقدر قبل قوله ما نعبدهم لأن تقديره يقولون ما نعبدهم والأول أرجح لأن المعنى به أكل ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) هذه الجملة فى موضع معمول قول محذوف والقول فى موضع الحال أو فى موضع بدل من صلة الذين ، وقرأ ابن مسعود قالوا ما نعبدهم بإظهار القول أى يقول الكفار ما نعبده هؤلاء الآلهة إلا ليقربونا إلى الله ويشفعوا لنا عنده ويعنى بذلك الكفار الذين عبدوا الملائكة أو الذين عبدوا الأصنام أو الذين عبدوا عيسى أو عزيز فإن جميعهم قالوا هذه المقالة ومعنى زلفى قربى فهو مصدر من يقربونا (إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) إشارة إلى كذبهم فى قولهم ليقربونا إلى الله وقوله لا يهدي فى تأويله وجهان : أحدهما لا يهديه فى حال كفره والثانى أن ذلك مخصص بمن قضى عليه بالموت على الكفر أعادنا الله من ذلك وهذا تأويل : لا يهدى القوم الظالمين والكافرين حيثما وقع (لو أراد الله أن يتخذ ولدأ لاصطفى مما يخلق

يَتَّخِذُ وُلْدًا لِأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوِّرُ  
الَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝  
خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ  
خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآئِي أَتَصْرَفُونَ ۚ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ

ما يشاء) الولد يكون على وجهين أحدهما بالولادة الحقيقية وهذا محال على الله تعالى لا يجوز في العقل والثاني التبني بمعنى الاختصاص والتقريب كما يتخذ الانسان ولد غيره ولدا لإفراط محبته له وذلك ممتنع على الله بإخبار الشرع فان قوله وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا يعم نفى الوجهين فمعنى الآية على ما أشار إليه ابن عطية: لو أراد الله أن يتخذ ولداً على وجه التبني لأصطفى لذلك مما يخلق من موجوداته ومخلوقاته ولكنه لم يرد ذلك ولا فعله ، وقال الزمخشري معناه: لو أراد الله اتخاذ الولد لا تمتنع ذلك ولكنه يصطفى من عباده من يشاء على وجه الاختصاص والتقريب لا على وجه اتخاذه ولداً فاصطفى الملائكة وشرفهم بالتقريب فحسب الكفار أنهم أولاده ثم زادوا على ذلك أن جعلوهم إناثاً فأفرطوا في الكفر والكذب على الله وملائكته (سبحانه هو الله الواحد القهار) نزه تعالى نفسه من اتخاذ الولد ثم وصف نفسه بالواحد لأن الوحدانية تنافي اتخاذ الولد لأنه لو كان له ولد لكان من جنسه ولا جنس له لأنه واحد ووصف نفسه بالقهار ليدل على نفى الشركاء والأنداد لأن كل شيء مقهور تحت قهره تعالى فكيف يكون شريكاً له ثم أتبع ذلك بما ذكره من خلقه السموات والأرض وما بينهما ليدل على وحدانيته وقدرته وعظمته (يكور الليل على النهار) التكوير اللف واللى ومنه كور العمامة التي يلتوى بعضها على بعض وهو هنا استعارة ، ومعناه: على ما قال ابن عطية يعيد من هذا على هذا ، فكان الذي يطيل من النهار أو الليل يصير منه على الآخر جزءاً فيستره وكان الذي ينقص يدخل في الذي يطول فيستر فيه ويحتمل أن يكون المعنى أن كل واحد منهما يغلب الآخر إذا طرأ عليه فشبّه في ستره له بثوب يلف على الآخر (لأجل مسمى) يعني يوم القيامة (خلقكم من نفس واحدة) يعني آدم عليه السلام (ثم جعل منها زوجها) يعني حواء خلقها من ضلع آدم ، فإن قيل: كيف عطف قوله ثم جعل على خلقكم ثم التي تقتضي الترتيب والمهله ولا شك أن خلقه حواء كانت قبل خلقه بني آدم؟ فالجواب من ثلاثه أوجه: الأول وهو المختار أن العطف إنما هو على معنى قوله واحدة لا على خلقكم كأنه قال خلقكم من نفس كانت واحدة ثم خلق منها زوجها بعد وحدتها الثاني أن ثم لترتيب الأخبار لا لترتيب الوجود . الثالث أنه يعني بقوله خلقكم إخراج بني آدم من صلب أبيهم كالذر وذلك كان قبل خلقه حواء (وأزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) يعني المذكورة في الأنعام من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين وسماها أزواجاً لأن الذكر زوج الأنثى والأنثى زوج الذكر وأما أنزل ففيه ثلاثه أوجه: الأول أن الله خلق أول هذه الأزواج في السماء ثم أنزلها . الثاني أن معنى أنزل قضى وقسم ، فالإنزال عبارة عن نزول أمره وقضائه . الثالث أنه أنزل المطر الذي ينبت به النبات فتعيش منه هذه الأنعام فعبّر بإنزالها عن إنزال أرزاقها وهذا بعيد (خلقاً من بعد خلق) يعني أن الإنسان يكون نطفة ثم علقه ثم مضغة إلى أن يتم خلقه ثم ينفخ فيه الروح (في ظلمات ثلاث) هي البطن والرحم والمشيمة ، وقيل صلب الأب

اللَّهُ غَنَىٰ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ  
مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۖ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ  
إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوَ إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا  
إِنَّكَ مِنَ الْأَصْحَابِ النَّارِ ۗ أَمَّنْ هُوَ قَلْبُكَ إِنَّآ الْبَلِيبُ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ  
يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۗ قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ  
لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۗ قُلْ إِنِّي

والرحم والمشيمة والأول أرجح لقوله بطون أمهاتكم ولم يذكر الصلب (إن تكفروا فإن الله غنى عنكم) أى لا يضره كفركم (ولا يرضى لعباده الكفر) تأول الأشعرية هذه الآية على وجهين : أحدهما أن الرضا بمعنى الإرادة ويعنى بعباده من قضى الله له بالإيمان والوفاء عليه ، فهو كقوله إن عبادى ليس لك عليهم سلطان والآخر أن الرضا غير الإرادة والعباد على هذا على العموم أى لا يرضى الكفر لأحد من البشر وإن كان قد أراد أن يقع من بعضهم فهو لم يرضه ديناً ولا شرعاً وأراده وقوعاً ووجوداً وأما المعتزلة فإن الرضا عندهم بمعنى الإرادة والعباد على العموم جرياً على قاعدتهم فى القدر وأفعال العباد (وإن تشكروا يرضه لكم) هذا عموم والشكر الحقيقى يتضمن الإيمان (ولا تزر وازرة) ذكر فى الإسراء (وإذا مس الإنسان ضر) الآية : يراد بالإنسان هنا الكافر بدليل قوله وجعل له أنداداً ، والقصد بهذه الآية عتاب وإقامة حجة ، فالعتاب على الكفر وترك دعاء الله وإقامة الحجة على الإنسان بدعائه إلى الله ، فى الشدائد ، فإن قيل لم قال هنا وإذا مس بالواو وقال بعدها فإذا مس بالفاء ؟ فالجواب : أن الذى بالفاء مسبب عن قوله اشتمأت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة فجاء بفاء السببية قاله الزمخشري وهو بعيد (ثم إذا خوله نعمة منه) خوله أعطاه والنعمة هنا يحتمل أن يريد بها كشف الضر المذكور أو أى نعمة كانت (نسى ما كان يدعو إليه من قبل) يحتمل أن تكون ماصدرية أى نسى دعاء أو تكون بمعنى الذى والمراد بها الله تعالى (أم من هو قانت) بتخفيف الميم على إدخال همزة الاستفهام على من وقيل هى همزة النداء الأول أظهر ، وقرئ بتشديدها على إدخال أم على من ومن مبتدأ وخبره محذوف وهو المعادل للاستفهام تقديره أم من هو قانت كغيره وإنما حذف لدلالة الكلام عليه وهو ما ذكر قبله وما ذكر بعده وهو قوله «هل يستوى الذين يعلمون ، والقنوت هنا بمعنى الطاعة والصلاة بالليل ، وآناه الليل ساعاته (قل يا عباد الذين آمنوا) الآية نزلت فى جعفر بن أبى طالب وأصحابه حين عزموا على الهجرة إلى أرض الحبشة ومعناها التأنيس لهم والتنشيط على الهجرة (الذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) يحتمل أن يتعلق فى هذه الدنيا بأحسنوا والمعنى الذين أحسنوا فى الدنيا لهم حسنة فى الآخرة ، أو يتعلق بحسنة والحسنة على هذا حسن الحال والعافية فى الدنيا والأول أرجح (وأرض الله واسعة) يراد البلاد المجاورة للأرض التى هاجروا منها والمقصود من ذلك الحض على الهجرة (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) هذا يحتمل وجهين أحدهما أن الصابريون فى أجره ولا يحاسب على أعماله فهو من الذين يدخلون الجنة بغير حساب والثانى أن أجر الصابرين بغير حصر بل أكثر من

أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ . وَأَمَرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ . قُلْ اللَّهُ عَابِدٌ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي . فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلْذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ . لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلْمٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلْمٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبَادُونَ فَاتَّقُوا . وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادَ . الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ . أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ . لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنَ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مَصْفُورًا ثُمَّ يُجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ

أن يحصر بعدد أو وزن وهذا قول الجمهور ( وأمرت لأن أكون أول المسلمين ) اللام هنا يجوز أن تكون زائدة أو للتعليل ويكون المفعول على هذا محذوف ، فإن قيل : كيف عطف أمرت على أمرت والمعنى واحد؟ فالجواب أن الأول أمر بالعبادة والإخلاص والثاني أمر بالسبق إلى الإسلام فهما معنيان اثنان وكذلك قوله قل الله أعبد ليس تكرار القول أمرت أن أعبد الله لأن الأول إخبار بأنه مأمور بالعبادة والثاني إخبار بأنه يفعل العبادة وقدم اسم الله تعالى للحصر واختصاص العبادة به وحده ( فاعبدوا ما شئتم من دونه ) هذا تهديد ومبالغة في الخذلان والتخليه لهم على ما هم عليه ( ظلل ) جمع ظلة بالضم وهو ما غشى من فوق كالسقف فقوله من فوقهم بين وأمامن تحتهم فسماه ظلة لأنه سقف لمن تحتهم فإن جهنم طبقات وقيل سماه ظلة لأنه يذهب ويصعد من أسفلهم إلى فوقهم ( والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها ) قيل إنها نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن ابن عوف وسعد وسعيد وطلحة والزبير إذ دعاهم أبو بكر الصديق إلى الإيمان فأمنوا وقيل نزلت في أبي ذر وسلمان وهذا ضعيف لأن سلمان إنما أسلم بالمدينة والآية مكية والأظهر أنها عامة ، والطاغوت كل ما عبد من دون الله ، وقيل الشياطين ( الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ) قيل يستمعون القول على العموم فيتبعون القرآن لأنه أحسن الكلام وقيل يستمعون القرآن فيتبعون بأعمالهم أحسنه من العفو الذي هو أحسن من الانتصار وشبه ذلك وقيل هو الذي يستمع حديثا فيه حسن وقبيح فيتحدث بالحسن ويكف عما سواه وهذا قول ابن عباس وهو الأظهر وقال ابن عطية هو عام في جميع الأقوال والقصد الثناء على هؤلاء يبصائر ونظر سديد يفرقون به بين الحق والباطل وبين الصواب والخطأ ، فيتبعون الأحسن من ذلك ، وقال الزمخشري مثل هذا المعنى ( أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار ) فيها وجهان : أحدهما أن يكون الكلام جملة واحدة تقديره : أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذه ، فوضع من في النار موضع المضمر ، والهمزة في قوله أفأنت هي الهمزة التي في قوله أفمن وهي همزة الإنكار كترت للتأكيد ، والثاني أن يكون التقدير أفمن حق عليه كلمة العذاب تتأسف عليه فحذف الخبر ثم استأنف قوله أفأنت تنقذ من في النار ، وعلى هذا

لَذَكَرَى الْأُولَى الْأَلْبَبِ ، أَفَنَ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مَنْ  
ذَكَرَ اللَّهُ أَوْلَى لَكَ فِي ضَلَلِّ مَبِينٍ ، اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كَتَبَ مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ  
يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينَ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هَدَى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِّ اللَّهُ فَمَا  
لَهُ مِنْ هَادٍ ، أَفَنَ يَتَّبِعِي بَوَّجَهُ سَوْءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ، كَذَبَ  
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ، فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابَ الْآخِرَةَ  
أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ، وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ، قُرْءَانًا عَرَبِيًّا

يوقف على العذاب، والأول أرجح لعدم الإضرار (فمسلكه يناهض في الأرض) معنى سلكه أدخله وأجراه  
والينايع جمع ينبوع وهو العين، وفي هذا دليل على أن ماء العيون من المطر (مختلفا ألوانه) أى أصنافه  
كالقمح والأرز والفول وغير ذلك، وقيل ألوانه الخضرة والحمره وشبه ذلك، وفي الوجهين دليل على  
الفاعل المختار ورد على أهل الطبائع (أفمن شرح الله صدره للإسلام) تقديره أفمن شرح الله صدره كالقاسي  
قلبه، وروى أن الذى شرح الله صدره للإسلام على بن أبى طالب وحمة، والمراد بالقاسية قلوبهم أبو طه  
وأولاده، واللفظ أعم من ذلك (من ذكر الله) قال الزمخشري من هنا سببية أى قلوبهم قاسية من أجل ذكر  
الله، وهذا المعنى بعيد، ويحتمل عندي أن يكون قاسية تضمن معنى خالية، فلذلك تعدى بمن، والمعنى أن  
قلوبهم خالية من ذكر الله (الله نزل أحسن الحديث) يعنى القرآن (كتابا) بدل من أحسن أو حال منه  
(متشابهها) معناه هنا أنه يشبه بعضه بعضا فى الفصاحة والنطق بالحق، وأنه ليس فيه تناقض ولا اختلاف  
(مثنى) جمع مثنى أى تثنى فيه القصص وتكرر، ويحتمل أن يكون مشتقا من الثناء، لأنه يثنى فيه على الله، فإن  
قيل: مثنى جمع فكيف وصف به المفرد؟ فالجواب: أن القرآن ينقسم فيه إلى سور وآيات كثيرة فهو جمع  
بهذا الاعتبار، ويجوز أن يكون كقولهم برمة أعشار، وثوب أخلاق، أو يكون تميزا من متشابهها كقولك  
حسن شمائل (ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) إن قيل: كيف تعدى تلين يالى؟ فالجواب أنه تضمن  
معنى فعل تعدى يالى كأنه قال تميل أو تسكن أو تطمئن قلوبهم إلى ذكر الله. فإن قيل: لم ذكرت الجلود أولا  
وحدها ثم ذكرت القلوب بعد ذلك معها؟ فالجواب: أنه لما قال أولا تقشعر ذكر الجلود وحدها، لأن  
التقشيرية من وصف الجلود لا من وصف غيرها، ولما قال ثانيا تلين ذكر الجلود والقلوب، لأن اللين توصف به  
الجلود والقلوب: أما لين القلوب فهو ضد قسوتها وأما لين الجلود فهو ضد تقشعيرتها فاقشعرت أولا  
من الخوف، ثم لانَت بالرجاء (ذلك هدى الله) يحتمل أن تكون الإشارة إلى القرآن أو إلى الخشية واقشعرات  
الجلود (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب) الخبر محذوف كما تقدم فى نظائره تقديره أفمن يتقى بوجهه سوء  
العذاب كمن هو آمن من العذاب، ومعنى يتقى يلقى النار بوجهه ليكشفها عن نفسه، وذلك أن الإنسان إذا  
لقى شيئا من المخاوف استقبله بيديه، وأيديه هؤلاء مغولة، فاتقوا النار بوجوههم (ذوقوا ما كنتم تكسبون)  
أى ذوقوا جزاء ما كنتم تكسبون من الكفر والعصيان (قرآنا عربيا) نصب على الحال أو بفعل مضمر على المدح

غَيْرِ ذِي عَوْجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ . ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ  
 مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ . ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ . فَمَنْ  
 أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ . وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ  
 وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ . لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ . لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ  
 الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ . أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ  
 دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ . وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ . وَلَئِنْ  
 سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ  
 هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ .

(غير ذى عوج) أى ليس فيه تضاد ولا اختلاف ولا عيب من العيوب التى فى كلام البشر، وقيل معناه غير مخلوق  
 وقيل غير ذى لحن ، فإن قيل : لم قال غير ذى عوج ولم يقل غير معوج ؟ فالجواب : أن قوله غير ذى عوج  
 أبلغ فى نفي العوج عنه كأنه قال ليس فيه شيء من العوج أصلا (رجلا فيه شركاء متشاكسون) أى متنازعون  
 متظالمون ، وقيل متشاجرون وأصله من قولك رجل شكس إذا كان ضيق الصدر ، والمعنى ضرب هذا المثل  
 لبيان حال من يشرك بالله ومن يوحده ، فشبه المشرك بمملوك بين جماعة من الشركاء يتنازعون فيه ،  
 والمملوك بينهم فى أسوأ حال وشبهه من يوحد الله بمملوك لرجل واحد ، فعنى قوله (سالما لرجل) أى خالصه  
 وقرئ سلما بغير ألف والمعنى واحد (إنك ميت وإنهم ميتون) فى هذا وعد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم  
 ووعد للكفار فإنهم إذا ماتوا جميعا وصاروا إلى الله فاز من كان على الحق وهلك من كان على الباطل وفيه  
 أيضا إخبار بأنه صلى الله عليه وسلم سيموت لثلاث مختلف الناس فى موته كما اختلفت الأمم فى غيره وقد جاء  
 أنه لما مات صلى الله عليه وسلم أنكر عمر بن الخطاب رضى الله عنه موته حتى احتج عليه أبو بكر الصديق  
 بهذه الآية فرجع إليها (تختصمون) قيل يعنى الاختصام فى الدماء وقيل فى الحقوق والأظهر أنه اختصاص النبي  
 صلى الله عليه وسلم مع الكفار فى تكذيبهم له فيكون من تمام ما قبله ويحتمل أن يكون على العموم فى  
 اختصاص الخلاق فيما بينهم من المظالم وغيرها (فمن أظلم ممن كذب على الله) المعنى لأحد أظلم ممن كذب على  
 الله ويريد بالكذب على الله هنا منسبوا إليه من الشركاء والأولاد (وكذب بالصدق) أى كذب بالإسلام والشريعة  
 (والذى جاء بالصدق وصدق به) قيل الذى جاء بالصدق النبي صلى الله عليه وسلم والذى صدق به أبو بكر وقيل  
 الذى جاء بالصدق جبريل والذى صدق به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذى جاء بالصدق الأنبياء والذى  
 صدق به المؤمنون واختار ابن عطية أن يكون على العموم وجعل الذى للجنس كأنه قال الفريق الذى لأنه  
 فى مقابلة من كذب على الله وكذب بالصدق والمراد به العموم (أليس الله بكاف عبده) تقوية لقلب محمد  
 صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وإزالة للخوف الذى كان الكفار يخوفونه (ولئن سألتهم) الآية احتجاج

قُلْ يَتَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِلَىٰ عَمَلِ فَسُوفَ تَعْلَمُونَ ۖ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحْمِلْ عَلَيْهِ عَذَابَ مَقِيمٍ ۚ  
 إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنْ أُهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ  
 بِوَكِيلٍ ۚ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمَسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ  
 الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۚ أَمْ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفْعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ  
 كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۚ  
 وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْتَمَزَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۚ  
 قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۚ  
 وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ

على التوحيد ورد على المشركين (هل هن كاشفات ضره) الآية رد على المشركين وبرهان على الوحداية  
 وري أن سبها أن المشركين خوفوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم من آلهتهم فنزلت الآية  
 مبينة أنهم لا يقدرون على شيء، فإن قيل: كيف قال كاشفات وممسكات بالتأنيث؟ فالجواب أنها لا تعقل فعاملها  
 معاملة المؤنثة وأيضا في تأنيثها تحقير لها وتهكم بمن عبدها (اعملوا على مكاتكم) تهديد ومسالمة منسوخة  
 بالسيف (بالحق) ذكر في أول السورة (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) هذه الآية اعتبار  
 ومعناها أن الله يتوفى النفوس على وجهين: أحدهما وفاة كاملة حقيقية وهي الموت، والآخر وفاة النوم  
 لأن النائم كالميت في كونه لا يبصر ولا يسمع ومنه قوله وهو الذي يتوفاكم بالليل، وتقديرها ويتوفى الأنفس  
 التي لم تمت في منامها (فيمسك التي قضى عليها الموت) أي يمسك الأنفس التي قضى عليها بالموت  
 الحقيقي ومعنى إمساكها أنه لا يردها إلى الدنيا (ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى) أي يرسل الأنفس النائمة  
 وإرسالها هو ردها إلى الدنيا، والأجل المسمى هو أجل الموت الحقيقي، وقد تكلم الناس في النفس والروح  
 وأكثروا القول في ذلك بالظن دون تحقيق، والصحيح أن هذا مما استأثر الله بعلمه لقوله «قل الروح من  
 أمر ربي»، (أم اتخذوا من دون الله شفعاء) أم هنا بمعنى بل وهمزة الإنكار والشفعاء هم الأصنام وغيرها،  
 لقولهم هؤلاء شفعائونا عند الله (قل أو لو كانوا) دخلت همزة الاستفهام على واو الحال تقديره يشفعون  
 وهم لا يملكون شيئا ولا يعقلون (قل لله الشفاعة جميعا) أي هو مالكها، فلا يشفع أحد إليه إلا بإذنه وفي  
 هذا رد على الكفار في قولهم إن الأصنام تشفع لهم (وإذا ذكر الله وحده) الآية: معناها أن الكفار  
 يكرهون توحيد الله ويحبون الإشراف به، ومعنى اشتمزت انقبضت من شدة الكراهة، وروى أن هذه الآية  
 نزلت حين قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سورة النجم، فألقى الشيطان في أمنيه حسبما ذكرنا  
 في الحج، فاستبشر الكفار بما ألقى الشيطان من تعظيم اللات والعزى، فلما أذهب الله ما ألقى الشيطان  
 استكبروا واشتأزوا (وبدأ لهم من الله ما لم يكتنوا يحسبون) أي ظهر لهم يوم القيامة خلاف ما كانوا

اللَّهُ مَالِمٌ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ . وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ . فَإِذَا مَسَّ  
 الْإِنْسَانَ ضُرْدَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوْلَتْهُ نِعْمَةٌ مَنَّ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ .  
 قَدْ قَالَهُمُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ \* فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ  
 هَؤُلَاءِ سَيَصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ \* أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ  
 إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ \* قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ اسْرِفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ

يظنون لأنهم كانوا يظنون ظنونا كاذبة . قال الزمخشري : المراد بذلك تعظيم العذاب الذي يصيبهم أى ظهر لهم من عذاب الله مالم يكن في حسابهم فهو كقوله في الوعد « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين » وقيل معناها عملوا أعمالا حسبوها حسنات ، فإذا هي سيئات وقال الحسن : ويل لأهل الربا من هذه الآية وهذا على أنها في المسلمين والظاهر أنها في الكفار ( وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ) معنى حاق حل ونزل وقال ابن عطية وغيره إن هذا على حذف مضاف تقديره حاق بهم جزاء ما كانوا به يستهزؤن ، ويحتمل أن يكون الكلام دون حذف وهو أحسن ، ومعناه حاق بهم العذاب الذي كانوا به يستهزؤن لأنهم كانوا في الدنيا يستهزؤن ، إذا خوفوا بعذاب الله ، ويقولون متى هذا الوعد (قال إنما أوتيته على علم) يحتمل وجهين أحدهما وهو الأظهر : أن يريد على علم منى بالمكاسب والمنافع ، والآخر على علم الله باستحقاقى لذلك وإنما هنا يحتمل وجهين : أحدهما وهو الأظهر : أن تكون ما كافة وعلى علم في موضع الحال ، والآخر أن تكون ما اسم إن وعلى علم خبرها وإنما قال أوتيته بالضمير المذكور وهو عائد على النعمة للحمل على المعنى (بل هي فتنة) رد على الذى قال إنما أوتيته على علم (قد قالها الذين من قبلهم) يعنى قارون وغيره (قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) قال على بن أبى طالب وابن مسعود هذه أرحى آية في القرآن، وروى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : ما أحب أن لى الدنيا وما فيها بهذه الآية ، واختلف في سببها فقيل نزلت في وحشى قاتل حمزة ، لما أراد أن يسلم وخاف أن لا يغفر له ما وقع فيه من قتل حمزة وقيل نزلت في قوم آمنوا ولم يهاجروا ، ففتنوا فافتنوا ثم ذموا وظنوا أنهم لا توبة لهم ، وهذا قول عمر بن الخطاب : وقد كتب بها إلى هشام بن العاصى ، لما جرى له ذلك وقيل نزلت في قوم من أهل الجاهلية ، قالوا : ما نبتعنا الإسلام لأننا قد زيننا ، وقتلنا النفوس فنزلت الآية فيهم ومعناها مع ذلك على العموم في جميع الناس إلى يوم القيامة على تفصيل نذكره وذلك أن الذين اسرفوا على انفسهم إن أراد بهم الكفار فقد اجتمعت الأمة على أنهم إذا أسلوا غفر لهم كفرهم وجميع ذنوبهم لقوله صلى الله عليه وآله وسلم الإسلام يجب ما قبله ، وأنهم إن ماتوا على الكفر فإن الله لا يغفر لهم بل يخلدهم في النار وإن أراد به العصاة من المسلمين فإن العاصى إذا تاب غفر له ذنوبه ، وإن لم يتب فهو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له فالمغفرة المذكورة في هذه الآية ، يحتمل أن يريد بها المغفرة للكفار إذا أسلوا أو للعصاة إذا تابوا أو للعصاة وإن لم يتوبوا إذا تفضل الله عليهم بالمغفرة ، والظاهر أنها نزلت في الكفار وأن المغفرة المذكورة هي لهم إذا أسلوا

يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ \* وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُبُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ \* وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ \* أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرْتُنِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ \* أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ \* أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ \* بَلَىٰ أَقْدَمَا جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ \* وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مَسْوُودَةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ \* وَيُنجِي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ \* اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ \* لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ \* قُلْ أَغْفِرِ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ \* وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ

والدليل على أنها في الكفار ما ذكر بعدها إلى قوله قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين (واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) يعني اتبعوا القرآن وليس المعنى أن بعض القرآن أحسن من بعض لأنه حسن كله . إنما المعنى أن يتبعوا بأعمالهم ما فيه من الأوامر . ويحتذوا بما فيه من النواهي فالتميز الذي يقتضيه أحسن إنما هو في الاتباع وقيل يعني اتبعوا الناسخ دون المنسوخ وهذا بعيد (أن تقول نفس) في موضع مفعول من أجله تقديره كراهة أن تقول نفس وإنما ذكر النفس لأن المراد بها بعض الأنفس وهي نفس الكفار (في جنب الله) أي في حق الله وقيل في أمر الله وأصله من الجنب بمعنى الجانب ثم استعير لهذا المعنى (الساخرين) أي المستهزئين (بلى) جواب للنفس التي حكى كلامها ولا يجاب بيلي إلا النفي وهي هنا جواب لقوله لو أن الله هداني لكنت من المتقين لأنه في معنى النفي لأن لو حرف امتناع وتقرير الجواب بل قد جاءك الهدى من الله بإرساله الرسل وإنزاله الكتب وقال ابن عطية هي جواب لقوله لو أن لي كرة فإن معناه يقتضي أن العمر يتسع للنظر فليل له بلى على وجه الرد عليه والأول أليق بسياق الكلام لأن قوله قد جاءتك آياتي تفسير لما تضمنته بلى (وجوهم مسودة) يحتمل أن يريد سواد اللون حقيقة أو يكون عبارة عن شدة الكرب (بمفازتهم) أصله من الفور والتقدير بسبب فوزهم وقيل معناه بفضائلهم (وهو على كل شيء وكيل) أي قائم بتدبير كل شيء (مقاليد) مفاتيح وقيل خزائن واحداها عقليد وقيل لإقليد وقيل لا واحد لها من لفظها وأصلها كلمة فارسية ، وقال عثمان بن عفان سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن مقاليد السموات والأرض فقال هي لإله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله واستغفر الله هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير فإن صح هذا الحديث فعناه أن من قال هذه الكلمات صادقا مخلصا نال الخيرات والبركات من السموات والأرض لأن هذه الكلمات توصل إلى ذلك فكما هي مفاتيح له (والذين كفروا) الآية قال الزمخشري إنها متصلة بقوله وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم وما بينهما من الكلام اعتراض (أغفر الله) منصوب بأعد (تأمروني) حذف إحدى النونين

قَبْلَكَ لئنْ أَشْرَكَتْ لِيَجْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخُسْرَيْنِ \* بَلِ اللهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۝ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ وَنَفَخَ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ۝ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ وَوَفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ \* وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ فَتَحَّتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ \* قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ

تحقيقاً وقرئ يادغام إحدى النونين في الأخرى (لئن أشركت ليحبط عملك) دليل على إحباط عمل المرتد مطلقاً خلافاً للشافعي في قوله لا يحبط عمله إلا إذا مات على الكفر فإن قيل الموحى إليهم جماعة والخطاب بقوله لئن أشركت لواحد : فالجواب أنه أوحى إلى كل واحد منهم على حدة ، فإن قيل : كيف خوطب الأنبياء بذلك وهم معصومون من الشرك ، فالجواب أن ذلك على وجه الفرض والتقدير أي لو وقع منهم شرك لحبطت أعمالهم لكنهم لم يقع منهم شرك بسبب العصمة ويحتمل أن يكون الخطاب لغيرهم وخوطبواهم ليدل المعنى على غيرهم بالطريق الأولى (وما قدروا الله حق قدره) أي ما عظموه حق تعظيمه ولا وصفوه بما يجب له ولا زهوه عما لا يليق به والضمير في قدروا لقريش وقيل لليهود (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) المقصود بهذا تعظيم جلال الله والرد على الكفار الذين ما قدروا الله حق قدره ثم اختلف الناس فيها كاختلافهم في غيرها من المشكلات فقالت المتأولة إن القبضة واليمين عبارة عن القدرة وقال ابن الطيب إنها صفة زائدة على صفات الذات وأما السلف الصالح فسلخوا علم ذلك إلى الله ورأوا أن هذا من المتشابه الذي لا يعلم علم حقيقته إلا الله وقد قال ابن عباس مامعناه إن الأرض في قبضته والسموات مطويات كل ذلك بيمينه ، وقال ابن عمر مامعناه : إن الأرض في قبضة اليد الواحدة والسموات مطويات باليمين الأخرى لأن كلنا بيده يمين (ونفخ في الصور) هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل وهذه النفخة نفخة الصعق وهو الموت وقد قيل إن قبلها نفخة الفزع ولم تذكر في هذه الآية (إلا من شاء الله) قيل يعني جبريل وإسرافيل وميكائيل وملك الموت ثم يميتهم الله بعد ذلك وقيل استثناء الأنبياء وقيل الشهداء (ثم نفخ فيه أخرى) هي نفخة القيام (قيام ينظرون) قيل إنه من النظر وقيل من الانتظار أي ينتظرون ما يفعل بهم (ووضع الكتاب) يعني صحائف الأعمال وإنما وحدها لأنه أراد الجنس وقيل هو اللوح المحفوظ (وجيء بالنبيين) ليشهدوا على قومهم (والشهداء) يحتمل أن يكون جمع شاهد أو جمع شهيد في سبيل الله والأول أرجح لأن فيه الوعيد معنى ولأنه أليق بذكر الأنبياء والشاهدين والمراد على هذا أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم يشهدون على الناس وقيل يعني الملائكة الحفظة (وقضى بينهم) الضمير لجميع الخلق (زمرًا) في الموضوعين جمع زمرة وهي الجماعة من الناس وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أول زمرة يدخلون الجنة وجوههم على مثل القمر ليلة البدر والزمرة الثانية على مثل أشد نجم في السماء إضاءة ثم هم بعد

جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ \* وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ \* وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝

ذلك منازل (خزنتها) جمع خازن حيث وقع (كلمة العذاب) يعنى القضاء السابق بعدايمهم (وفتحت أبوابها) إنما قال في الجنة وفتحت أبوابها بالواو وقال في النار فتحت بغير واو لأن أبواب الجنة كانت مفتحة قبل مجيء أهلها والمعنى حتى إذا جاؤها وأبوابها مفتحة فالواو والحال وجواب إذا على هذا محذوف وأما أبواب النار فإنها فتحت حين جاؤها فوق قوله فتحت جواب الشرط فكأنه بغير واو وقال الكوفيون الواو في أبواب الجنة واو الثمانية لأن أبواب الجنة ثمانية وقيل الواو زائدة وفتحت هو الجواب (وأورثنا الأرض) يعنى أرض الجنة والورثة هنا استعارة كأنهم ورثوا موضع من لم يدخل الجنة (تقبوا) أى نزل من الجنة حيث نشاء وتتخذ مسكنها (حافين من حول العرش) أى محققين به دائرين حوله (وقضى بينهم) الضمير لجميع الخلق كالموضع الأول، ويحتمل هنا أن يكون للملائكة والقضاء بينهم توفية أجورهم على حسب منازلهم (وقيل الحمد لله رب العالمين) يحتمل أن يكون القائل لذلك الملائكة أو جميع الخلق أو أهل الجنة: لقوله وآخردعواهم أن الحمد لله رب العالمين

(تم الجزء الثالث، ويليه الجزء الرابع وأوله: سورة غافر)

### فهرس الجزء الثالث من كتاب التسهيل

صفحة	صفحة	صفحة
٢ سورة مريم	٨٣ سورة الشعراء	١٣٢ سورة الأحزاب
١٠ » طه	٩٢ » النمل	١٤٦ » سبأ
٢٢ » الأنبياء	١٠٢ » القصص	١٥٤ » فاطر
٣٤ » الحج	١١٣ » العنكبوت	١٦٠ » يس
٤٨ » المؤمنون	١٢٠ » الروم	١٦٨ » الصافات
٥٨ » النور	١٢٦ » لقمان	١٧٨ » ص
٧٤ » الفرقان	١٢٩ » السجدة	١٩٠ » الزمر